الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة حمه لخضر الوادي

كلية الآداب واللغات

قسم اللغة العربية

الحجاج

في رسائل الشيخ أحمد التيجاني

. دراسة في وسائل الإقناع .

مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر في علوم اللسان

إعداد الطالبة

✓ أمينة تجاني

إشراف الأستاذ

علي زيتونة مسعود

أعضاء لجنة المناقشة :

الاسم واللقب	الصفة	الجامعة الأصلية
أ . مسعود طواهرية	رئيسا	جامعة الوادي
أ . علي زيتونة مسعود	مشرفا ومقررا	جامعة الوادي
د . نصر الدين وهابي	مناقشا	جامعة الوادي

السنة الجامعية : 1435-1436هـ / 2014-2015م

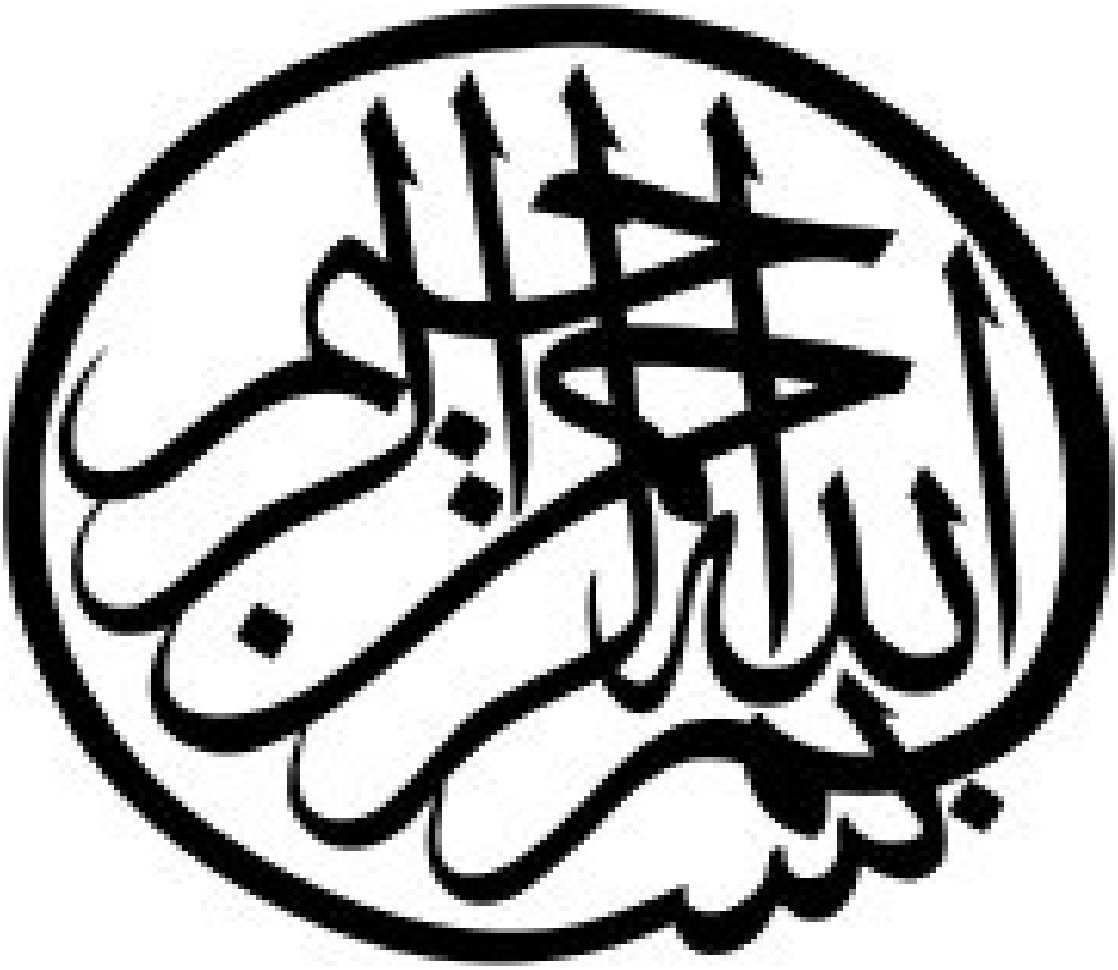

قَالَ تَعَالَىٰ:

﴿ وَقُلِ ٱعۡمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمۡ وَرَسُولُهُۥ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ ﴾ التوبة: ١٠٥

﴿ إِنۡ أُرِيدُ إِلَّا ٱلۡإِصۡلَٰحَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُۚ وَمَا تَوۡفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِۚ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ أُنِيبُ ﴾ هود: ٨٨

الإهـــداء

إلى الحبيب المصطفى والنّبي المجتبى والشّفيع المرتجى

إلى معلمنا الأعظم وقدوتنا الأكرم سيّدي محمّد رسول الله ﷺ

إلى من أحيا قلوبنا وهذّب نفوسنا وحرّر أرواحنا من قبضة الأجساد

إلى روح شيخي الأكبر سيّدي أحمد التّيجاني– رضي الله عنه –

إلى من رفع الهمّة لبلوغ القمّة ، وغرس فينا حبّ العلم والمعرفة

إلى قدوتي ومعلمي وقائدي وشيخي سيّدي الدكتور محمد العيد التّيجاني –رضي الله عنه–

إلى نهر العطاء وبحر الحنان وشط الأمان ... والديّ الكريمين

إلى قرّة عيني ورفيق دربي ... زوجي العزيز ..... علي

إلى شموس عمري وأقمار حياتي ... أخواتي وإخوتي وكل أبنائهم خاصّة سعدية ، رقية ، آمال محمد العيد .

إلى رفيقات دربي ... فاطمة الزين ، حنان زغوان ، مريم طهراوي

إلى كل زميلات الدراسة قسم ماستر علوم اللسان ، دفعة جانفي 2015

إلى كل هؤلاء أهدي هذا البحث المتواضع ... رمز جهد وحب وتقدير ووفاء .

شكـر وعرفـان

قَالَ تَعَـالَىٰ:

﴿رَبِّ أَوْزِعْنِيٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ﴾ النمل: ١٩

أحمد الله عز وجل حمدا يليق بجلال وجهه وعظيم سلطانه أن أنعم عليّ بمواصلة مشواري العلمي ووفّقني في إنجاز هذا العمل وأسأله أن يتقبله منّي قبولا حسنا .

وأصلي وأسلم على سيد الأنام الذي تكاملت بنصحه الأخلاق وحسنت الأيام

أتقدم بالشكر الجزيل والعرفان والامتنان إلى الأستاذ المشرف : زيتونة مسعود علي الذي أحاط هذا البحث بالاهتمام وتعهده بالرعاية والتّوجيه ، فكان لتوجيهاته الفعّالة وإرشاداته النّاجعة الأثر الكبير في إنجاز هذا البحث .

وأتقدّم بوافر الشكر والتّقدير لوالدي العزيز على مساعدته ودعائه طول حياتي وطول رحلتي العلمية .

وأتقدّم بعظيم الشكر والتقدير والامتنان إلى زوجي العزيز الذي ضحى بالكثير طول رحلتي العلمية فقد كان نعم الزوج ونعم الرّفيق .

كما أتقدّم بالشكر إلى كل أساتذتي بكلية الآداب واللغات جامعة الوادي .

والشكر موصول إلى كل من ساعدني من قريب أو بعيد ولو بكلمة تشجيع .

مقدمة

مـقدمــة

بسم الله الرحمن الرّحيم وبه أستعين والصّلاة والسّلام على أشرف المرسلين سيّدنا محمّد وعلى آله وصحبه أجمعين ، ومن تبعهم ووالاهم بإحسان إلى يوم الدّين .

عرفت الدّراسات اللغويّة في العصر الحديث قفزة نوعيّة غيّرت مسارها إلى منحى جديد ومغاير لما كانت عليه من قبل ، بل قد تطوّرت تطوّرا سريعا جعلها تنتقل من دراسة الجملة إلى دراسة النّص والخطاب ؛ حيث أصبح النّص والخطاب مركز الاهتمام بدلا عن الجملة ، وهذا ما جعل ميادينها تتّسع أكثر حتى لامست العلوم الأخرى كعلم النفس وعلم الاجتماع والفلسفة والأنثروبولوجيا والأدب والحاسوب وغيرها .

وهذه الجدّة في الدّرس اللغوي منحت التّراث العربي والإسلامي رؤية جديدة تسمح بالكشف عن طاقاته الكامنة وإبداعاته الكثيفة . ولعلّ أقدر هذه النظريّات اللغويّة على كشف خبايا هذا التّراث هي التّداوليّة بما تتيحه من فضاء واسع يحرّر النّص من قيود البنيويّة ، حيث أعطت الأولويّة للعمليّة التّواصليّة وبكل ما يحيط بها ؛ بدءا بأقطاب التّواصل (المرسِل والمتلقي)، ومرورا بالسّياقات الخارجيّة ، وانتهاءً بمقاصد المتكلم ومدى تأثيرها على المستمع .

وهذا يعني اهتمام التّداوليّة بالجانب الوظائفي للخطاب الأدبي أي بالجوانب المتعلقة بالواقع والمنفعة والغاية والمصلحة ، والآثار الملموسة، أو ما يسمّيه هارتمان " قطب التحقق" في الخطاب الأدبي . بل وتركز نظريّات الحجاج المنبثقة عن التّداوليّة على الأثر الذي يتركه الخطاب في المتلقي ، وعلى مدى قدرة المتكلم على التّأثير في الآخر وتغيير معتقداته وسلوكه .

فلم يعد مهمّا أن نبحث في جمال الخطاب الأدبي وما يحدثه من إمتاع وتسلية في نفوس متلقيه ، بل أصبح من الضّروري البحث عما يحدثه من أثر وتغيير ، لأنّ الخطاب الأدبي ذو اتجاهين: اتجاه أدبي جمالي، واتجاه وظائفي . وما يؤكّد ذلك الخطاب القرآني والنبوي وما كان فيهما من جماليّات ، وما أحدثاه في الأمّة العربيّة من تغيير حيث غيّرا مجرى التاريخ وبدّلا جغرافية العالم في ظرف وجيز.

من هذا المنطلق كان اهتمامنا يركز على خطابات كان لها الدّور الفعّال في تغيير المتلقي سواء أفي فكره أو في سلوكه أو فيهما معا ، فكانت ضالتنا في الخطاب الصّوفي لما يتّسم به من خصائص في الشّكل وفي المضمون تميّزه عن غيره من الخطابات .

كذلك لتأثيره القوي في المتلقين ؛ حيث أحدث تغييرا في المجتمعات الإسلاميّة من خلال شيوخه الذين استطاعوا بخطاباتهم التّأثير في النّاس وإقناعهم بأفكارهم وآرائهم بل وتغيير سلوكهم أيضا . ما جمع حولهم مريدين كثرا منتمين إليهم وهذا ليس في زمنهم فحسب ، بل استمرّ إلى زمننا هذا ؛ حيث نجد الطّرق الصّوفيّة منتشرة في كل العالم الإسلامي ، ولها أتباع في كل مكان . وهذا يعني أنّ لهؤلاء الشّيوخ تأثيرا قويّا على المخاطَبين لا يزال واضحا إلى اليوم .

هذا وقد اتّخذ التصوّف من اللّغة وسيطا للوصول إلى أهدافه وغاياته ، فهو يحاول إثبات أفكاره ومعتقداته بإقناع أتباعه والتأثير في مخاطبيه ، والرّد على خصومه ومناوئيه . هذه اللّغة أَثْرَت الخطاب الصّوفي وجعلته مادّة قابلة للدّراسة ، ولا يخرج عن هذه الميزة الخطاب التّيجّاني ، ومن ثَمّ فهو خطاب يحتاج إلى قراءة جديدة وتأويل.

من هنا بدأت فكرة البحث تتبلور محاولة الجمع بين الحداثة والتّراث الصّوفي وذلك بتوظيف النّظريّات اللسانيّة الحديثة في الكشف عن خبايا هذا التّراث وإمكاناته وطاقاته الإبداعيّة الكثيفة فأسفرت هذه الفكرة عن عنوان موسوم بـ :

" الحجاج في رسائل الشّيخ أحمد التّيجاني . دراسة في وسائل الإقناع . " .

وقد حاول البحث الإجابة عن مجموعة من الإشكاليّات أهمّها :

. ما مفهوم الحجاج ؟ وما علاقته بالإقناع ؟ وما هي أهم وسائل الإقناع ؟

. ما هي أهم الآليّات الحجاجية الموجودة في رسالة الشيخ أحمد التّيجّاني ؟

. ما هي أهم وسائل الإقناع اللغويّة وغير اللغويّة التي وظّفها الشيخ أحمد التّيجّاني في رسالته ؟

. ما هي الأبعاد الفنّيّة الجمالية والتّداوليّة الوظائفيّة التي يمتلكها خطاب الشّيخ أحمد التّيجّاني والتي جعلته مؤثرا في متلقّيه ؟

أسباب عدّة دفعتنا لاختيار هذا البحث ولاختيار شخصيّة الشّيخ أحمد التّيجاني من بين شيوخ الصّوفيّة ، وكلها منطقيّة علميّة حسب نظرنا ، منها :

. اقتصار الدّراسات الأدبيّة على الشعريّة العربيّة (جمالية العمل الأدبي)، وإهمال الجانب الوظائفي لهذا العمل .

. القدرة الإقناعيّة للشّيخ أحمد التّيجاني التي استطاع بها أن يؤثّر في العديد من المخاطَبين الذين كانوا على مستوى عال من العلم والمعرفة ؛ حيث كان منهم علماء من جامع القرويين بالمغرب ومن جامع الزيتونة بتونس كذلك فقهاء من الجزائر إضافة إلى سلاطين وأمراء ، فهو لم يتواصل مع العامّة فحسب .

. القوّة التّأثيريّة لخطابات الشّيخ أحمد التّيجاني التي لا تزال إلى اليوم ، وما يدل على ذلك استمراريّة طريقته وتزايد أتباعها ، حتى إنّها أصبحت من الطّرق الصّوفيّة الكبرى في الجزائر والعالم .

. قلة الدّراسات حول الخطاب النّثري الصّوفي مقارنة بالخطاب الشّعري ، ولا سِيَما الرّسائل التي لم تحظ باهتمام الباحثين كغيرها ، خاصّة أنّ الأدب الصّوفي المغاربي عامّة والجزائري خاصّة لم يلق الاهتمام الكافي ، فأردنا المساهمة في التّعريف بأحد شيوخه بإنتاجه الفكري والأدبي .

. كثرة الرّسائل التي خلفها الشّيخ أحمد التّيجاني وتنوّع موضوعاتها ومخاطَبيها وهي ذات قيمة أدبيّة تؤهّلها للدّراسة والبحث .

ولأجل أن تكون هذه الدّراسة أكثر عمقا ودقّة ، وتصل إلى نتائجها المطلوبة حصرنا مجال البحث في مدوّنة واحدة ، فاقتصرَتْ على رسالة محدّدة بعث بها الشّيخ أحمد التّيجاني إلى تلاميذه . فمنهجيّة البحث العلمي تقتضي الضّبط والتّحديد .

وقد اخترناها لما فيها من قوّة حجاجيّة إقناعيّة كبيرة كوْنَها لم تكن خاصّة (إلى فقيه أو صديق أو سلطان) بل كانت عامّة ، إلى كل المتلقين . وهنا تكمن صعوبة الإقناع وتظهر مقدرة المحاجج لأنّ طبيعة المتلقين مختلفة من حيث المدارك العقليّة .

هذا وإذا كان قد سبقنا إلى موضوع الحجاج في القرآن الكريم وفي الحديث النبوي وغيرهما العديد من الباحثين فإنّنا نعتقد حسب اطّلاعنا أنّ دراسة رسائل الشّيخ أحمد التّيجاني جديدة رغم وجود رسالة ماجستير تناولت خطاب الزّاوية التّيجانية عامّة موسومة بـ " خطاب الزّوايا في الجزائر، الزاوية التّيجانيّة أنموذجا ، دراسة تداوليّة " لعبد العزيز مصباحي حيث جمعت خطابات مختلفة لخلفاء الطريقة التّيجانيّة .

وقد اعتمدنا في بحثنا على خطة تتألف من فصلين : أحدهما نظري والآخر تطبيقي.

أما النظري فكان تحت عنوان: " **الحجاج وعلاقته بالإقناع** " وتضمّن ثلاثة مباحث .

ففي المبحث الأوّل تطرقنا لمفهوم الحجاج (لغة واصطلاحا) ثم ذكرنا الفرق بين الحجاج والبرهان وذلك للتّقارب الشّديد بين المصطلحين لدرجة الخلط بينهما .

وفي الثاني تناولنا العلاقة بين الحجاج والإقناع وذلك للعلاقة الوطيدة بينهما .

أمّا في الثالث فقد ذكرنا وسائل الإقناع وآليّاته التي تعدّدت وتنوّعت ؛ وسائل لغوية وما لها من دور في الإثارة والتّأثير باستمالة المتلقي وشدّ انتباهه ، انطلاقا من الكشف عن أثر الأفعال الكلاميّة في تحقيق الإقناع ، لأنّها تجسّد الجانب العملي والتطبيقي من التّداوليّة. ثم التركيز على جانبين اثنين ؛ جانب دلالي منطقي يظهر بين الوحدات اللغوية ويتمثل في التكرار . وجانب سمعي وجداني يربط الوحدات اللغوية فيما بينها ويتمثل في الازدواج .

ووسائل بلاغيّة بالتركيز على الجانب الدلالي يتمثّل في الاستعارة والتّمثيل والطباق .

ثم الوسائل المنطقيّة التي يندرج تحتها القياس بأنواعه ، وما له من دور في الرّبط بين مكوّنات الحجاج ربطا منطقيّا متعلقا بآليّات العقل فيما يدركه ويستنبطه ، أو ربطا دلاليّا يشير إلى ما يدركه العقل من خلال اللغة المستعملة ، ليمكّن المتلقّي من استنتاج النّتائج المقصودة من الحجاج . فتتضافر بذلك الدّلالة من جهة العقل ، مع السّماع من جهة الوجدان والشّعور لتأدية الوظيفة الإقناعيّة التأثيريّة لدى المتلقي .

أما الفصل التطبيقي فكان بعنوان : " **الحجاج ووسائل الإقناع في رسائل الشيخ أحمد التّيجاني** ". وقد جاء للكشف عن فعاليّة الرّسالة من طريقة بنائها وتفاعل عناصرها وتضمّن ثلاثة مباحث أيضا .

ففي المبحث الأوّل قدّمنا نبذة وجيزة عن حياة الشّيخ أحمد التيـ ـي .

وفي الثاني تطرّقنا إلى تقديم ملخّص حول رسائله كلها وأنواعها وموضوعاتها والمخاطَبين المرسلة إليهم . وذلك حتى نجعل القارئ في الصورة وليأخذ ملمحا عاما عن هذه الرّسائل .

وفي الثالث ذكرنا الرّسالة الموجّهة إلى التّلاميذ كاملة ثم انتقلنا إلى الحديث عن وسائل الإقناع الموظّفة فيها ، فانطلقنا من الوسائل النّفسيّة ، حيث تناولنا المرسِل من حيث ذِكْر مكانته ومنزلته وثقافته ومعرفته التي يستقي منها حججه ودليله لإقناع الطّرف الثّاني والمرسَل إليه وطبيعة العلاقة بينهما .

ثم عَقَبَها الحديث عن الوسائل اللغوية المستعملة في الرّسالة ، فتطرّقنا إلى أفعال الكلام التي وظّفها الشّيخ أحمد التيجاني بذكر الأنواع التي استعملها ومدى أثرها على المتلقي. ثم انتقلنا إلى التّكرار بأنواعه المختلفة سواء أعَلَى مستوى اللفظ أو المضمون ، ثم بنية الازدواج بأنواعها المتعدّدة أيضا .

ثم ذكرنا الوسائل البلاغيّة بما تضمّنته من حديث عن الاستعارة والتّمثيل والطّباق . وفي الأخير كان الحديث عن الوسائل المنطقيّة وما اشتملت عليه من قياس وحجج غائيّة و أخرى سببيّة وغيرها .

وفي الأخير جاءت الخاتمة لترصد أهم النّتائج التي توصّل إليها البحث ولتفتح أفقا مستقبليّا للموضوع فيما لم نقدر على التوسّع فيه أو لم نتمكّن من تناوله .

ولإنجاز هذا البحث اتبعنا أكثر من منهج ؛ حيث حتّمت علينا طبيعة الفصل النظري أن نتّبع المنهج التاريخي وذلك بتقصّي النّظريات الحجاجيّة عند العلماء ووضعها في مسارها التاريخي ، إلى جانب المنهج الوصفي لوصف آليّات الحجاج ووسائل الإقناع .

أما في الفصل الثاني فقد اتّبعنا المنهج التّداولي لأنّه هو الأقدر على توصيف البنية الحجاجيّة للرّسالة واستقراء وسائل الإقناع اللغويّة وغير اللغويّة والمنطقيّة ، وتحليل صورها المختلفة .

وقد استعنّا ببعض المصادر والمراجع لإنجاز البحث منها :

"جواهر المعاني وبلوغ الأماني في فيض سيدي أبي العبّاس أحمد التّيجاني " للحاج علي حرازم الذي أخذنا منه مدوّنتنا .

أمّا الكتب الأخرى فقد تنوّعت بين القديم والحديث ، فلجأنا إلى أمّهات الكتب البلاغيّة القديمة مثل : "أسرار البلاغة" لعبد القاهر الجرجاني ، "البيان والتبيين" للجاحظ ، "المثل السّائر" لابن الأثير ، كتاب " الصّناعتين" لأبي هلال العسكري ...

كما اشتغلنا على ما قدّمته الدّراسات اللسانيّة الحديثة من كتب ومراجع ، من ذلك : "الحجاج مفهومه ومجالاته" لمجموعة من المؤلفين ، "أهم نظريات الحجاج من أرسطو إلى اليوم" وهو عمل لفريق من البحث التونسيين ، "الحجاج في القرآن" لعبد الله صولة "الحجاج في الشعر العربي من الجاهليّة إلى القرن الثالث هجري" ، و"دراسات في الحجاج" لسامية الدريدي وغيرها...

أما عن الصعوبات فلا يمكن لأي عمل أن يخلو منها ، وإن أُعدّت له كل الإمكانات ومن الصّعوبات التي واجهتنا :

. جدّة النّظريّة الحجاجيّة ، فهي حديثة لم يكتمل صرحها بَعْد ، ولم تتحدّد ملامحها النّهائيّة خاصّة في مجال التّطبيق على النّصوص ، لأنّ الحجاج موزّع بين اللسانيّات والبلاغة والفلسفة والخطابة و...

. تشعّب النّظريّة الحجاجيّة وكثرة مصطلحاتها ، واختلاف الرّؤى حولها بين الباحثين.

. قلة المراجع عامّة نظرا لجدّة الموضوع .

. ندرة الدراسات حول خطابات الشّيخ أحمد التّيجاني ، ما جعلنا نحاول استخلاص عناصر الحجاج وخصائص الفاعليّة والقدرة على الحجاج من الرّسالة .

وفي الأخير نرجو أن نكون قد ألممنا بكل جوانب البحث ووفّينا الموضوع حقّه ، كما نرجو أن يحقّق هذا البحث أهدافه .

ولا يسعنا إلا أن نشكر الأستاذ المشرف : زيتونة مسعود علي الذي لم يبخل علينا بعلمه وجهده ووقته ، كما أنّه أنار دربنا بتوجيهاته ونصائحه ، والشكر موصول أيضا إلى كل من أعان وساعد على أن يرى هذا البحث النّور ولو بكلمة تشجيع .

ونسأل الله التّوفيق والسّداد.

الفـصل الأول

الحجاج وعلاقته بالإقناع

أولا : الحجـاج

1 . تعريف الحجـاج

2. الحجاج والبرهـان

3. ضوابط النص الحجاجي وخصائصه

ثانيا : الحجاج والإقنـــاع

1. تعريف الإقناع

2. علاقة الحجاج بالإقناع

ثالثا : وسائـل الإقناع : (تقنيات الحجاج وروافده)

I. الوسائل النفسية والاجتماعية

II. وسائل الإثارة والتأثير

1. الوسائل اللغوية

2. الوسائل البلاغيّة

III. الوسـائل المنطقيّة

1 . الحجج شبه المنطقيّة

2 . الحجج القائمة على بنية الواقع

3. الحجج المؤسسة لبنية الواقع

أولا: الحجـاج

1 . تعريف الحجـاج :

أ . لغـة :

يشير ابن منظور في معجمه لسان العرب إلى الحجاج بقوله: "الحُجَّة هي البرهان وقيل الحُجَّة هي ما دوفع به الخصم ، وقال الأزهري الحجّة الوجه الذي يكون به الظّفر عند الخصومة، وحَاجَّهُ مُحَاجَّة وحِجَاجًا نازعه الحجّة ، وهو رجل مِحْجَاج أي جدل والتّحَاج التّخَاصم ، وجمع الحُجَّة: حُجَجٌ وحِجَاجٌ، وحَجَّه يَحُجُّه حَجًّا غلبه حجّته وفي الحديث : فحجّ آدم موسى أي غلبه بالحجّة "[1].

نجد أنّ ابن منظور يقرن الحجّة بالبرهان حينا وبالخصومة حينا آخر ، فهو يفترض وجود تخاصم بين متخاطبين فيعمد كل منهما إلى حجّة ودليل حتى يحصل له الغلبة والفوز . كما قرنها أيضا بالجدل .

غير أنّ هناك تمييزا دقيقا بين هذه الألفاظ (الحجّة ، التّحاجّ ، الحجاج) وقد أشار الطّاهر ابن عاشور(ت 1393 هـ/ 1973) في تفسيره (التّحرير والتّنوير)إلى معنى حاجّ وجادل. ففي تفسير قوله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِى رَبِّهِۦٓ ﴾[2] . قال: "معنى حَاجَّ خاصم وهو فعل جاء على زنة المفاعلة التي اشتقّ منها . ومن العجيب أنّ

[1] ابن منظور ، لسان العرب ، دار صادر ، بيروت ، لبنان ، ط2 ، 1997 ، م2 ، ص 28 ، مادة (حجج).

[2] سورة البقرة ، الآية 258 .

الحجّة في كلام العرب البرهان المصدّق للدّعوى ، مع أنّ حاجّ لا يُستعمل غالبا إلا في معنى المخاصمة ، وأنّ الأغلب أنّه يفيد الخصام بباطل"[1] .

وفي تفسير قوله تعالى: ﴿ وَلَا تُجَٰدِلۡ عَنِ ٱلَّذِينَ يَخۡتَانُونَ أَنفُسَهُمۡۚ ﴾[2]. قال :"والمجادلة مفاعلة من الجدل وهو القدرة على الخصام والحجّة فيه، وهي منازعة بالقول لإقناع الغير برأيك" [3]. وفي موضع آخر قال : "المجادلة : المخاصمة بالقول وإيراد الحجّة عليه فتكون في الخير كقوله: ﴿ يُجَٰدِلُنَا فِي قَوۡمِ لُوطٍ ﴾[4]، وتكون في الشّرّ كقوله: ﴿ وَلَا جِدَالَ فِي ٱلۡحَجِّ ﴾[5]...." [6].

ذكر الطّاهر بن عاشور أنّ معنى حاجّ : خاصم ، ومعنى المجادلة : القدرة على الخصام، والتي قد تكون في الخير كما قد تكون في الشّرّ . فالجامع بين معنى اللفظين هو التّخاصم والتّنازع وهذا قريب من قول ابن منظور (التّحاجّ : التّخاصم) ، لأنّ (حاجّ والتّحاجّ) من نفس الأصل وكذلك (محجاج : جدل) إلا أنّ الحجاج لا يشترك معهما في الأصل ، فهو جمع حجّة لقول ابن منظور (وجمع حجّة حجج وحجاج) أي أنّه لا يعني المخاصمة والمقارعة .

يمكن القول أنّه وإن اعتبر البعض أن الحجاج مرادف للتّحاجّ والجدل إلا أنّنا نرى أنّ التّحاجّ يعني التّخاصم بالباطل ومثل ذلك النّمرود الذي حاجّ إبراهيم –عليه السلام– في ربّه . أمّا الجدل فهو تخاصم من غير نفع ولا تأثير له في الآخر سواء أكان خيرا أم شرّا، فجدال إبراهيم –عليه السّلام– للملائكة في أمر لوط لا طائل من ورائه لأنّ أمر الله قد أتى وهو قاض لا مناص منه كذلك الجدال في الحجّ لا نفع يرتجى منه بل هو خطل السّكوت عليه أفضل ، أمّا الحجاج فهو تحاور مع الآخر سواء أكان هناك اختلاف في الرّأي أم لا ، ومحاولة إقناعه والتّأثير فيه .

---

[1] محمد الطاهر بن عاشور ، التحرير والتنوير ، الدار التونسية ، الدار الجماهيرية للنشر، تونس ،ج3 ، ص 31 ،32 .

[2] سورة النساء ، الآية 107 .

[3] ابن عاشور، التحرير والتنوير ، ج 5 ، ص 194 .

[4] سورة هود ، الآية 74 .

[5] سورة البقرة ، الآية 197 .

[6] ابن عاشور، التحرير والتنوير ، ج12 ، ص 60 .

أي أنّ الحجاج يقوم " على أساس التخاطب بين المتكلم والمستمع اللذين يفترض فيهما أن يتحاجّا في أمر يستلزم دليلا أو حجّة له أو عليه " [1] . فهو إذن لا يفترض وجود طرفي منازعة وخصومة بل وجود طرفي خطاب يتّخذ كل منهما من الحجج وسيلة للإقناع والتّأثير.

وعليه فالحجاج يؤطّره التّفاعل بين طرفي الخطاب (المتكلم ، السامع) "إن تبادلا للتّأثير أو تناقلا للتّغيير أو ترابطا وظيفيّا أو حتى تجاوبا وجدانيّا" . [2] أي أنّه يحدث تأثيرا في الآخر أو تغييرا لرأيه ولسلوكه أو يقدّم منفعة أو حتى مشاركة وجدانيّة .

أما إذا انتقلنا إلى معنى الحجاج في اللغات الأجنبيّة نجد أنّ Argumentation تتعدّد معانيها ففي اللغة الفرنسيّة تشير لفظة (Argument) إلى عدّة معان متقاربة أبرزها حسب قاموس روبير (le robert):

" هو مجموعة من الحجج التي تستهدف تحقيق نتيجة واحدة ، وهو كذلك فنّ استعمال الحجج أو الاعتراض بها في مناقشة معيّنة . وهو أيضا الدّفاع عن اعتراض بواسطة حجج "[3] .

وفي اللغة الأنجليزيّة جاء في قاموس كامبردج (Cambrige) أنّ "الحجاج هو الحجّة التي تعلّل أو تبرّر مساندتك أو معارضتك لفكرة ما "[4] . أي أنّ الحجاج هو ما تؤيّد به فكرتك أو موقفك إزاء موضوع معيّن إما إيجابا أو سلبا .

وبإجراء مقارنة بين المعنى اللغوي للحجاج في اللغة العربية وبين المعنى الذي يقابله في اللغتين الفرنسيّة والأنجليزيّة نجد شبه تقارب أو توافق بين المعنيين وهو استعمال الحجّة وتقديمها دفاعا عن رأي أو موقف معيّن أو اعتراضا عليه .

إنّ الحجاج من حيث البناء يرتكز على "منطلقات غير يقينيّة ، فميدانه هو الاحتمال وليس ميدان الحقائق البديهيّة والمسلّمات المطلقة ، فهناك دائما قسط من الشكّ ممّا يدفعنا دائما إلى البحث عن حجج من أجل تحقيق

---

[1] رضوان الرقبي ، الاستدلال الحجاجي التداولي وآليات اشتغاله، مجلة عالم الفكر، ع 2، م 40، أكتوبر، ديسمبر 2011 ص 71 .

[2] المرجع السابق، ص 73 .

[3] Le grand robert ,dictionnaire de la langue français , 1er redaction , paris , 1989 , p 535 .

[4] Cambrige advenced learmers , dictionary , Cambrge university press , 2nd pub , 2004 , p 56 .

درجة أعلى من الإقناع "[1] . فهو مرتبط بالشّكّ ومجاله الاحتمال وليس اليقين ولهذا يسعى المتكلم إلى إقناع الآخر بالحجج وكلما زادت الحجج زادت نسبة الإقناع وارتفع مستواها . أما من حيث الوظيفة والدّور ، فالحجاج "أداة تسعى إلى إفحام الخصم وإقناعه بمشروعيّة الموقف وصلاحيّته ".[2]

ومن هذا التّحديد اللغوي للحجاج يمكن استخلاص النّتائج التّالية :

. الحجاج يسعى إلى تأسيس موقف ما ، فهو يتوجّه إلى متلقّ قصد أخذ قبوله وموافقته.

. الحجاج يرتكز على الحجج التي يجب أن تقدّم بكثرة كما يجب أن يحسن اختيارها وترتيبها حتى تترك أثرا في المتلقي .

. إنّ الحجاج يهدف إلى إقناع المتلقي وجعل عقله ينخرط في الأطروحة أو الدّعوى .

. إنّ الحجاج يتعلق بالخطاب الطّبيعي من حيث المضمون والاستعمال ، فهو ذو فعاليّة تداوليّة .

. إنّ الحجاج مجاله الاحتمال وليس مجال الحقائق البديهيّة المطلقة .

. إنّ الحجاج ليس جدلا بل هو أوسع من ذلك .

ب . اصطلاحـا :

يعدّ الحجاج مفهوما عائما ويتميّز بالانسيابيّة ، لهذا يصعب تحديده تحديدا دقيقا ، فهو لم يبق ذلك المصطلح المحصور "في استعمالات خطابيّة ظرفيّة ، بل صار بعدا ملازما لكل خطاب على وجه الإطلاق ، والسّبب في ذلك أن كل خطاب حالّ في اللغة تمنحه هذه الأخيرة العناصر الأوّليّة والقاعديّة لكل حجاج ، أي عناصر الاستدلال والتّدليل".[3]

---

[1] هشام فروم ، تجليات الحجاج في الخطاب النبوي ، دراسة في وسائل الإقناع – الأربعون النووية أنموذجا – رسالة ماجستير ، إشراف : لخضر بلخير ، جامعة الحاج لخضر ، باتنة ، 2009/2008 ، ص 49 .

[2] المرجع السابق ، ص 49 .

[3] حسن خميس الملخ ، الحجاج في الدرس النحوي ، مجلة عالم الفكر ، ع2 ، م40 ، أكتوبر ، ديسمبر 2011 ، ص 124 .

لهذا نجد تباينا واضحا في تعريفاته بين العلماء وذلك راجع لزاوية النّظر ونوعيّة الخطاب(قانوني سياسي ، أدبي ، علمي ...) فكل واحد قدّم تعريفا حسب منظوره المعرفي ومرجعيّته الفكريّة فهناك من عرّفه من منظور بلاغي ، وآخر من منظور فلسفي ومنطقي وتداولي بل حتى قانوني ونفساني . وهذا التعدّد والاختلاف في دلالات الحجاج يعود إلى عدّة عوامل هي[1]:

. تعدّد مظاهر الحجاج وتنوّعها (الحجاج الصّريح ، الحجاج الضّمني) .

. تعدّد استعمالات الحجاج وتباين مرجعيّاتها :الخطابة ، الخطاب ، القضاء ، الفلسفة ، المنطق التعليم ...

. خضوع الحجاج في دلالته لما يميّز ألفاظ اللغة الطبيعيّة من ليونة تداوليّة وكذلك من تأويلات متجدّدة وطواعيّة استعماليّة .

. للحجاج أبعاد الخطاب الإنساني المتاح باللغة المكتوبة والمنطوقة .

وفي خضمّ هذا التّعدّد الدّلالي للحجاج واستعمالاته لا يسعنا إلا أن نحاول حصر هذه التّعريفات وذلك باختيار المقاربات التي ركّزت على الحجاج من حيث هو وظيفة خطابيّة والتي تتحدّد في مجالات خطابيّة ثلاثة هي : البلاغة ، المنطق ، اللسانيات . وسنتتبّع من خلالها مفهوم الحجاج "من أجل بناء نموذج نظري قادر على وصف الآليّات الحجاجيّة المميّزة للخطاب كبناء مجرّد وتفسيرها " [2] حتى نتمكّن من حصر مجال البحث وتحديده على المستوى التطبيقي .

ب . 1 . من منظور بلاغي :

[1] حبيب أعراب ، الحجاج والاستدلال الحجاجي ، عناصر استقصاء نظري ، ضمن كتاب الحجاج مفهومه ومجالاته ، دراسات نظرية وتطبيقية محكمة في الخطابة الجديدة ، مجموعة من المؤلفين ، إشراف: حافظ إسماعيل علوي ، دار الروافد الثقافية ، لبنان ، منشورات ابن النّديم ، الجزائر ط 1 ، 2013 ، ج 2 ، ص 159 ، 160 .

[2] هشام فروم ، تجليات الحجاج في الخطاب النبوي ، ص 50 .

ارتبطت البلاغة التّقليديّة بالحجاج من خلال الخطابة ، حيث اهتمّ القدامى "بتصنيف أنواع الخطابات وأنواع الحجج وأشكال الجمهور والطّرق الاستدلاليّة ، وحدّدوا للخطيب نوع السّلوك الخطابي الذي ينبغي أنْ يتّبعه مجاراة لطبيعة الحضور"[1] .

فالخطابة هي"فن الإقناع عن طريق الخطاب ، والوظيفة الإقناعيّة هي وظيفتها الأساسيّة" [2]. وهذا ما أكّده الفارابي في قوله: "الخطابة صناعة قياسيّة غرضها الإقناع " [3] . أي تهدف إلى إقناع السّامعين وذلك باستعمال الحجج ، وهنا تظهر علاقة الخطابة بالحجاج ، فهذا الأخير يعدّ أحد الوسائل التي تتوسّل بها الخطابة لإقناع الجمهور لأنّ "مهمّة الخطابة ليست الإقناع بقدر ما هي البحث في كل حالة عن الوسائل الموجدة للإقناع " [4] . فهي تعتمد الحجاج كوسيلة إقناع قويّة.

عرفت البلاغة في العصر الحديث قفزة نوعيّة ؛ حيث لم تعد تهتمّ بالشّكل بقدر ما أصبحت تهتمّ بالمضمون ، فليس همّها الوحيد هو تزيين الخطاب وتوشيته بل البحث في الوسائل التي تجعل من الخطاب ذا تأثيريّة قويّة ، وهذا هو الحجاج الذي ظهر بصبغة جديدة كخطابة جديدة ، ويعود الفضل في ذلك إلى العالمين (برلمان) **Perelman CH.** و(تتيكا) **Tytica** من خلال كتابهما (مصنّف في الحجاج –الخطابة الجديدة–) الذي أحدث تغييرا كبيرا في النّظريّات القديمة ، وأعطى للخطاب بعدا وظيفيّا يؤهّله للتّغيير لأنّ الأدب لا يقتصر على الجماليّة فحسب بل يتعدّى ذلك إلى الحجاج والإقناع والتّأثير .

يعرّف (برلمان وتتيكا) الحجاج بأنّه " جملة الأساليب التي تضطلع في الخطاب بوظيفة حمل المتلقّي على الإقناع بما نعرضه عليه ، أو الزّيادة في حجم هذا الإقناع لغاية أساسيّة هي الفعل في المتلقي على نحو يدفعه إلى العمل أو يهيّئه

---

[1] المرجع نفسه ، ص 51.

[2] المرجع السابق، ص 51.

[3] هشام الريفي ، الحجاج عند أرسطو ضمن كتاب أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم ، إشراف: حمادي صمود ، كلية الآداب منوبة ، تونس ، د.ط ، د.ت ، ص 142 .

[4] أوليفي روبول ، مدخل إلى الخطابة ، المطابع الجامعية الفرنسية ، طبعة منقحة ، 1994 ، ص 04.

للقيام بالعمل "[1] . هذا يعني أن وظيفة الحجاج وغايته هو جعل العقول تذعن لما يطرح عليها من أفكار وآراء أو تزيد في درجة الإذعان ما يؤثر على المتلقي تأثيرا قويّا يدفعه للقيام بالعمل المطلوب (سواء من حيث إنجازه أو الإمساك عنه) أو على الأقل يهيّئه لذلك العمل في اللحظة المناسبة.

فالهدف من الحجاج لا يتوقّف عند حد الإقناع الفكري أي تقبّل العقل لطروحات المتكلّم، بل يتعدّاه إلى دفع المتلقي وحثّه على القيام بالفعل أو الاستعداد له. وهذا ما يؤكده (برلمان) في كتابه (إمبراطورية البلاغة) حيث ذكر وظائف البلاغة وهي _ بحسبه_ "الإقناع الفكري الخالص الاستعداد لتقبّل أطروحة ما ، الدّفع أو الحثّ على العمل . وهذا يدلّ على أنّ الحجاج يهدف إلى التّأثير ثم إلى العمل ، حيث أنّ هذا التّأثير ناتج من خلال استخدام العقل والإدراك لما يحيط بالمتلقي من حجج ، أي تأثير ناتج من إرادته وليس تأثيرا ناتجا من الإجبار أو المناورة كما عند السفسطائيين "[2] .

والإقناع كما نعلم يرتبط بالخطابة وهذا ما يجعل الحجاج يقترب من الخطابة لكنه يختلف عنها أي يأخذ منها الإقناع كما يقول المؤلفان (برلمان وتتيكا) : "الغاية من تقريبنا بين الحجاج والخطابة أن نلحّ على أنه لا حجاج دون وجود جمهور يرمي الخطاب إلى جعله يقتنع ويصادق على ما يُعرض عليه"[3] .

كما أنّ الحجاج من جهة أخرى يرتبط بالمنطق ؛ حيث يأخذ منه "التمشّي الفكري الذي يقود إلى التأثير الذهني في المتلقي ، وإذعانه إذعانا نظريا مجرّدا لفحوى الخطاب وما جاء فيه من آراء ومواقف . وهو يأخذ من الخطابة أيضا توجيه السّلوك ، أو العمل والإعداد له والحضّ عليه ولكنه يظلّ مختلفا عن الخطابة والمنطق من جهة كَسْرِه للثّنائيّة التّقليديّة وجَمْعِه بين التّأثير النظري والتّأثير السّلوكي العملي ، فهو خطابة جديدة بالفعل"[4] .

---

[1] برلمان وتتيكا ، مصنف في الحجاج ، الخطابة الجديدة ، المطابع الجامعية ، ليون ، فرنسا، 1981 ، ج 1 ، ص 92 نقلا عن : سامية الدريدي الحجاج في الشعر القديم من الجاهلية إلى القرن الثالث الهجري، عالم الكتب الحديث الأردن ، ط 1 ، 2007 ، ص 21 .

[2] نعيمة يعمرانن ، الحجاج في كتاب المثل السائر لابن الأثير ، رسالة ماجستير ، إشراف: عمر بلخير ، جامعة مولود معمري ، تيزي وزو 2011 / 2012 ، ص 21 .

[3] عبد الله صوله ، الحجاج أطره ومنطلقاته وتقنياته من خلال : مصنف في الحجاج – الخطابة الجديدة – لبرمان وتتيكا ضمن كتاب أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم ، ص 306 .

[4] هشام فروم ، تجليات الحجاج في الخطاب النبوي ، ص 55.

فالحجاج إذن عند(لبرمان وتتيكا) "معقوليّة وحريّة ، وهو حوار من أجل حصول الوفاق بين الأطراف المتحاورة ومن أجل حصول التّسليم برأي الآخر بعيدا عن الاعتباطيّة واللامعقول اللذين يطبعان الخطابة عادة ، وبعيدا عن الإلزام والاضطرار اللذين يطبعان الجدل ، ومعنى ذلك كله أن الحجاج عكس العنف بكل مظاهره "[1] .

ب . 2 . من منظور لساني :

ربط (أوزفالد ديكرو) O.Ducrot و(جان كلود أنسكومبر) **Gean-Claud-Anscombre** الحجاج باللغة ؛ حيث يرى (ديكرو) أنّ " كل خطاب حالّ في اللغة هو حجاج لأنّه يجعل "الأقوال تتتابع وترتبط على نحو دقيق فتكون بعضها حججا تدعم وتثبت بعضها الآخر ، أي أنّ المتكلم يجعل قولا ما حجّة لقول آخر هو بلغة الحجاج (نتيجة) يروم إقناع المتلقي بها وذلك على نحو صريح واضح أو بشكل ضمني . بمعنى آخر أن المتكلم قد يصرّح بالنتيجة وقد يخفيها فيكون على المتلقي استنتاجها لا من مضمون هذه الأقوال الإخباريّة ، بل اعتمادا على بنيتها اللغويّة فحسب "[2].

ومن المهمّ الإشارة إلى مفهوم أساسي في نظرية (ديكرو) الحجاجية وهو " التّوجيه (L'orientation)،إذ يرى أنّ غاية الخطاب الحجاجي تتمثل في أن تفرض على المخاطَب نمطا من النّتائج باعتباره الوجهة الوحيدة التي يمكن للمخاطب أن يسير فيه " [3] . وعلى هذا النّحو أقرّ (ديكرو) بسلطة الخطاب الحجاجي ، فهو " في نظره خطاب يسدّ المنافذ على أي حجاج مضادّ فيحرص على توجيه المتلقي إلى وجهة واحدة دون سواها ، وبذلك ننتهي إلى ميزتين أساسيتين تميّزان رؤية (ديكرو) الحجاجية هما التأكيد على الوظيفة الحجاجيّة للبنى اللغويّة ، وإبراز سمة الخطاب التّوجيهيّة "[4].

وعلى العموم يمكن القول أنّ الحجاج عند (ديكرو وانسكومبر):

_ قائم في جوهر اللغة .

---

[1] عبد الله صوله ، الحجاج أطره ومنطلقاته وتقنياته ، ص 298 .

[2] سامية الدريدي ، الحجاج في الشعر ، ص 23 .

[3] المرجع نفسه ، ص 23 .

[4] المرجع نفسه ، ص 24 .

ـ واسع جدّا ، فكل قول هو قول حجاجي ، وهذا فيه مبالغة كبيرة لأنّ للغة وظائف أخرى لا تقل أهمّيّة عن الحجاج .

ـ إنّ أعمال هذين الباحثين أعمال بنيويّة تغلق النّص أو الخطاب ولا تتعامل مع خارجه ، وضمن هذا الدّاخل اللغوي تُحيل اللغة على ذاتها لأنّها تعكس عمليّة قولها بحيث يكون معنى القول هو "ما ينقله من وصف وتمثيل لعمليّة قول ذلك القول "[1].

وأهمّ ما ميّز نظريّة (ديكرو) الحجاجيّة السّلّم الحجاجي ؛ حيث اعتبر الحجاج " صنفا مخصوصا من العلاقات المودعة في الخطاب والمدرجة في اللسان ضمن المحتويات الدّلاليّة ، والخاصّيّة الأساسيّة للعلاقة الحجاجيّة أن تكون درجيّة (scalaire) أو قابلة للقياس بالدّرجات ، أي أن تكون واصلة بين سلالم "[2].

إذن إنّ مفاهيم السّلم الحجاجي والتّوجيه الحجاجي يختصّان بالعلاقة الحجاجية سواء أَحُدِّدَت هذه العلاقة لسانيّا أم اندرجت تداوليّا .

ب . 3 . من منظور تداولي :

ارتبط الحجاج بالتّداوليّة لأنّ الخطاب الحجاجي يفترض وجود متكلّم وسامع حيث يكون نيّة أحدهما التّأثير في الآخر، وهذا هو شأن التّداوليّة التي تحاول الإجابة عن الأسئلة من قبيل : من يتكلّم؟ إلى من يتكلّم؟ ماذا يقول حين يتكلّم؟ ماذا يقصد من كلامه ؟

لذا نجد أنّ الخطاب الحجاجي ارتبط بالبعد التّداولي على عدّة مستويات ، " ذلك أنّ الحجاج يعتبر ظاهرة متجسّدة في الخطاب وبه يتحقّق ، فهو متلبّس بألبسة لسانيّة وأسلوبيّة على أساس أنّنا إذا أردنا رصد الصّور الأسلوبيّة في الخطاب الحجاجي أو الصّور البنائيّة الاستدلاليّة ، فإنّنا مبدئيّا سنكون بصدد أفعال كلاميّة لها مرجعيّة مقاليّة ومقاميّة مشتركة بين المتكلم والمستمع أو بين المخاطِب والمخاطَب "[3] .

---

[1] شكري المبخوت ، نظرية الحجاج في اللغة ضمن كتاب أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية ، ص 352 .

[2] صابر حباشة ، الحجاج في التداولية ، مدخل إلى الخطاب البلاغي ، مجلة ثقافات ، تونس، 2011 ، ص 203 .

[3] رضوان الرقبي، الاستدلال الحجاجي التداولي ، ص 69.

وهذا يعني أنّ الحجاج يعدّ مبحثا من مباحث التّداوليّة لارتباطه بالأفعال الكلاميّة من جهة وبالمتكلم والمتلقي ومن جهة أخرى. وهذا ما جعل كل باحث يعرّفه من زاوية معيّنة .

عرّف (ماس) **Mass** الحجاج بقوله هو "سياق من الفعل اللغوي تعرض فيه فرضيّات أو مقدّمات وادّعاءات مُخْتَلَفٌ في شأنها ، هذه الفرضيّات المقدّمة في الموقف الحجاجي هي مشكل الفعل اللغوي ".[1]

وعرّفه طه عبد الرحمان بأنّه " كل منطوق به موجّه إلى الغير لإفهامه دعوى مخصوصة يحقّ له الاعتراض عليها ".[2]

كما عرّفه بصورة أوسع حيث أعطى الحجاج ميزتين رئيستين: " فهو تداولي لأنّ طابعه الفكري مقامي واجتماعي إذ يأخذ بعين الاعتبار مقتضيات الحال من معارف مشتركة ومطالب إخباريّة وتوجّهات ظرفيّة ويهدف إلى الاشتراك جماعيّا في إنشاء معرفة عمليّة إنشاءً موجّها بقدر الحاجة"[3].

أي أنه " ممارسة لفظيّة ، اجتماعيّة ، عقليّة تهدف إلى تقديم نقد معقول حول مقبوليّة الموقف بصياغة مجموعة تراكميّة من القضايا التي تبرر الدّعوى المعبّر عنها في الموقف أو تدحضها فالخطاب الحجاجي ثمرة لقدرة الإنسان الحجاجيّة ذاتها ، لهذا يفترض أن ننظر للحجاج ضمن الإطار الكلي لعمليّة التّواصل الإنساني "[4] .

كما يتحدّد مفهومه بأنّه "ممارسة كلامية تقصد التأثير في الرأي وفي السلوك "[5]. أي يُعنى الحجاج بتوجيه " خطاب إلى متلق لأجل تعديل رأيه أو سلوكه أو هما معا ، وهو لا يقوم إلا بالكلام المتألف من المعجم أو اللغة الطّبيعيّة "[6] .

---

[1] حسين بوبلوطة ، الحجاج في الإمتاع والمؤانسة لأبي حيان التوحيدي ، رسالة ماجستير ، إشراف: إسماعيل زردومي جامعة الحاج لخضر ، باتنة 2009 / 2010 ، ص 37 .

[2] طه عبد الرحمان ، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، المغرب ، 1997 ، ص 226 .

[3] طه عبد الرحمان ، في أصول الحوار وتجديد علم الكلام ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، المغرب ، ط1 ، 2000 ، ص 65 .

[4] عبد الهادي بن ظافر الشهري، آليات الحجاج وأدواته ضمن كتاب الحجاج مفهومه ومجالاته ، ج 1 ، ص 217 .

[5] طه عبد الرحمان ، في أصول الحوار وتجديد علم الكلام ، ص 66 .

[6] محمد الولي ، مدخل نظري تاريخي ضمن كتاب الحجاج مفهومه ومجالاته ، ج 1 ، ص 61 .

فهو خطاب إقناعي يهدف إلى التّأثير في المتلقي " إمّا لتدعيم موقفه وإمّا لتغيير رأيه بتبنّي موقف جديد ، سواء كان هذا الموقف يقتصر على الاقتناع الذّاتي أو يقتضي فعلا ما "[1] .

كما أنّ " ارتباطه بالمتلقّي يؤدّي إلى حصول عمل ما أو الإعداد له ، ومن ثَمّ سيكون فحص الخطابات الحجاجيّة المختلفة بحثا في صميم الأفعال الكلاميّة وأغراضها السّياقيّة ، وعلاقة التّرابط بين الأقوال والتي تنتمي إلى البنية اللغويّة الحجاجيّة "[2] .

ب . 4 . من منظور منطقي :

من أهم التّعريفات المنطقيّة للحجاج ما ورد عند (أندرسين) **Andersen** و(دوفر) **Dover** بأنّه " طريقة لاستخدام التّحليل العقلي والدّعاوي المنطقيّة ، وغرضها حل المنازعات والصّراعات واتّخاذ قرارات محكمة والتّأثير في وجهات النّظر والسّلوك "[3] .

إن اقتراب الحجاج من المنطق جعله يتداخل معه إلى حدّ اختلاط الأمر في بعض الأحيان ، وهذا ما دفعنا للبحث عن علاقة الحجاج بالبرهان .

2 . الحجاج والبرهان :

نلاحظ أن هناك تقاربا شديدا بين الحجاج والبرهان والاستدلال حتى أن هذا الأخير عادة ما يرد مرادفا للحجاج ، ومع ذلك يوجد بعض التميّزات الدّقيقة التي تفرق بينهما . فربّما التّشابه بينهما يكمن في طلب الحجّة والدّليل ، فالحجاج يطلب الحجّة وكذلك الاستدلال والبرهان ولكن الاختلاف في نوعيّة الدّليل .

الاستدلال في اللغة "الاستفعال من استدل أي طلب الدّليل والطّريق المرشد إلى المطلوب"[1]. فمن هنا يمكن القول أن الدّليل والاستدلال يطلقان على الحجّة "من باب التّجوّز أو التّوسّع لأنّ الدّليل أعمّ من الحجّة والاستدلال أوسع من الحجاج ومشتمل عليه"[2].

---

[1] حسين بوبلوطة ، الحجاج في الإمتاع والمؤانسة ، ص 37 .

[2] صابر حباشة ، التداولية والحجاج ، صفحات للدراسات والنشر ، دمشق ، سوريا ، ط 1 ، 2008 ، ص 47.

[3] حسين بوبلوطة ، الحجاج في الإمتاع والمؤانسة ، ص 36 .

فالاستدلال يرتبط بالحجّة ، وهي في الحقيقة نوعان : حجّة قطعيّة وحجّة إقناعيّة ، "فأمّا القطعيّة فهي الحجّة التي تفيد اليقين ولا يقصد بها إلا اليقين بالمطلوب ، وأمّا الإقناعيّة فهي الحجّة التي تفيد الظّن لا اليقين ولا يقصد بها إلا الظّن بالمطلوب"[3] .

وتبعا لنوع الحجّة نميّز بين نوعين من الاستدلال: يقيني، قطعي وهو يمثّل البرهان، وظنّي غير يقيني وهو الحجاج . وهذا يعني أنّ الحجاج "لا يكون فيما هو يقيني أو إلزامي، فنحن لا نحاجج في أمر مأخوذ على أنّه حقيقة يقينيّة راسخة كالحقائق الرّياضيّة مثلا أو في أمر مأخوذ على أنّه أمر صارم واجب النّفاد ، وإنّما يكون الحجاج كما يقول (برلمان) فيما هو مرجّح وممكن ومحتمل "[4].

ومن هنا يتّضح مجال كل من الحجاج والبرهان ، فالحجاج مجاله الخطاب ، والبرهان مجاله المنطق أي أنّ البرهان "يقع في مجال المنطق وقوامه ترابط القضايا التي تصف حالات الأشياء في الكون لذلك فإنّ القياس مثلا لا يمثّل خطابا ، أمّا الحجاج فمجاله الخطاب نفسه الذي تسيّره قوانين داخليّة تفرض استئناف القول فيه على هذا الوجه أو ذاك"[5].

ولتوضيح الفكرة أكثر يمكن مقارنة الحجاج بالبرهان ، فنجد أنّ "الخطاب الطّبيعي ليس خطابا برهانيّا بالمعنى الدّقيق للكلمة ، فهو لا يقدّم براهين وأدلة منطقيّة ، ولا يقوم على مبادئ الاستنتاج المنطقي ، فلفظة الحجاج لا تعني البرهنة على صدق إثبات ما أو إظهار الطّابع الصّحيح (Valide) لاستدلال ما من وجهة نظر منطقيّة ويمكن التّمثيل لكل من البرهنة والحجاج بالمثالين التاليين :

.كل اللغويين علماء .

زيد لغوي .

---

[1] رضوان الرقبي ، الاستدلال الحجاجي التداولي ، ص 74.

[2] المرجع نفسه ، ص 74 .

[3] علي محمد علي سلمان ،الحجاج عند البلاغيين العرب ضمن كتاب الحجاج مفهومه ومجالاته ، ج 1 ، ص 162 .

[4] عبد الهادي بن ظافر الشهري ، آليات الحجاج وأدواته ضمن كتاب الحجاج مفهومه ومجالاته ، ج 1 ، ص 218 .

[5] شكري المبخوت ، نظرية الحجاج في اللغة ضمن كتاب أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من آرسطو إلى اليوم ص 352 .

إذن زيد عالم .

. انخفض ميزان الحرارة .

إذن سينزل المطر .

يتعلق الأمر في المثال الأول ببرهنة أو بقياس منطقي (Syllogisme) أمّا في المثال الثّاني فإنّه لا يعدو أن يكون حجاجا أو استدلالا طبيعيّا غير برهاني "[1].

فالحجاج إذن "لا يفيد اليقينيّة والقطعيّة التي يتّسم بها البرهان " [2]. لأنّه يتعلق بالخطاب الذي ينمو ويتطوّر شيئا فشيئا كما أنّه يرتبط بالمقاصد والسّياقات . ويشير (أوزفالد ديكرو) إلى أنّ "الخطاب الطّبيعي بخلاف الأنساق الصّورية الصّناعيّة ، لا يصرّح بكل مقدّماته المنطقيّة وعِوَضَ أن تكون موضوعاته التي يعبّر عنها محدّدة تحديدا نهائيّا كالبراهين الرّياضيّة ، فإنّها تتحدّد شيئا فشيئا مع تطوّر الخطاب ؛ إنها موضوعات رخوة في مقابل موضوعات المنطق الرّياضي الصّلبة "[3].

إنّ البرهان مجموعة من العمليّات العقليّة المنطقيّة القابلة للحساب الآلي الصّوري "ينتقل فيها الفكر من أشياء مُسَلّم بصحّتها إلى أشياء أخرى نابّجة عنها بالضّرورة ، وتكون جديدة عن الأولى "[4]. مثل إثبات صحّة نظريّة رياضيّة معيّنة وهي تكون صحيحة يقينيّة لا مجال للشّكّ فيها ، كما أنّها صارمة لا ترتبط بقصد المخاطِب أو ما إلى ذلك بعكس الحجاج الذي قد يستفيد من العمليّات العقليّة ولكن بصورة تختلف عن طريقة البرهان . فهو يستخدم "سلسلة من العمليّات العقليّة التي لا تكون بالضّرورة منطقيّة ، وقد تأخذ صبغة تداوليّة ترتبط فيها المعايير بالمعاني والسّياقات بالمقاصد "[5].

---

[1] أبو بكر العزاوي ، الحجاج والمعنى الحجاجي ضمن كتاب التحاجج ، طبيعته ومجالاته ووظائفه ، تنسيق : حمو النقاري ، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط ، سلسلة: ندوات ومناظرات رقم 134 ، المغرب ، ط 1 ، 2006 ، ص 55 ، 56 .

[2] رضوان الرقبي ، الاستدلال الحجاجي التداولي ، ص 74 .

[3] المرجع نفسه ، ص 80 .

[4] المرجع نفسه ، ص 75 .

[5] المرجع نفسه ، ص 80 .

إنّ الحجاج في الخطاب لا يهتمّ بتزيين اللغة فقط للتّأثير في المتلقي بل يعتني أيضا بكل ما له علاقة بإقناعه عن طريق العقل ، وذلك باستعمال حجج عقليّة لأنّ الحجّة في بعض النظريّات تمثّل " استدلالا غير صوري ، وفي البعض الآخر من هذه النّظريّات يمكن للاستدلال الصّوري أن يكون حجّة في بعض سياقات الاستعمال ...وبما أنّ المحقّق وجود حجج من طبيعة مختلفة عن البرهانيّة الصّوريّة الرّياضيّة ، فإنّ ذلك يعني التّسليم أو عدمه بوجود حجج منطقيّة ، أي أنّ بعض الاستدلالات يمكن استخدامها لنهايات حجاجيّة وذلك وفقا للتّصوّر الذي يتبنّاه المرء للحجّة "[1].

فمثلا قد يستعمل القياس في الحجاج ولكنّه يرتبط بقصد المتكلم ، وهذا يوضّح أهمّ ما يميّز الحجاج عن البرهان "سمة القصديّة أو القصد التي تفهم من سياق تواصلي معيّن " [2] . بمعنى أنّ الحجاج آليّة استدلاليّة غنيّة مقارنة بالبرهان لأنّ هذا الأخير يتلخّص في القول "بإمكان كل دعوى صحيحة أن تحظى بإثبات قطعي مستند إلى أدلة العقل الخالص في مسلكه البرهاني الخالي من كل تأثير مضموني ومن كل توجيه معنوي "[3].

فهو لا يهتمّ بالتّأثير في المتلقي ولا بإقناعه ، ولهذا فهو لا يتوافق مع الآداب والفلسفة لأنّها خطابات طبيعيّة لا تتحقّق "إلا بانتهاج مسالك الحجاج لأنّها وحدها الكفيلة في إطار مجال التّداول ومقتضياته التّفاعليّة بتحصيل الإقناع والدّفع إلى العمل ... وميزة كل قول حجاجي أنّه يزاوج بين الصّورة والمضمون لتحصيل الإقناع عكس البرهان الذي يستغني عن المحتوى ، ما يؤكّد أن البرهان آليّة استدلاليّة فقيرة مقارنة بالحجاج "[4].

نخلص من خلال ما سبق إلى النّتائج التالية :

. يعدّ البرهان والحجاج نوعين من أنواع الاستدلال .

---

[1] فيليب بروتون ، جيل جوتييه ، تاريخ نظريات الحجاج ، تر: محمد صالح ناحي الغامدي ، مركز النشر العلمي ، جامعة الملك عبد العزيز ، السعودية ، ط 1 ، 2011 ، ص 16 .

[2] رضوان الرقبي ، الاستدلال الحجاجي التداولي ، ص 81 .

[3] المرجع نفسه ، ص 81 .

[4] المرجع نفسه ، ص 81.

. يتعلّق البرهان بالمنطق الصّوري الصّناعي الصّارم ، والخالي من أي التباس، وله دور فعّال في بناء العلوم كالرّياضيّات والفيزياء والإعلاميّات.

. يختصّ الحجاج بالخطابات الطّبيعيّة التي تتّسم بالخصوبة والتّداول والتّواصل الاجتماعي بسبب غناها النّحوي والمعجمي والدّلالي .

. الحجاج شديد الصّلة بالخطاب ، وغايته الإفحام والإقناع والتّأثير في المتلقي بغضّ النّظر عن صحّة الحجّة وصدقها ، عكس البرهان الذي قد يكون سليما ولكن المتلقي لا يقتنع به ولا يدفعه إلى العمل بمقتضاه .

بالرّغم من ارتباط الحجاج بالخطاب إلا أنّ هذا لا يعني أن كل نص هو نص حجاجي، بل هناك العديد من النّصوص غير حجاجيّة ، وهذا ما جعلنا نتطرّق لضوابط النّص الحجاجي .

3 . ضوابط النّص الحجاجي وخصائصه :

يمكن تمييز النّص الحجاجي من غيره بعدّة ضوابط منها[1] :

أ . أنْ يكون الحجاج ضمن إطار ثوابت مثل الثّوابت الدّينيّة والعرفيّة ، فليس كل شيء قابلا للحجاج .

ب . أنْ تكون دلالة الألفاظ محدّدة والمرجع الذي يحيل إليه محدّدا بيد أن تفاوت التّأويل يكسب الخطاب ثراء وغنى ، ولكن لا يكسبه دقّة ونهاية .

ج . أَلاَّ يقع المرسِل في التّناقض في قوله أو فعله ، ويجب أن يكون الحجاج موافقا لما يقبله العقل وإلا بَدَا زيف الخطاب ووهن الحجّة .

د . أنْ يكون الحجاج جامعا مشتركا بين المتحاجّين لكي يحصل توافق بينهما في إمكانيّة قبول الحجج أو رفضها.

هـ . ضرورة خلوّ الحجاج من الإيهام والمغالطة والابتعاد عنها .

و . امتلاك المرسِل لثقافة واسعة ، فبقدر ما يملك(المرسِل) من ثقافة بقدر ما يملك من حجج .

[1] ينظر : عبد الهادي بن ظافر الشهري ، استراتيجيات الخطاب ، مقاربة لغوية تداولية ، دار الكتاب الجديد المتحدة ، بيروت ، لبنان ، ط 1 2004 ، ص 465 ، 466 .

أمّا إذا انتقلنا إلى خصائص النّص الحجاجي نجد أنّها تتمثل في القصد المعلن والاستدلال الواضح والأفكاره المترابطة والبرهنة ، وقد جمعها (بنوارونو) في النّقاط التالية [1]:

أ . القصد المعلن : إحداث أثرٍ ما في المتلقي أيْ إقناعه بفكرة معيّنة ، وهو ما يعبّر عنه بالطّريقة الإيحائيّة .

ب . التّناغم : يوظّف التّسلسل الذي يحكم ما يحدثه الكلام من تأثيرات سواء أتعلّق الأمر بالفتنة أو الانفعال ، وتكون له معرفة لنفسيّة المتلقي وقدراته . ويتجلى أيضا في نصّه سحر البيان وتتأكّد فتنة الكلام .

ج . الاستدلال : وهو سياقه العقلي أي تطوّره المنطقي ، فالنّص الحجاجي قائم على البرهنة وإذا أعدنا الحجاج إلى أبسط صوره وجدناه ترتيبا عقليّا للعناصر اللغويّة ، والتي بموجبها يستجيب المتلقي لنيّة الإقناع .

د . البرهنة : إليها تُردّ الأمثلة والحجج وكل تقنيات الإقناع مرورا بأبلغ إحصاء وأوضح استدلال ، وصولا إلى ألطف فكرة وأنفذها .

وما نخلص إليه في الأخير هو أنّ النّص الحجاجي أو الخطاب الحجاجي :

. خطاب إقناعي بالضّرورة .

. موجّه للتّأثير في سلوك المتلقّي أو معتقده .

. تتحكم فيه طبيعة المتلقي .

. يعتمد إستراتجية لغويّة خاصّة به .

. يعتمد ربطا منطقيّا ودلاليّا بين أجزائه المكوّنة له .

. غالبا ما يكون للسّياق دور كبير في تحديد نتائجه .

. نتائجه غير ملزمة للمتلقي – غالبا- إذ تخضع لقناعاته وردود أفعاله .

. يعتمد خطاب العقل والعاطفة معا.

. غالبا ما يتّخذ شكل الحوار لتوسيع دائرة النّقاش والأخذ والردّ .

ثانيا _ الحجاج والإقناع :

[1] ينظر: المرجع السابق ، ص 26 ، 27 .

قبل الحديث عن علاقة الحجاج بالإقناع لابدّ من التطرّق إلى مفهوم الإقناع لغة واصطلاحا وإلى ماهيته وأبعاده .

1 . تعريف الإقناع :

أ . لغة :

الإقناع هو "السّؤال والتذلّل والرّضى بالقِسْم... والقَنَاعَةُ : الرّضى كالقَنَع (محرّكة) ... وقَانِع وقَنُوع وقَنِيع وشاهد مَقْنَعُ ؛ أي رضًى يُقْنع به أو بحكمه أو بشهادته ، وأَقْنَعَهُ : أرضاه وقَنَّعهُ (بتشديد النون) تَقْنِيعًا ؛ أي أرضاه ..."[1].

وفي لسان العرب : " قَنِعَ (بالكسر) قُنُوعًا وقَنَاعَةً إذا رضي ، وقَنَعَ (بالفتح) يَقْنَعُ قُنُوعًا إذا سأل والمِقْنع (بفتح الميم) العدل من الشّهود ، يقال : فلان شاهد مقنع ؛ أي رضًا يقنع به . والقَنَاعَةُ الرّضا بالقسم ، وأَقْنَعَهُ الشّيء أي أرضاه ، وأَقْنَعَنِي كذا أي أرضاني "[2] .

وفي المعجم الوسيط نجد أنّ معنى الإقناع هو القبول بالرّأي والاطمئنان إليه ، فنقول: "اقْتَنَعَ ، قَنِعَ بالفكرة أو الرّأي وقَبِله واطمأنّ إليه"[3].

فمن خلال المعنى اللغوي للإقناع يتّضح أنّه يرتبط بالرّضى ، وهذا يعني أن إقناع المتلقي يكون برضاه وطيب خاطره ، ولا يكون بالقوّة و الإكراه .

ب . اصطلاحا :

ليس بعيدا عن المعنى اللغوي نجد أنّ الإقناع (Persuader) في الاصطلاح هو العمليّة التي بها يؤثّر الخطاب في مواقف الإنسان وسلوكه بدون إكراه أو قسر. أي أنّ المتلقي يذعن للمتكلم برضاه وقبوله ، فهو لا يمارس سلطة قهريّة توجب الرّضوخ بالقوّة ولكنه يمثل سلطة تأثيريّة قويّة أي "أنّه محاولة واعية للتّأثير في السّلوك "[1] .

---

[1] مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز أبادي ، القاموس المحيط ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، مصر ، 1979 ، ج3 ص 73 ، (مادة قنع).

[2] ابن منظور ، لسان العرب ، م8 ، ص 297 ، (مادة قنع) .

[3] مجمع اللغة العربية ، المعجم الوسيط ، مكتبة الشروق الدولية ، مصر ، ط4 ، 2004 ، ص 763 ، (مادة قنع) .

وهذا يعني أنّه "نشاط لساني مشحون بأنشطة فكريّة ، تنتج عنها آثار سلوكيّة تتجسّد في شكل مواقف مجاله الخطاب ، يرتكز على المنطق والحجّة ويتطلب درجة عالية جدّا من الثّقافة والدّراية النّفسية بالآخر"[2].

فالمتكلم من خلال خطابه يحاول تغيير سلوك المتلقي ، وهذا التّغيير يكون على شقّين : إمّا بالدّفع إلى العمل أو الإحجام عنه ، أي أنّ "الإقناع هو حمل النّفوس على فعل شيء أو اعتقاده أو التخلّي عن فعله واعتقاده " [3] . هذا لا يكون إلا بالتّأثير في فكر المتلقي وعاطفته يقول (هنريش بليث) : "الإقناع قصد المتحدّث إلى إحداث تغيير في الموقف الفكري أو العاطفي عند المتلقي " [4] . أي أنّ الإقناع يرتبط بقصديّة المتكلم فهو يسعى دوما وبوعي تام إلى دفع المستمع لفعل معيّن أو لتغيير سلوك معيّن أو معتقد .

وهذا الهدف يتحقّق بوساطة وسائل وتقنيّات تتعلّق في مجملها بمقاصد الخطاب والمتكلم المحاجج ودور المستمع المتلقي واللغة التّخاطبيّة المدرجة ضمن الخطاب ، فقصديّة المتكلم لا تخرج عن ثلاثة أنماط أساسيّة لا تنفصل عن بعضها البعض بل إنّها متداخلة على الدّوام ، وهذه الأنماط تضمّ مُكوّنا تعليميّا ومُكَوّنا حجاجيّا ومُكَوّنا أخلاقيّا هي[5] :

. الغرض التعليمي : ويهتمّ بإخبار المتلقي بواقع ما دون استدعاء العواطف ، ويتولاّه الجانب الإخباري من الخطاب .

. الغرض الحجاجي : يتمثل في جعل موضوع الخطاب ممكنا بالرّجوع إلى العقل. ويمكن أن يتحقّق هذا الغرض بالحجّة المادّية ، وبالحجّة المنطقيّة وشبه المنطقيّة ويمتدّ مجال هذا النّشاط إلى الجانب الاستدلالي للخطاب .

---

[1] محمد العبد ، النص الحجاجي العربي ، دراسة في وسائل الإقناع ضمن كتاب الحجاج مفهومه ومجالاته ، ج 2 ، ص 678 .

[2] هشام فروم ، تجليات الحجاج في الخطاب النبوي ، ص 106 .

[3] عبد السلام عشير ، عندما نتواصل نغير ، مقاربة تداولية معرفية لآليات التواصل والحجاج ، إفريقيا للشرق ، الدار البيضاء ، المغرب ، 2006 ص 22 .

[4] هنريش بليث ، البلاغة والأسلوبية ، نحو نموذج سيميائي لتحليل النص ، تر: محمد العمري ، الدار البيضاء ، المغرب ، ط1 ، 1989 ، ص 64.

[5] ينظر : عبد الهادي بن ظافر الشهري ، استراتيجيات الخطاب ، ص 464 ، 465 .

. الغرض الأخلاقي : ويتعلّق بتعليم المستمع في مجال الأخلاق ، ويتضمن عناصر تعليميّة واحتجاجيّة ، كما يتضمّن دعوة إلى العقل . وتسجّل عناصر النّصح هنا الانتقال من المقاصد الفكريّة إلى المقاصد العاطفيّة .

إنّ الانتقال من المقاصد الفكريّة إلى العاطفيّة ثم إلى العمليّة يؤدّي بنا إلى التّدرّج في الإقناع أي أنّ هناك اقتناعا ثم إقناعا. وهذا ما يحيلنا إلى التّطرّق لمفهوم الاقتناع .

يُعرّف الاقتناع (Conviction) في الاصطلاح كما يلي : " والاقتناع بالشّيء هو الرّضى به ويطلق على اعتراف الخصم بالشّيء عند إقامة الحجّة عليه . وهو على العموم إذعان نفسي لِمَا يجده المرء من أدلّة تسمح له بقدر من الرّجحان والاحتمال كاف لتوجيه عمله ، إلا أنّه دون اليقين في دقّته " [1] .

نجد أنّ الاقتناع يتّفق مع المعنى اللغوي للإقناع وهو الرّضى بالرّأي . لهذا يمكن اعتبار الاقتناع مرحلة أولى للإقناع أي رضى المتلقي فكريّا بالحجّة المقدّمة والذي بدوره "يقود إلى التّأثير الذّهني في المتلقي وإذعانه إذعانا نظريّا مجرّدا لفحوى الخطاب وما جاء فيه من آراء ومواقف " [2] . أي حصول "إذعان نفسي و حالة طمأنينة تسكن فيها النّفس ويخضع فيها سلطان العقل للأدلّة العقليّة "[3]. وهذه المرحلة ضروريّة ولابدّ منها لأنّها المحفّز والدّافع للعمل وتغيير السّلوك وهذا هو عين الإقناع .

إذن الاقتناع بوّابة الإقناع الذي "ينشد الفِعْل في المتلقي ويروم التّأثير فيه وتوجيه أفكاره وسلوكه الوجهة التي يريد " [4] من خلال الحجاج الذي يجمع بين التّأثير النّظري والتّأثير السّلوكي العملي .

وخلاصة القول أن هناك علاقة وطيدة بين الحجاج والإقناع وهذا ما سنحاول توضيحه في هذا العنصر .

2 . علاقة الحجاج بالإقناع :

[1] طه عبد الله محمد السبعاوي ، أساليب الإقناع في المنظور الإسلامي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 2005 ، ص 15 .

[2] سامية الدريدي ، الحجاج في الشعر ، ص 22 .

[3] المرجع نفسه ، ص 15 .

[4] المرجع السابق ، ص 70 .

إنّ مصطلحي الحجاج والإقناع يقتربان من بعضهما البعض إلى حدود التّداخل وذلك أنّ أحدهما هو غاية الآخر ، والثاني هو وسيلة الأوّل في بلوغ غايته . ويمكن توضيح ذلك بالقول أنّ غاية الحجاج هو الإقناع وهذا يعني "أنّ قضيّة الإقناع لا تتحدّد في ذاتها ، إنّما هي مرهونة بمدى نجاعة الحجاج "[1] .

فنجاعة الحجاج تكمن في إقناع الطّرف الثاني بما يطرحه الطّرف الأوّل في العمليّة الحجاجيّة ، أي مدى وصول الخطاب إلى ذهن المتلقي وإذعانه لما يطلبه المتكلم . هذا من جهة ، ومن جهة أخرى فإنّ الحجاج هو الآليّة الأبرز من آليّات الإقناع وتقنياته ، فهو لا يسعى إلى إفهام المتلقي فقط بل يتجاوز ذلك إلى الغرض التّداولي وهو تحصيل الإقناع .

أي تجاوز الإفهام إلى الإقناع ومن ثَمَّة إلى العمل والممارسة والتّغيير ، وهذا ما أكّد عليه (لبرمان وتتيكا) بأنّ الحجاج "إذعان العقول بالتّصديق لما يطرحه المرسِل أو العمل على زيادة الإذعان هو الغاية من كل حجاج ، فأنجع حجّة هي التي تنجح في تقوية حدّة الإذعان عند مَنْ يسمعها وبطريقة تدفعه إلى المبادرة سواء بالإقدام على العمل أو الإحجام عنه ، أو هي على الأقل ما يحقّق الرّغبة عند المرسَل إليه في أن يقوم بالعمل في اللحظة الملائمة " [2].

ومنه بأن هذا التّعريف يقودنا إلى معرفة أهمّيّة الإقناع ، وهو لبّ العمليّة الحجاجيّة ، وهو الأثر المستقبلي الذي يتحقّق بعد التلفظ بالخطاب لينتج عنه إذعان عقلي فحسب أو إذعان عقلي مصحوبا بممارسة فعليّة لعمل معيّن ، أو اتّخاذ موقف سواء بالإقدام أو الإحجام .

أي أنّ هدف المتكلم من خطابه الحجاجي ليس إبراز قوّته الاستدلاليّة واللغويّة أو إفهام المتلقي فقط بل إنّ خطابه غائي موجّه "غايته القصوى إقناع المتلقي بما يحمله من أفكار وما يعرضه من مواقف أو إغرائه بهذه الأفكار وتلك المواقف ليُحْدِث في نهاية المطاف أثرا واضحا في المتلقي لا من حيث أفكاره فحسب ، بل من حيث مواقفه وما قد يكون له من سلوك واقعي ملموس "[3].

---

[1] عبد السلام عشير ، عندما نتواصل نغير ، ص 22 .

[2] عبد الهادي بن ظافر الشهري ، استراتيجيات الخطاب ، ص 457 .

[3] سامية الدريدي ، الحجاج في الشعر ، ص 35 .

وهذا يؤدّي بنا إلى نوعين من الحجاج حسب (برلمان وتتيكا) ، هما "حجاج إقناعي وهو يرمي إلى إقناع الجمهور الخاصّ ، وحجاج اقتناعي وهو حجاج غايته أن يسلّم به كل ذي عقل " [1]. فالاقتناع عندهما يرتبط بما هو "عقلي على اعتبار أنّه إذعان نفسي مبني على أدلّة عقليّة ، أكثر من الإقناع الذي قد يرتبط بما هو ذاتي باعتباره يتضمّن السّماح للمتكلم باستعمال الخيال والعاطفة في حمل الخصم على التّسليم بالشيء " [2].

إن مفهوم الإقناع يقترب من مفهوم الحجاج الذي هو طرح الحجج والبراهين التي تجعل المتلقي يذعن دون إكراه أو قسر .

إذن إنّ " للظّواهر الحجاجيّة أهمّيّة كبرى في عمليّة الإقناع لكونها تقدّم الحجج والبراهين وتربطها بالنّتيجة ، والحجاج المبني على براهين صادقة حتما يؤدّي إلى نتائج صادقة أمّا الحجاج المبني على براهين كاذبة فمآله الدّحض والنّقض . فالحجّة الصّادقة تعبّر عن شخصيّة صاحبها ؛ ذلك أنّ السّامع إذا علم أنّ الخطاب صادر عن قلب منافق وضمير مخادع لا يلقي له بالا ، بل سيكون ذلك أدعى للنّفور عمّا يريد المتكلم إقناع السامعين به والانصراف عنه إلى ما يراه أفضل . وبذلك فإنّ الصّدق في القول ومطابقة الظّاهر للباطن أساس مهمّ من أسس الإقناع "[3].

لهذا نجد أنّ الحجاج في الخطاب القرآني كان دائما "عنصرا مهمّا في عمليّة الإقناع وفي إدراك الحقّ وقبوله ، ولقد أعطى القرآن الكريم العقل مكانة كبيرة ونوّه به في العديد من الآيات ... لأنّ الإسلام يريد أن يحصل الإنسان على القناعة الذّاتيّة المرتكزة عن الحجّة والبرهان في إطار الحوار الهادئ العميق في قضايا العقيدة وغيرها "[4] .

فالإقناع يلامس النّفوس والقلوب ويهزم القديم في أنفس النّاس . وهزم القديم ليس لقِدَمِه وإنّما لفساده وبطلانه . بعد أن لامس الاقتناع العقول .

---

[1] عبد الله صوله ، الحجاج أطره ومنطلقاته ، ص 301 .

[2] المرجع نفسه ، ص 301 .

[3] آمنة بلعلى ، الإقناع المنهج الأمثل للتواصل والحوار ، نماذج من القرآن والحديث ، مجلة التراث العربي ، ع 89 ، محرم 1424 ، 23 مارس 2003 ، ص 225 .

[4] المرجع السابق ، ص 225 .

وخلاصة القول : إنّ الحجاج "يرسم لنفسه غاية لا يحيد عنها هي الاضطلاع بدور ريادي قيادي فينشد التّغيير والتّطوير" [1]. ولهذا فهو لا يقتصر على متلقٍّ فَرْدٍ ، بل قد يكون مجموعة أو شعبا أو الإنسانيّة قاطبة لأنّه يطمح إلى إقناع أكبر عدد من المتلقين ، أو ما يسمّى بالمتلقي الكوني .

فالحجاج في أرقى صوره "ينزع عبر التوجّه إلى متلقٍّ خاص إلى إقناع المتلقّي الكوني إضافة إلى أن الحجج تزداد قوة وتألقا كلما افترضت جمهورا من المتلقين أوسع وأخذت على عاتقها إقناعهم بطريقة أرقى وأفضل " [2] . وتحقيق هذا التّغيير أو التّبدل في أفكار المتلقي ومواقفه يعتبر دليلا على نجاح الخطاب الإقناعي ووجاهة الحجاج المعتمد .

وفي الأخير يمكن القول أن الإقناع غاية الحجاج ومنتهاه ، والحجاج مطيّة الإقناع للوصول إلى التّغيير المنشود ، لأنّه جسر يربط بين الكلمة والفعل "إذ حين يضطلع الكلام بوظيفة الحجاج يصبح محرّكا للفعل ، صانعا للرّأي والفكرة والموقف" [3].

ثالثا ـ وسائـل الإقناع : (تقنيات الحجاج وروافده)

إنّ الإقناع كما أسلفنا هو غاية الحجاج ومنتهاه ، والحجاج بدوره هو وسيلة الإقناع ومطيّته للوصول إلى هدفه ، ومن هنا يتّضح لنا أن وسائل الإقناع ما هي إلا تقنيّات الحجاج التي تساهم في تحقيق نجاحه .

إنّ نجاعة الحجاج وتحقيق الإقناع تعني رصد واختبار كل العناصر المكوّنة للخطاب وهو ما أكّده (أوريلان) في كتابه المعنون بـ (الحجاج) حين قال :"الحجاج انتقائي باعتبار الأهداف المرصودة إذ يقع اعتماد ما يمكن من تدعيم أو تأكيد النظرية بل ما يعدّ أقوى الحجج وأوكد البراهين وفي المقابل يستبعد ما سوى ذلك " [4]. فالمتكلم يختار كل العناصر التي من شأنها أن تزيد في قوة إقناع المستمع بهدف دفعه لفعل معيّن أو لتغيّر سلوك أو معتقد .

---

[1] سامية الدريدي ، الحجاج في الشعر ، ص 35 .

[2] المرجع نفسه ، ص 35 .

[3] المرجع السابق ، ص 78 .

[4] بيار أوريلان ، الحجاج ، المطبوعات الجامعية بفرنسا ، فرنسا ، 1993 ، ص 87 . نقلا عن : سامية الدريدي ، الحجاج في الشعر ، ص 41.

وهذا الهدف يتحقّق بوساطة وسائل وتقنيات تتعلّق في مجملها بمقاصد الخطاب ، والمتكلم المحاجج ودور المستمع المتلقي ، واللغة التّخاطبيّة المدرجة ضمن الخطاب .

ويمكن تصنيف وسائل الإقناع اعتبارا بما ترتبط به ، فمنها الوسائل النّفسيّة ، اللغويّة والبلاغيّة والمنطقيّة وشبه المنطقيّة ، وهو ما سيكون مجال التّطبيق في الفصل الثاني أمّا في هذا الفصل نكتفي بعرض نظري لهذه الوسائل .

إنّ المقصود بالوسائل النّفسية الاجتماعيّة كل ما له علاقة بالمتكلم ، ويساهم مساهمة فعّالة في أداء دوره أداءً ناجحا كمحاجج مقنع لغيره ، قادر على تهيئة مستمعه كما يقصده من خطابه "فالحجاج في النّهاية ليس سوى دراسة لطبيعة العقول ، ثم اختيار أحسن السّبل لمحاورتها والإصغاء إليها ، ثم محاولة حيازة انسجامها الإيجابي ، والتحامها مع الطّرح المتقدّم ، وإذا لم توضع هذه الأمور النّفسيّة والاجتماعيّة في الحسبان ، فإنّ الحجاج يكون بلا غاية وبلا تأثير "[1].

أمّا الوسائل اللغويّة والبلاغيّة والمنطقيّة ، فتتمثل في دور لغة الحجاج المتعمدة أثناء التّخاطب "فاللغة في الخطاب الحجاجي تقوم بدور جوهري وفاعل في تحقيق التّأثير والاستمالة ، فالمفردات والتّراكيب التي يختارها المتكلم لوصف حدث ما ، تعكس موقفه تجاه ذلك الحدث " [2] ، وبالتالي تؤثّر في المتلقي بالسّلب أو بالإيجاب أي بالقبول لذلك الموقف أو برفضه .

إذن لابدّ من تضافر كل هذه الوسائل حتى يؤدّي الحجاج وظيفته ويحقّق الإقناع المنشود.

I. . الوسائل النّفسيّة والاجتماعيّة :

لا يتوقّف الحجاج عند حدّ اللغة ولا يتمثل في فكّ رموزها فحسب ، بل يضمّ الجوانب النّفسيّة والاجتماعيّة المحيطة بالمتكلم لأنّه ليس مجرّد تواصل عادي يهدف إلى الإفهام ولكن غايته التّأثير والاستمالة .

---

[1] برلمان وتيتكا ، مصنف في الحجاج ، ج 1 ، ص 18 . نقلا عن : حمدي منصور جودي ، خصائص الخطاب الحجاجي وبنياته الإقناعية في أعمال البشير الإبراهيمي ، دراسة لنماذج نصية مختارة ، رسالة ماجستير ، إشراف محمد خان ، جامعة محمد خيضر ، بسكرة ، 2007 / 2008 ، ص 60 .

[2] جميل عبد المجيد ، البلاغة والاتصال ، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع ، القاهرة ، مصر ، د.ط ، 2000 ، ص 118 .

وقريب من هذا الشأن "يذهب (برلمان) إلى أنّ الخطاب الحجاجي وهو يلزم الباثّ بوجهة نظر معيّنة ويتّخذ من إقناع المتلقي بها هدفا أساسيا إنّما يبتعد عن كونه مجرّد تواصل عادي من جهة أنّه لا يقوم على مجرّد التّبليغ الذي يقتضي من المتلقي مجرّد فكّ الرّموز بوساطة اللغة ليكون الفهم ، بل يقوم على الفعل في هذا المتلقي ويقتضي منه تأويلا محدّدا للخطاب ... ويخلص (برلمان) من هذا كله إلى نتيجة أساسيّة مفادها أنّ العلاقة بين الباثّ والمتلقي ليست معطى (Une Donnée) كما هي عليه من وجهة نظر سكونيّة (Statique) بل هي موجّه يقود الخطاب في كل مراحله "[1] .

هذا يعني أنّ استمالة المتلقي والتّأثير في مواقفه لا ترجع إلى الرّسالة فحسب بل حتى إلى الإرسال نفسه ، " فتأثّر المتلقي واستجابته للرّسالة يرجع – أكثر ما يرجع – إلى الإرسال نفسه إلى الصّورة والمظهر"[2] أي هيئة الباثّ وكذلك ثقافته وأخلاقه ومدى صدقه وما إلى ذلك من السّمات والشّروط التي يجب أن تتوفّر في المتكلم والتي نوجزها فيما يأتي :

. دراية المتكلّم وقدرته على الإحاطة بالمستمع الذي يوجّه إليه خطابه الحجاجي ورصيده الثّقافي الحضاري ، وتطلّعاته وطموحاته . لأنّ الخطأ في تصوّر هذا المستمع لا يوصل إلى النّتائج المرجوّة .

. حسن اختيار المتكلم للحجج المعتمدة في الحجاج ، والتي تمكّن من شدّ انتباه المستمع والتّأثير فيه .

. سعي المتكلم إلى تحقيق المشاركة أو (مبدأ التّعاون) أثناء الخطاب ، لأنّ الحجاج حوار وتواصل وليس فرضا وإلزاما على المستمع .

. اعتماد المتكلم المحاجج لغة طبيعيّة ، مع حسن تأديتها بعيدا عن الانفعال والتكلّف ، غايتها استمالة مشاعر المستمع من خلال مخاطبة وجدانه وعواطفه .

. إبراز المتكلم المحاجج لمدى اقتناعه بصحّة ما يقصد من نتائج ، وظهور ذلك في واقعه العملي الملموس .

II. . وسائل الإثارة والتأثير :

[1] سامية الدريدي ، الحجاج في الشعر ، ص 32 .

[2] جميل عبد المجيد ، البلاغة والاتصال ، ص 148 .

ربّما آثرنا هذه التّسمية ، الإثارة والتأثير ، لأنّ المتكلم يعمد إلى كل ما من شأنه أن يثير عقل المتلقي ونفسه فيذعن وينقاد له ، وبالتالي يؤثّر فيه سواء أكان هذا التّأثير في الفكر أو في السّلوك والمواقف . ويمكن التمييز بين نوعين من وسائل الإثارة ، وهي : الوسائل اللغوية ، والوسائل البلاغية .

ولابدّ من تضافر هذه الوسائل كلها والتفاعل بينها جميعا وبين أنماطها المختلفة من أجل أداء الوظيفة الإقناعيّة ، ولكننا سنتطرّق لكل نوع على حده وذلك بتوضيح صوره وهيئاته البنائية والدّور الخاصّ الذي يشغله في تلك الوظيفة العامّة .

أي أنّنا سنركّز في هذا الجزء من البحث على مختلف الفنّيّات التي يعمد إليها المتكلم للإقناع أو الحمل على الإذعان ، فنّيّات تتفاوت من نص إلى آخر، ومن رسالة إلى أخرى ويختلف من غرض إلى غرض ، ولكنّها " تؤكّد على كل حال أنّ الحجاج لا يعني حشد الحجج ، وربط مفاصل الكلام وتعليق بعضه بالبعض الآخر فحسب ، بل يعني كذلك جملة من الاختيارات الأخرى على مستوى التّركيب وأزمنة الأفعال وصيغ الكلمات وأنواع الصّور ومصادر التّصوير...اختيارات تراعي غاية الخطاب ، وتستجيب لعلاقة المتكلم بالمتلقي ، وتلائم وضع المتلقي ومقتضيات المقام "[1].

1 . الوسائل اللغويّة :

إنّ اللغة هي الحامل المادّي لفكر المتكلم وآرائه وهي التي يتوسّل بها لإقناع المستمع أي أنّها "وسيلة لفرض سلطة على الآخرين ، من نوع استدراجهم إلى الدّعوى المعبّر عنها وإقناعهم بمصداقيّتها "[2]. وذلك لِمَا للغة من بُعْد نفسي واجتماعي قادر على جذب المتلقي والتّأثير فيه وخاصّة عندما تكون اللغة طبيعيّة بعيدة عن التّكلّف والتّصنّع والانفعال .

وفيما يلي سنحاول استكشاف الوسائل اللغويّة ذات الصّلة الوطيدة بالإقناع ، وتحليل أنماطها المختلفة .

[1] سامية الدريدي ، الحجاج في الشعر ، ص 88 .

[2] محمد العبد ، النص الحجاجي العربي ، ص 709 ، 710 .

يمكن أن نميّز بين نوعين من الوسائل اللغوية : الأفعال اللغويّة والبنى اللغويّة التي تندرج ضمنها (التكرار ، الازدواج...) ولكل منهما دور فعّال في عمليّة الإقناع .

إذا كان الإقناع هو مجال المبحث الحجاجي ، فإن الدّفع إلى الفعل هو أهمّ وظيفة حجاجيّة في هذا المجال ، حيث يتطلّب" وعيا بآليّات من شأنها تحريك المعنيّين بالكلام صوب الفِعْل وتغييره بما ينسجم مع المقام ، وتتطلّبه مقاصد النّص وطموحات الخطيب (المتكلم أو المخاطب) بوصفه مفكّرا وحاملا لرؤية معيّنة يسعى إلى إرسالها ، أو جعلها راجحة في مواجهة حجج أخرى مناوئة "[1] .

إنّ " الحجّة لها غاية إقناعيّة أصيلة لأنّها تبحث عن إقناع المتلقي بفكرة ما ، وجَعْلِه يتّخذ سلوكا معيّنا ، أي أنّ الاهتمام بالحجّة يقتضي ضمنيّا الاهتمام بالإقناع "[2].

وقد ربط عبد الهادي بن ظافر الشّهري الحجاج بالإقناع ، فيقول: "الحجاج هو الآليّة الأبرز التي يستعمل المرسِل اللغة فيها وتتجسّد عبرها استراتيجيّة الإقناع "[3] . فالحجاج فنّ الإقناع ، والإقناع حاضر في كل خطاب كما تؤكده النظريّة الحديثة .[4]

وبما أنّ الحجاج "إجمالا عبارة عن مختلف الوسائل الاستدلاليّة الطّبيعيّة التي تستهدف أساسا إقناع المخاطَب بقول ما بالبناء على ما يُعلم ... أو يُفترض أن المخاطَب يسلّم به من أقوال غيره " [5] فإنّ هدف المتناظرين يتجاوز إقناع المتلقي المقصود إلى إقناع المتلقّين الآخرين سواء أكان ذلك بإقناعهم باللغة أو بالبناء الشّكلي للخطاب أو بالمعاني الواردة فيه .

أ . الأفعال الكلاميّـة :

[1] هاجر مدقن ، الخطاب الحجاجي أنواعه وخصائصه ، دراسة تطبيقية في كتاب المساكين للرافعي ، رسالة ماجستير إشراف : جمال كديك جامعة ورقلة ، 2003/2002 ، ص 30 .

[2] فيليب بروتون ، جيل جوتييه ، تاريخ نظريات الحجاج ، ص 14.

[3] عبد الهادي بن ظافر شهري ، استراتيجيات الخطاب ، ص 456 .

[4] ينظر : حسن خميس الملخ ، الحجاج في الدرس النحوي ، ص 124 .

[5] طه عبد الرحمن ، اللسان والميزان ، ص 393 .

اهتمّت نظريّة أفعال الكلام بدراسة اللغة الطبيعيّة في جانبها الاستعمالي الفعلي ، والذي لا يعني "إبراز منطوق لغوي فقط ، بل إنجاز حدث اجتماعي معيّن في الوقت نفسه " [1] . وقد ارتبطت هذه النّظريّة بكل من (أوستين وسورل) ، حيث اتّضحت ملامحها مع (أوستين) **Austin** .

نظر (أوستين) للغة من منطلق تداولي ، فهي —حسبه- لا تنحصر في التّعبير عن الوقائع والأحداث بل تؤدّي وظيفة ، لذا فهو يعارض الذين يرون أن "اللغة وسيلة لوصف الوقائع الموجودة في العالم الخارجي بعبارات إخباريّة ، ثم يكون الحكم بعد ذلك على هذه العبارات بالصّدق إن طابقت الواقع ، وبالكذب إن لم تطابقه . وإذا لم تطابق العبارة واقعا فليس من الممكن الحكم عليها بصدق أو كذب ومن ثَمّ فلا معنى لها "[2] .

فهو يرى أن هنالك نوعا من العبارات لا يخضع لقانون الصّدق والكذب وهو ما "يشبه العبارات الوظيفيّة في تركيبها لكنّه لا يصف وقائع العالم " [3] ، ولا ينشئ قولا وإنّما يؤدّي فعلا ووظيفة من وظائف اللغة المتعدّدة كالأمر والتّمنّي والشّكر والتّهنئة والتّحذير والاستفهام . أي أنّ اللغة " ليست وسيلة للتواصل فقط وإنّما هي أيضا وسيلة للتّأثير في الواقع وتغيير سلوكنا ومواقفنا "[4] .

وهذا ما دفع (بأوستين) إلى التّمييز بين نوعين اثنين من الأفعال هما [5] :

. أفعال إخباريّة : (**actes constatifs**) هي الأفعال التي تصف وقائع العالم الخارجي والتي يمكن الحكم عليها بالصّدق والكذب .

---

[1] فان دايك ، علم النص ، مدخل متداخل الاختصاصات ، تر : سعيد حسن بحري ، القاهرة ، مصر، ط 1 ، 2001 ، ص 18 .

[2] محمد أحمد نحلة ، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر ،دار المعرفة الجامعية ، مصر ، د.ط ، 2002 ،ص 42 .

[3] المرجع نفسه، ص 43 .

[4] علي آيت أوشان ، السياق والنص الشعري "من البنية إلى القراءة" ، مطبعة النجاح الجديدة ، الدار البيضاء ،المغرب ط1 ، 2000 ، ص 63.

[5] ينظر : محمد أحمد نحلة ، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر ، ص 44 ، 45 .

. أفعال أدائيّة : (actes performatifs) هي الأفعال التي لا تصف ولا تخبر ولا يمكن الحكم عليها بالصّدق أو بالكذب ، وإنّما التّلفظ بها في ظرف محدّد يؤدّي إلى تحقيق فعل في الواقع كالتّسمية والوصيّة والاعتذار والنّصح والوعد .

والنّوع الثاني هو الذي اهتم به (أوستين) ووضع له شروطا تكوينيّة وقياسيّة حتى يؤدّي فعلا في الواقع ، فأمّا التّكوينيّة فتتعلّق بالفعل في حدّ ذاته من حيث إمكانيّة تنفيذه ، وقدرة النّاس على ذلك من خلال ملفوظ محدّد ، وأمّا القياسيّة فتُمَثِّل صدق المشاركين في هذا الفعل من حيث المشاعر والنّوايا والالتزام به .

إذن الفعل الإنجازي هو بيت القصيد في هذه النّظريّة ، ويعرّفه (أوستين) بأنّه "ما نقوم به من خلال كلامنا " [1] . أي الأثر الذي ينتج عن كلامنا في الواقع ، أمّا (فان دايك) فقد ربطه بمفهوم الحدث فهو عنده " كل حدث حاصل بواسطة الكائن الإنساني "[2] .

لذا فإنّ للفعل الإنجازي قوّة تأثيريّة تلعب دورا هامّا في عمليّة الإقناع ، ومن هنا يمكن القول أنّه ذو "مؤثّريّة كاملة إذا تطابق الأثر النّهائي أو النّتيجة النّهائيّة مع الغرض المنشود"[3] .

من خلال ما ذكرنا يتّضح أن للفعل الكلامي ثلاثة أفعال فرعيّة هي [4] :

. الفعل التّعبيري (القولي) :(actes locutoire) ويعني إنشاء تعبير لغوي ذي معنى، ويعتبر فعل اللفظ هو الأساس .

. الفعل الوظيفي (الإنجازي): (actes illocutoire) ويعني أنّنا نصوغ لفظا ليؤدّي وظيفة نريد إتمامها فهو يُمثّل عملا ينجز بقول ما .

---

[1] فرانسواز أرمينكو ، المقاربة التداولية ، تر : سعيد علوش ، مركز الإنماء القومي ، الرباط ، المغرب ، د.ط ، 1986 ، ص 61 .

[2] فان دايك ، النص والسياق ، استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي ، تر : عبد القادر قنيني ، إفريقيا الشرق ، الدار البيضاء ، المغرب د.ط ، 2000 ، ص 228 .

[3] المرجع السابق ، ص 237 .

[4] ينظر : جورج يول ، التداولية ، تر :قصي العتابي ، دار الأمان ، الرباط ، المغرب ، ط1 ، 2010 ، ص 82 ،83 .

. **الفعل التّأثيري** : (**actes perlocutoire**) ويعني إحداث تأثير معيّن في المتلقي عن قصد لأنّنا لا ننشئ لفظا ذا وظيفة معيّنة دون قصد . يقول (أوستين) : " لا يمكن أن يكون الفعل الإنشائي (الإنجازي) ناجحا تامّا دون أن يحدث تأثيرا على المخاطب (المتلقي)"[1] .

وبناء على القوّة الإنجازيّة قسّم (أوستين) أفعال الكلام إلى خمسة أنواع هي[2] :

. **الأفعال الحُكْمِيّة (الإقراريّة)** : مثل حكم ، وعد ، وصف .

. **الأفعال التّمرّسيّة** : مثل إصدار قرار لصالح أو ضد ...، أمر ، قاد ، طلب .

. **أفعال التكليف (الوعديّة)** : تُلْزم المتكلم : وعد ، تمنى ، التزم بعقد ، أقسم ..

. **الأفعال العرضيّة (التّعبيريّة)**: عرض مفاهيم منفصلة مثل :أكد ، أنكر ، أجاب ، وهب.

. **أفعال السّلوكات (الإخباريّات)** : ردود أفعال ، تعبيرات تجاه السلوك مثل: اعتذر ، هنّأ رحّب ...

وقد تطوّرت نظريّة أفعال الكلام على يد (سورل) الذي يعدّ أول من قدّم توضيحا وافيا لفكرة (أوستين) ، حيث " شرحها أكثر بتقديمه شروط إنجاز كل فعل ، إلى جانب بيانه شروط تحوّل فعل من حال إلى أخرى ، وآليّات ذلك وتوضيح خطوات استنتاج الفعل المقصود "[3] .

وقد قسّم (سورل) أفعال الكلام إلى خمسة أصناف ، وهي كالآتي [4] :

. **الإخباريّات** : يتمثل غرضها الإنجازي في نقل واقعة ما من طرف المتكلم بدرجات متفاوتة بوساطة قضية أو قضايا معينة . وتدرج في هذا القسم كل الأفعال الدّالة على التّوضيح ، وأغلب الأفعال الدّالة على الأحكام .

---

[1] ذهبية حمو الحاج، لسانيات التلفظ وتداولية الخطاب ، دار الأمان ، الجزائر ، د.ط ، د.ت ، ص 126 .

[2] ينظر :خليفة بوجادي ، في اللسانيات التداولية مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم ، بيت الحكمة ، الجزائر ، ط 1 ، 2009 ، ص 97 .

[3] المرجع السابق ، ص 98 .

[4] ينظر: نعمان بوقرة ، مدخل إلى التحليل اللساني للخطاب الشعري ، عالم الكتب الحديث ، الأردن ، ط 1 ، 2008 ، ص 101 ، 102 103 .

. التّوجيهيّات : تقوم على محاولة توجيه المخاطب إلى فعل سلوك ما في المستقبل، وشرطها الإرادة والرّغبة الصادقة ، وتمثلها صيغ الاستفهام والأمر والنّهي والرّجاء والنّصح والتّشجيع والدّعوة والإذن والاستفسار ، والسّؤال والتّحدي . وتدخل كثير من أفعال القرار في هذا القسم كما تندرج فيه ما سمّاها (أوستين) السّلوكيّات التي تعبّر عن ردّ فعل سلوك الآخرين .

. الإلزاميّات (أفعال التعهّد) : يلتزم المتكلم بدرجات متفاوتة بالقيام بأفعال ما مستقبلا عن قصد وإخلاص. والسّمة المميّزة لهذا النّوع عن سابقه كونه لا يبتغي التّأثير في السّامع ، ومن أمثلته : أتعهّد ، أضمن ، أقسم ، أتعاقد على ...

. التّعبيريّات : غرض هذا الصّنف التّعبير عن مواقف نفسيّة تعبيرا مخلصا وصادقا. وتندرج فيه كل أفعال الشّكر والتّهنئة والاعتذار والتّعزية والمواساة والحسرة والتّمني والنّدم والشّوق والكره وإظهار الضّعف أو القوّة أو الحزن والتّرحيب ...

. الإعلانيّات : قوام هذه الأفعال التّعيين ، فيحدث تطابق بين مقتضاها مع العالم الخارجي ما يعني قيام هذا النّوع على وضع غير لساني من شأنه تغيير الحالة القائمة إلى حالة مستجدّة . وبهذا يمكن أن يكون اللفظ موقعا لفعل معيّن ، ومن أمثلته : ألفاظ البيع والشّراء والزّواج والطّلاق والقذف والتّنازل والإقرار ...

ب . التكـرار :

جاء في لسان العرب " كَرَّرَ الشّيء: أعاده مرّة بعد أخرى " [1] . فالتّكرار يعني إعادة الشّيء أكثر من مرّة . ويعرّفه ابن الأثير(ت637 هـ) بأنّه " دلالة اللفظ على المعنى مكرّرا " [2] . كما يعرّفه السجلماسي بأنّه "إعادة اللفظ الواحد بالعدد أو بالنّوع ، أو المعنى الواحد بالعدد أو بالنّوع في القول مرّتين فصاعدا " [3] . وهو عند الرّضي "ضمّ الشيء إلى

[1] ابن منظور ، لسان العرب ، م 5 ، ص 135 (مادة كرر) .

[2] ضياء الدين ابن الأثير ، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ، قدمه وعلق عليه : أحمد الحوفي وبدوي طبانة ، دار النهضة ، مصر ، ط2 د.ت ، ج 3 ، ص 3 .

[3] جميل عبد المجيد ، البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النّصّية ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، مصر ، د.ط ، د.ت ، ص 84.

مثله في اللفظ ، مع كونه إيّاه في المعنى"[1] . أي أنّ التّكرار يعني إعادة اللفظ أو المعنى في الكلام لإحراز فائدة التّأكيد والتّرسيخ .

وتظهر أهمّيّة التّكرار جليّة في عمليّة الحجاج ، وذلك راجع للدّور الحجاجي الذي يضطلع به أسلوب التّكرار ، فهو يتجاوز " وظيفة الإخبار والإبلاغ إلى وظيفة التّأثير والإقناع وهي وظيفة تنتج عن التّكرار بما يثير من دلالات الإلحاح والمبالغة في التّأكيد ، بل تدفع بعض حالات التّكرير إلى تغيير سلوك المخاطب "[2] .

ويتميّز التّكرار بكونه :

. له وظائف خطابيّة عدّة تعبّر عن قصد المتكلم " إلى إفهام السّامع أو الإفصاح عن فكرة أو تأكيدها ، أو التّشديد على فعل ما والمبادرة إليه في التّو أو تقرير معنى وإثباته "[3] .

. لا يعني مجرّد " وقوع اللفظ في الكلام أكثر من مرّة أو صياغة المعنى الواحد أكثر من مرّة حيث يخرج عن حكم التّكرار مثلا إطالة الفصل من الكلام وافتقار أوّله إلى تمام لا يفهم إلا به "[4] .

. في بعض الحالات يرتبط بتغيير سلوك المخاطب حالا " إذا صدر الأمر من الآمر على المأمور بلفظ التّكرير مجرّدا من قرينة تخرجه عن وضعه ، ولم يكن مؤقّتا بوقت معيّن كان ذلك حثّا له على امتثال الأمر على الفور ، فإنّك إذا قلت لمن تأمره : قم ، قم ، قم فإنّما تريد بهذا اللفظ المكرّر أن يبادر إلى القيام في تلك الحال الحاضرة "[5]

. يحقّق الوظيفة الإقناعيّة في حالات معيّنة " والتي تفيد تثبيت الفكرة في مقامها ما يجعل محتوى الحوار مفهوما أكثر ، ويزيد في فهم المتلقي بجذب انتباهه لما هو مستفز وبالتالي دحض ما يخالفها من دعاوي "[6] .

---

[1] الرضي الاستراباذي ، شرح كافية ابن الحاجب ، تح : إميل بديع يعقوب ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط1 ، 1998 ، ج1 ، ص 15 .

[2] علي محمد علي سلمان ، الحجاج عند البلاغيين العرب ضمن كتاب الحجاج مفهومه ومجالاته ،ج1 ، ص 187 .

[3] نعمان بوقرة ، مدخل إلى التحليل اللساني ، ص 42 .

[4] ابن الأثير ، المثل السائر ، ج 3 ، ص 17 .

[5] المرجع السابق ، ج 3 ، ص 03 .

[6] نعمان بوقرة ، مدخل إلى التحليل اللساني ، ص 105 .

أمّا إذا انتقلنا إلى أنواع التّكرار نجد أنّ تصنيفاته تنوّعت بحسب الدّارسين لكنّها لا تختلف كثيرا فيما بينها ، وربّما نجد في اللسانيات النّصّيّة ما يشفي الغليل حول التّكرار لكنّه عولج من منظور دوره في التّماسك النّصّي والسّبك المعجمي ؛ حيث يحيل اللفظ المكرّر إلى نفسه أو لفظ سابق مرادف أو مرادف قريب ويمكن أن " يتمظهر العنصر المكرّر في أشكال مختلفة ، فإمّا أن يكرّر الدّال مع مدلول واحد ، وإمّا أن يكرّر مع مدلول يتحقّق من جديد في كل مرّة ، أو يتكرّر المدلول الواحد مع دالات مختلفة "[1] .

ولعلّ أشهر الأطر المقترحة لوصف السّبك المعجمي ما اقترحه كل من (هاليداي ورقية حسن). ولكن ما يهمّنا هنا ليس وظيفة التّكرار التّركيبيّة بقدر ما يهمّنا بنية التّكرار من منظور الوظيفة الاتّصاليّة الإقناعيّة ؛ إذ نرى إشارات للقدامى تساعدنا على إلقاء الضّوء على هذه الوظيفة .

من هؤلاء أبو هلال العسكري (ت395 هـ) الذي قرن التّكرار بتأكّد الحجّة وجعل التّكرار مدّا للقول ، ومن ثَمّ ربط بين مد القول وبلوغه الشّفاء والإقناع .[2] وذلك "ما يسمّى باستراتيجيّة الإقناع بالتّكرار (repeating) وبالصّياغة الموازية (repharasing) وبإلباس الدّعوى وإعادة إلباسها إيقاعات نغميّة متغيّرة من الكلمات "[3] .

كما كان لابن الأثير مساهمة في ذلك ، فالتّكرار عنده " قسمان أحدهما يوجد في اللفظ والمعنى والآخر في المعنى دون اللفظ "[4] . وليس بعيدا عنه نجد من المحدثين من قسّم التّكرار حسب الشّكل والمضمون .

ب . 1 . تكرار الشّكل : وفيه ثلاثة أنواع وهي :

. تكرار المكرّر بذاته .

. تكرار في هيئة عنصرين من مادّة واحدة .

---

[1] المرجع السابق ، ص 84 .

[2] ينظر : أبو هلال العسكري ، كتاب الصناعتين ، تح: علي محمد البجاوي ومحمد أبي الفضل إبراهيم ، دار إحياء الكتاب العربي ، بيروت ، د. ط 1952 ، ص 156 ، 157 .

[3] محمد العبد ، النص الحجاجي العربي ، ص 713 .

[4] ابن الأثير ، المثل السائر ، ج 3 ، ص 146 .

. تكرار بتغيير التّركيب .

وهذا النّوع من التّكرار "قادر على الاضطلاع بدور حجاجي هامّ متى اعتمد في سياقات محدّدة وتوفّرت فيه شروط معيّنة ، فتكرار اللفظة ذاتها في أكثر من موضع يعدّ من أفانين القول الرّافد للحجاج المدعّمة للطّاقة الحجاجيّة في الدّليل أو البرهان لِمَا له من وقع في القلوب لاسيما في سياقات خاصّة كالأمر والنّهي"[1].

ب . 2 . تكرار المضمون :

ينبني تكرار المضمون على مكوّنات لغويّة مترادفة ترادفا تامّا أو ترادفا جزئيّا ، "وهو يتمثل في إعادة الحجّة أو الدّليل لا بلفظه بل بمعناه ، فالمتكلم حينئذ يوهم المتلقي بتقدّم الخطاب الحجاجي وتنويع الحجج والبراهين المقدّمة لصالح أطروحة معيّنة " [2] . أي أنّ الباثّ يستفيد ممّا قاله ويكرّر ما استدل به من أجل إقناع المتلقي ، وهو تكرار فعّال لخفائه وعجز المتلقي عن اكتشافه لأوّل وهلة . وهو عدّة أنواع منها [3] :

. تكرار مفردتين متواليتين أو أكثر في جملة واحدة أو منطوق واحد .

. تكرار مفردتين في جملتين أو منطوقين متواليين .

. تكرار المضمون بين جملتين متواليتين .

. تكرار مفردتين في ثنائية .

وخلاصة القول: إنّ التّكرار يُعدّ رافدا أساسيّا للحجج والبراهين التي يقدّمها المتكلم لفائدة فكرة ما ، أي أنّه يوفّر لها طاقة إضافيّة تُحْدِث أثرا جليلا في المتلقي وتساعد على نحو فعّال في إقناعه لأنّ التكرار يساعد على التّبليغ والإفهام ، ويُعين المتكلم على ترسيخ الفكرة في ذهن السّامع وبالتالي إقناعه والتّأثير فيه .

ج . الازدواج:

[1] سامية الدريدي ، الحجاج في الشعر ، ص 168 .

[2] المرجع السابق ، ص 172 .

[3] ينظر : محمد العبد ، النص الحجاجي العربي ، ص 719 .

الازدواج هو " تكوينات كلاميّة متوازنة الأجزاء في عدد وحداتها اللغويّة ، وهيئات ترتيبها وفواصلها " [1]. وقد يقع أيضا " على رغم الاختلاف بين الأجزاء في أحد الاعتبارات الثّلاثة السّابقة بل في اعتبارين اثنين منها أحيانا "[2] .

إنّ للازدواج (التّوازن) أهمّيّة بالغة في الحجاج لا تقل عن أهمّيّة التّكرار، بكونه رافدا أساسيّا للحجج والأدلة يمدّها بطاقة حجاجيّة إضافيّة كبيرة ، بل إن تضافر كليهما في الخطاب الحجاجي يُحْدِث نوعا من التّفاعل يُعَدّ النّقطة المركزيّة الأهمّ التي تتحقّق من خلالها استمالة المستمع وإقناعه والتّأثير فيه ، وذلك لِمَا يُحْدِثه التّكرار من تشويق وجذب انتباه المتلقي ولِمَا يُحْدِثه الازدواج من أثر في النّفس واستعذاب لبنيته الإيقاعيّة الجماليّة الثأثيريّة .

إذًا إنّ الازدواج كوسيلة للإقناع يَعْمد إلى تحريك الوجدان والشّعور باعتباره "بنية إيقاعيّة جوهريّة ... ذات تأثير سمعي وعاطفي في المستمع" [3] . وتُعَدّ هذه البنية "بنية تركيبيّة تربط بين عنصريها علاقات سمعيّة من طول وزنة وفاصلة تعكس فكرا مرتّبا متّزنا مقنعا"[4] . فيُنْظَر إلى الازدواج بناءً على وحداته اللغويّة المؤلفة له ؛ من حيث التّوازن في العدد والاتّفاق في التّرتيب والفاصلة لهذه الوحدات ، وقد يكون هذا التّوازن أو الاتّفاق تامّا أو ناقصا أو منعدما . وعلى هذا يمكن تصنيف التّوازن إلى عدّة أنواع ، نذكر منها :

. التّوازن بين الأجزاء بالاتّفاق التّام في وزن الوحدات وعددها وهيئة ترتيبها .

. التّوازن بين الأجزاء بالاتّفاق في وزن الوحدات اتّفاقا ناقصا ، والاتّفاق في التّرتيب والفاصلة .

. التّوازن في وزن الوحدات اتّفاقا ناقصا ، والاتّفاق في الفاصلة دون التّرتيب .

. التّوازن بالاتّفاق في الفاصلة دون سائر الملامح الأخرى .

. التّوازن بالاتّفاق النّاقص في وزن الوحدات ، والاتّفاق في التّرتيب دون الفاصلة.

---

[1] المرجع نفسه ، ص 740 .

[2] المرجع نفسه ، ص 740 .

[3] المرجع السابق ، ص 740 .

[4] المرجع نفسه ، ص 744 .

إنّ الازدواج بأيّ نوع كان لا يخلو منه نثر لأنّه يُحَسِّنُه ويُحَلِّيه ، وفي ذلك يقول أبو هلال العسكري :" لا يحسن منثور الكلام ولا يحلو حتى يكون مزدوجا ولا تكاد تجد لبليغ كلاما يخلو من الازدواج " [1] . كما أنّه من جهة أخرى ينمّي قدرة المتكلم على الإقناع لأنّه لا يعتبر " تنميقا بالكلام ولا تحريفا لوظيفة الخطاب ، وإنّما تحقيق لأقصى إمكانات التّبليغ تحقيقا يؤدّي إلى انتهاض المخاطَب بالعمل والتّغيير"[2] .

هذا يعني أنّ المتكلم ليس غرضه الأساسي تزيين الخطاب بقدر ما هو بحث عن السّبل الكفيلة له لتحقيق قوّة التّأثير في المتلقي "وقوّة التّأثير نقصد بها أن يترك الأسلوب أثره في نفوس القارئين والسّامعين ، وأن يدفع من يقرؤه أو يسمعه إلى الإيمان بما آمن به البليغ فكرة أو رأي أو عقيدة "[3] .

وخلاصة القول أنّ الازدواج يمكن اعتباره رافدا من روافد الحجاج بتوفيره طاقة حجاجيّة إضافيّة تساعد المتكلم على الإقناع والتّأثير وذلك لاستيلائه على النّفوس وامتلاكه للأسماع بإيقاعه وما كان أَمْلَكَ للسّمع كان أَفْعَلَ باللُّبِّ وبالنّفس .

2 . الوسائـل البلاغيّة :

نقصد بها أساليب الكلام المتنوّعة من مجاز وما يندرج ضمنه من تمثيل واستعارة وكناية وغيره وكذلك الطّباق والمقابلة وغيرها من وجوه البلاغة التي تضفي على القول مسحة جماليّة من جهة ومن جهة أخرى تخرجه عن حدّ الإمتاع إلى حدّ الاستمالة والتّأثير.

لذا يمكن عدّ الوسائل البلاغيّة رافدا من روافد الحجاج لأنّها تدعم طاقة القول الحجاجيّة كما تثبت قدرة المتكلم الإقناعيّة "وكأنّنا بالإقناع والجمال مترابطين ، متّصلين لا يكاد أحدهما ينفصل عن الآخر أو يقوم بغير الآخر" [4] .

---

[1] أبو هلال العسكري ، كتاب الصناعتين ، ص 260 .

[2] طه عبد الرحمن ، التكوثر العقلي ، ص 293 .

[3] محمد عبد المنعم خفاجي ، عبد العزيز شرف الدين ، نحو بلاغة جديدة ، مكتبة غريب ، القاهرة ، دط ، دت ، ص 139 .

[4] سامية الدريدي الحسني، دراسات في الحجاج ، قراءة لنصوص مختارة من الأدب العربي القديم ، عالم الكتب الحديث ، الأردن ، ط1 ، 2009 ص 114 .

وهذه حقيقة أكّدها القدامى "حين جمعوا في مجموع واحد بين البلاغة والعناصر العقليّة للحجاج بمكوّناته الوجدانيّة والجماليّة "[1] .

إذن لا غِنَى للحجاج عن الجمال "ولا فضل في حجاج منطقي صارم يفتقر إلى جمال يُوَشِّيه ويُدَعِّم فِعْله في النّفوس "[2] . فالجمال الذي توفّره الوسائل البلاغيّة هو القادر على تحريك وجدان المتلقي والفِعْل فيه لأنّه إذا أضيفت تلك الجماليّة إلى حجج متنوّعة وعلاقات حجاجيّة تربط بين أجزاء الكلام بدقّة ، أَمْكَنَ للمتكلم تحقيق غايته من الخطاب أي قيادة المتلقي إلى فكرة ما أو رأي معيّن؛ ومن ثَمّ توجيه سلوكه الوجهة التي يريدها له.

ومن هذه الوسائل التي ترفد عمليّة الحجاج وتنمّي قدرة المخاطِب على الإقناع :

أ . الاستعـارة :

ربّما الذي يعنينا في هذا العنصر هو ما توفّره الاستعارة من طاقة حجاجيّة للقول، ولكن ذلك لا يمنع من التّطرّق إلى مفهومها اللغوي والاصطلاحي .

جاء في لسان العرب أنّ "الاستعارة من العارية "[3]. ويقول ابن الأثير: "وإنّما سمّي هذا القسم من الكلام استعارة لأنّ الأصل في الاستعارة المجازيّة مأخوذة من العارية الحقيقيّة التي هي ضرب من المعاملة وهي أن يستعير بعض النّاس شيئا من الأشياء "[4] . وهذا يعني أنّ الاستعارة في المعنى اللغوي مأخوذة من الاستعارة الحقيقيّة (العارية) وهي انتقال شيء من ملكيّة شخص إلى ملكيّة شخص آخر .

---

[1] أوليفي روبول ، هل يمكن أن يوجد حجاج غير بلاغي؟ تر: محمد العمري ، مجلة علامات ، ج 22 ، م 6 ، ديسمبر 1996 ، ص 89 .

[2] سامية الدريدي ، دراسات في الحجاج ، ص 114 .

[3] ابن منظور ، لسان العرب ، م 4 ، ص 625 (مادة عير) .

[4] ابن الأثير ، المثل السائر ، ج3 ، ص 139 ، 140 .

أمّا تعريفها الاصطلاحي فلا يختلف كثيرا عن المعنى اللغوي ، فهو وضع اللفظ في موضع لفظ آخر لوجود علاقة بينهما ، يقول ابن قتيبة: " فالعرب تستعير الكلمة فتضعها مكان الكلمة إذا كان المسمّى بها بسبب من الأخرى أو مجاورا لها أو مشاكلا "[1] . أمّا الجاحظ فيرى أنّ الاستعارة " تسمية الشّيء باسم غيره إذا قام مقامه "[2].

إنّ الاستعارة نمط من المجاز اللغوي الذي هو "صيغة من صيغ الاستدلال تتبادل معه الأدوار"[3] حسب (ماييز) ، لأنّ الحجاج يشغل كل ما في اللغة من غِنَى وثراء لتحقيق أهدافه وغاياته .

لهذا نجد (ميشال لوقن) يميّز بين نوعين من الاستعارة ؛ أحدهما حجاجيّة والأخرى شعريّة غير حجاجيّة ، فيقول : "وهكذا نجد في مقابل الغاية الجماليّة للاستعارة الشّعريّة مطمحا إقناعيّا للاستعارة الحجاجيّة "[4] .

فالأولى يُؤْتى بها لا لغاية تأثيريّة وإنّما للتّفنّن الأسلوبي والزّخرف اللفظي ، أمّا الثّانية فهي ذات صبغة حجاجيّة إقناعيّة تدخل ضمن الوسائل اللغويّة التي يستغلها المتكلم لتوجيه المخاطَب الوجهة التي يريد .

وبعبارة أوضح " إنّ الاستعارة الجماليّة تحتاج إلى الجهر بأنّها كذلك وإلى لفت انتباه المتلقي ونيل إعجابه بندرتها أو بحسن صياغتها ، أمّا الاستعارة الحجاجيّة فهي تحتاج فعلا إلى الظّهور بمظهر البداهة العقليّة ، فكأنّ الكلام يستدعيها ضرورة ويقتضيها اقتضاء بشكل عفوي لا تصنّع فيه ولا تكلف " [5] . وهذا لا يعني أنها "خالية من الجمال ولكن الجمال فيها رافد متمّم لوظيفتها وإن لم يقصد إليه قصدا "[6] .

والذي يهمّنا في هذا البحث هو الاستعارة الحجاجيّة لكونها " تهدف إلى إحداث تغيير في الموقف الفكري أو العاطفي للمتلقي "[7] . حيث يرى (أوليفي روبول) أنّ "الاستعارة أكثر إقناعا من القياس وذلك تحديدا بفضل المزج

---

[1] عبد الله بن قتيبة ، تأويل مشكل القرآن ، شرحه ونشره: أحمد صقر ، دار التراث ، القاهرة ، ط 2 ، 1973 ، ص 135 .

[2] أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ ، البيان والتبيين ، تح : عبد السلام هارون ، مكتبة الجاحظ ، مصر، ط4 ، 1975 ، ص 115 .

[3] عبد السلام عشير ، عندما نتواصل نغير ، ص 122 .

[4] ميشال لوقن ، الاستعارة والحجاج ، تر: طاهر عزيز ، مجلة المناظرة ، ع 4 ، ماي 1991 ، ص 89 .

[5] سامية الدريدي ، دراسات في الحجاج ، ص 110 ، 111 .

[6] المرجع نفسه ، ص 110 .

[7] عبد الهادي بن ظافر الشهري ، آليات الحجاج وأدواته ، ص 296 .

الذي تحدثه بين المستعار والمستعار له جاعلة بذلك توحّد العناصر المنتمية إلى أنظمة مختلفة أمرا مدركا " [1] . فهي أقدر على التّأثير والإقناع من الكلام العادي العاري ، وهذا ما أكّده (ميشال لوقرن) بقوله : "وبعبارة أخرى إنّ قوّة الحجاج في المفردات ... تبدو في الاستعمالات الاستعاريّة أقوى ممّا نحسّه عند استخدامنا لنفس المفردة بالمعنى الحقيقي "[2] .

ولهذا فالاستعارة الحجاجيّة هي النّوع الأكثر انتشارا لارتباطها بمقاصد المتكلمين وسياقاتهم التّخاطبيّة والتّواصليّة.

ب . التمثيـل :

نلاحظ وجود تشابه كبير بين التّمثيل والتّشبيه بل هناك مِن العلماء مَنْ ينظر إليهما على أنّهما واحد ، ومن أولئك ابن الأثير الذي يقول: "وجدت علماء البيان قد فرّقوا بين التّمثيل والتّشبيه وجعلوا لهذا بابا ، ولهذا بابا مفردا وهما شيء واحد ... وما أعلم كيف خفى ذلك على أولئك العلماء مع ظهوره ووضوحه ؟ "[3]

في حين نجد أن عبد القاهر الجرجاني يميّز بينهما تمييزا دقيقا ، فيقول: " فاعلم أنّ التّشبيه عام والتّمثيل أخصّ منه فكل تمثيل تشبيه ، وليس كل تشبيه تمثيلا " [4] . وهذا يعني أنّ التّمثيل تشبيه عام مع بعض الخصوصيّة التي تتطلب تأمّلا وإعمالا للفكر.

إنّ التّمثيل هو "عقد الصّلة بين صورتين ليتمكّن المرسل من الاحتجاج وبيان حججه " [5] لإقناع مخاطَبه العادي الذي يحتاج إلى المثال حتى يتحقّق له كمال الفهم ، فـ" الغرض من الأمثلة التّفهيم فلا يطلب فيها الحقائق "[6] .

---

[1] أوليفي روبول ، مدخل إلى الخطابة ، ص 191 .

[2] ميشال لوقرن ، الاستعارة والحجاج ، ص 87 .

[3] ابن الأثير ، المثل السائر ، ج3 ، ص 153 .

[4] عبد القاهر الجرجاني ، أسرار البلاغة في علم البيان ، صححه وعلق عليه : محمد رشيد رضا ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط1 1988 ، ص 84 .

[5] عبد الهادي بن ظافر الشهري ، استراتيجيات الخطاب ، ص 497 .

[6] محمد بازي ، تقابلات النص وبلاغة الخطاب ، نحو تأويلي تقابلي ، الدار العربية للعلوم ، لبنان ، ط 1 ، 2010 ، ص 62 .

وبعبارة أوضح فإنّ التّمثيل هو "تصوير أو توصيف شيء بمقابل مماثل ، فيتطابقا مثليّا عند صاحب التّوصيف ، والمقصود به تجلّيه وتقريبه إلى المتلقي " [1] . فالمتكلم يقدّم مَثَلا واضحا بيّنا لا ينكره عقل أو عُرْف ثم يؤسّس عليه تمْثيله الذي يسعى إلى تثبيته في عقول مخاطَبيه ونفوسهم لأنّ أُنْسَ النفوس كما يقول الجرجاني :"على أن تُخْرِجَهَا مِنْ خَفِي إلى جَلِي ، وتَأْتِيهَا بِتَصْرِيح بَعْدَ مَكْنِي ، وأنْ تَرُدَّهَا في الشَّيء تَعْلَمُها إيَّاه إلى شَيء آخر هي بِشَأْنِه أَعْلَم وثِقَتُهَا بِهِ في المعْرِفَة أَحْكَم ، نَحْوَ أنْ تَنْقُلَها عَن العَقْلِ إلى الإحْسَاسِ ، وعَمَّا يُعْلَم بالفِكْر إلى ما يُعْلَم بالاضطرار والطّبع ؛ لأنَّ العِلْم المسْتَفَاد من طُرق الحواسّ أو المرْكُوز فيها من جهة الطَّبْع وعلى حدِّ الضَّرُورَة يَفْضُلُ المسْتَفَاد من جِهَة النَّظَر والفِكْر في القُوَّة والاسْتِحْكَام وبُلُوغ الثِقَة فيه غَايَةَ التَّمَام "[2] .

يظهر جليّا أنّ التّمثيل رافد من روافد الحجاج لِمَا يُحْدِثُه من تأثير في نفوس المستمعين وما يؤكد ذلك قول الجرجاني : "واعلم أنّ ممّا اتّفق العقلاء عليه أنّ التّمثيل إذا جاء في أعقاب المعاني ، أو برزت هي باختصار في معرضه ، ونقلت عن صورتها الأصلية إلى صورته كساها أبّهة ، وكسبها منقبة ، ورفع من أقدارها ... وضاعف قواها في تحريك النّفوس لها ، ودعا القلوب إليها ... فإنْ كان مدحا كان أبهى وأفخم ... وإنْ كان حجاجا كان برهانه أنور ، وسلطانه أقهر ، وبيانه أبهر"[3] .

ولأهمّيّة الأمثلة التّبيينيّة في الإقناع والتّأثير نجد أنّ الله – سبحانه وتعالى– أَكْثَرَ من ضَرْب الأمثال في القرآن الكريم وكذلك كثرت في كلام النّبي ﷺ وكلام الأنبياء والمرسلين والحكماء والعارفين . يقول الأصفهاني : " لضرب العرب الأمثال واستحضار العلماء النّظائر شأن ليس بالخفي في إبراز خفيّات الدّقائق ورفع الأستار عن الحقائق ، تُرِيكَ المتخيّل في صورة المتحقّق ، والمتوهّم في معرض المتيقّن والغائب كأنّه شاهد ، وفي ضرب الأمثال تبكيت للخصم الشّديد الخصومة ، وقمع لسوْرة الجامح الأبي فإنّه يؤثّر في القلوب ما لا يؤثّر في وصف الشّيء في نفسه ؛ ولذلك أَكْثَرَ الله– تعالى– في كتابه وفي سائر كتبه الأمثال ، وفشت في كلام النّبي وكلام الأنبياء والحكماء "[4] .

---

[1] أبو حامد الغزالي ، إحياء علوم الدين ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان ، د.ط ، د.ت ،ج 1 ،ص 301 .

[2] عبد القاهر الجرجاني ، أسرار البلاغة ، ص 102 .

[3] المرجع السابق، ص 92 ، 96 .

[4] جلال الدين السيوطي ، الإتقان في علوم القرآن ، عالم الكتب ، بيروت ، لبنان ، د.ط ، د.ت ، ج2 ، ص 344 .

ويقول البيضاوي :"يُضْرَب المثل زيادة في التّوضيح والتّقرير ، فإنّه أَوْقَع في القلب وأقمع للخصم الألدّ ، ولأنّه يُريك المتخيل محقّقا ، والمعقول محسوسا ، والأمر ما أَكْثَرَ الله في كتبه الأمثال وفشت في كلام الأنبياء والحكماء"[1].

فالمِثَل يجعل المجرّد محسوسا والغامض واضحا ، حيث "ينطلق من التّجربة بهدف إفهام فكرة أو العمل على أن تكون الفكرة مقبولة وذلك بنقلها من مجال إلى مجال مغاير " [2] ، من أجل إقناع المتلقي والتأثير فيه . لذا فهو " يضطلع بدور تقوية أو دعم الارتباط بقاعدة معروفة ومقبولة بتقديم حالات خاصة تضيء الفكرة العامّة وتبيّن أهمّيّة هذه عبر تنوّع تطبيقاتها الممكنة وتزيد حضورها في الوعي "[3] .

ج . الطّبـاق :

الطّباق هو صورة من صور البديع التي يَتَوَشَّى بها الخطاب القولي أو الحجاجي على حدّ السّواء لأنّ دورها لا يتوقّف عند التّزيين والزّخرفة اللفظية ، بل يَتَعَدَّاها إلى "الإقناع والبلوغ بالأثر مبلغه الأبعد... والبلاغة العربيّة مليئة بهذه الصّور والإمكانات ، ومليئة بالشّواهد التي تثبت أنّ الحجاج من وظائفها الرّئيسة ، وليس وجودها على سبيل الصّنعة في أصلها وإن كان لا يمنع المرسِل من أن يبدع كيفما شاء "[4].

إنّ "المطابقة في الكلام هي الجمع بين الشيء وضدّه في جزء من أجزاء الرّسالة أو الخطبة أو بيت من أبيات القصيدة ، مثل الجمع بين السّواد والبياض ، والليل والنّهار والحر والبرد " [5] . فالطّباق يقوم على "إيجاد علاقة ظاهرة أو خفيّة بين معنيين متضادّين في جملة واحدة مع وجود نوع من التّناسب بينهما يسوّغ الجمع بينهما لإفادة غرض ما"[6] . فهو إلى جانب الوظيفة الجماليّة يضطلع بوظيفة حجاجيّة تساعد المتكلم على الإقناع لِمَا يُحْدِثه من إثارة وانفعال لدى المتلقي فيستجيب بفضله لفحوى الخطاب ويتهيّأ لقبول نتائجه والتّسليم بها .

---

[1] أبو سعيد عبد الله البيضاوي ، أنوار التنزيل وأسرار التأويل ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 1999 ، ج1 ، ص 186 .

[2] عبد السلام عشير ، عندما نتواصل نغير ، ص 97 .

[3] محمد الولي ، مدخل نظري تاريخي ضمن كتاب الحجاج ، مفهومه ومجالاته ، ص 90 .

[4] ظافر الشهري ، استراتيجيات الخطاب ، ص 498 .

[5] أبو هلال العسكري ، كتاب الصناعتين ، ص 16 .

[6] هشام فروم ، تجليات الحجاج في الخطاب النبوي ، ص 192 .

وخلاصة القول أنّ الطّباق وباقي الوسائل البلاغيّة ترفد الحجاج وتزيد من قوّته الإقناعيّة لأنّها الوحيدة القادرة على النّفاذ إلى عوالم المتلقي والتّأثير فيه ، لهذا فلا يمكن استغناء الحجاج عن الجمال بل لا "حديث عن إقناع دون تعويل على الجمال "[1] .

III. . الوسائل المنطقيّة :

نعني بالوسائل المنطقيّة الآليّات والتّقنيات العقليّة التي تؤسّس بنية الحجاج في الخطاب أي "جملة الأساليب التي تعتمد قوانين المنطق والتي تؤدّي إن اعتمدناها في الخطاب إلى إقناع المتلقي بما طُرح عليه من أفكار وما عرض عليه من آراء "[2] . وهذه الآليّات منها ما يتعلّق ببنية الخطاب ومنها ما يرجع إلى العلاقات بين أقسامه ومفاصله الكبرى ومنها ما يعود إلى أنواع الحجج والأدلّة والبراهين .

وهذا التنوّع والتّعدّد في آليّات الحجاج التي ينبني عليها الخطاب أدّى إلى ضرورة تصنيفها ، ولعل تصنيف (برلمان وتتيكا) في كتابهما (مصنّف في الحجاج ، الخطابة الجديدة) الذي استخرجه عبد الله صوله ووضّحه بدقّة في مقاله (الحجاج أُطُرُهُ ومنطلقاته) هو الذي سنعتمده في هذا البحث وإنْ كان هذا التّصنيف لا يتوفّر في المدوّنة بكل أقسامه وتفاصيله ، ولكنّنا سنركّز على ما هو موجود في المدوّنة .

وأبرز هذه الأصناف [3] : حجج شبه منطقية ، حجج قائمة على بنية الواقع ، حجج مؤسّسة لبنية الواقع ، حجج تستدعي القيم ، حجج تستدعي المشترك .

1 . الحجج شبه المنطقيّة : Argument quasi logiques

يوضّح (برلمان) هذه الحجج بقوله: " إنّها حجج تدّعي قدرا محدّدا من اليقين من جهة أنّها تبدو شبيهة بالاستدلالات الشّكليّة المنطقيّة أو الرّياضيّة ، ومع ذلك فإنّ مَن يخضعها إلى التّحليل ينتبه في وقت قصير إلى

[1] سامية الدريدي ، الحجاج في الشعر ، ص 175 .

[2] المرجع السابق ، ص 163 .

[3] ينظر : عبد الله صوله ، الحجاج أطره ومنطلقاته ضمن كتاب أهم نظريات الحجاج ، ص 324 ، 348 .

الاختلافات بين هذه الحجج والبراهين الشّكليّة لأنّ جهدا يبذل في الاختزال أو التّدقيق فحسب – يكون ذا طبيعة صوريّة – يسمح بمنح هذه الحجج مظهرا برهانيّا ولهذا السّبب ننعتها بأنّها شبه منطقيّة "[1] .

فهي حجج لا تخضع للاستدلال المنطقي الصّارم ولكنّها تقترب منه باتّخاذها قالبا منطقيّا شكليّا لذا فهي تستمد " قوّتها الإقناعيّة من مشابهتها للطّرائق الشّكليّة formelle والمنطقيّة والرّياضيّة في البرهنة "[2] .

وهي تنقسم إلى قسمين : حجج شبه منطقيّة تعتمد البنى المنطقيّة كالتّناقض والتّعدّديّة ... وحجج شبه منطقيّة تستند إلى العلاقات الرّياضيّة كإدماج الجزء في الكل وتقسيم الكل إلى أجزائه المكوّنة له ...

والذي يهمّنا في هذه الحجج شبه المنطقيّة النّوع الثّاني ، أي تلك التي تستند إلى العلاقات الرّياضيّة وأكثر تحديدا نخص جزئيّة تقسيم الكل إلى أجزائه التي تتلاءم مع دراسة المدوّنة في الجزء التّطبيقي .

أ . الحجج شبه المنطقيّة التي تعتمد العلاقات الرّياضيّة :

وهي حجج تعتمد في الحقيقة على "قواعد رياضيّة تشكّل خلفيّتها العميقة ونسيجها الدّاخلي بل تؤسّس طاقتها الحجاجيّة وتعدّ معينها الإقناعي "[3] .

ومن هذه الحجج : حجّة التّعدية ، تقسيم الكل إلى أجزاء ، الاشتمال ... ولكن ما يهمّنا هو الحجّة الثّانية .

أ . 1 . تقسيم الكل إلى أجزائه المكوّنة له :

يذكر المتكلم "حجّته كليّا في أوّل الأمر ، ثم يعود إلى تفنيدها وتعداد أجزائها إن كانت ذات أجزاء، وذلك ليحافظ على قوّتها الحجاجيّة، فكل جزء منها بمثابة دليل على دعواه" [4]. وهذه الحجّة ينبني عليها البرهان ذو الحدّين ، وهي حسب (برلمان) "شكل من أشكال الحجج يتناول فرضيتين ليستنتج أنّه سواء وقع الاختيار على الأولى أو

---

[1] برلمان وتتيكا ، مصنف في الحجاج ، ج1 ، ص 259 . نقلا عن : سامية الدريدي ، الحجاج في الشعر ، ص 191 .

[2] عبد الله صوله ، الحجاج أطره ومنطلقاته ، ص 325 .

[3] سامية الدريدي ، الحجاج في الشعر ، ص 203 .

[4] عبد الهادي بن ظافر الشهري ، استراتيجيات الخطاب ، ص 203 .

الثّانية نصل إلى الفكرة نفسها أو الموقف ذاته وذلك لأحد الأسباب التالية: فإمّا لأنّهما تقودان إلى النّتيجة ذاتها وإمّا لأنّهما تقودان إلى نتيجتين لهما نفس القيمة "[1] .

أ . 2 . حجّة الاشتمال :

وتقوم هذه الحجّة على مبدأ رياضي هو " أنّ ما ينسحب على الكلّ ينسحب على الجزء من هذا الكلّ "[2] .

ب . الحجج شبه المنطقيّة التي تعتمد البنى المنطقيّة :

هذه الحجج تستند كل حجّة منها إلى مبدأ منطقي كالتّطابق والتّناقض والتّعدّديّة ... ولكنّها تختلف عن الحجج المنطقيّة الخالصة ؛ إذ يمكن أن تردّ بيسر بدعوى أنّها ليست منطقيّة .

2 . الحجج القائمة على بنية الواقع: Arguments fondès la structur du rèel

يعتمد هذا النّوع من الحجج على الواقع والتّجربة "وعلى علاقات حاضرة بين الأشياء المكوّنة للعالم ، فالحجاج هنا ما عاد افتراضا وتضمينا بل أصبح تفسيرا وتوضيحا ، تفسيرا للأحداث والوقائع وتوضيحا للعلاقات الرّابطة بين عناصر الواقع وأشيائه ، فالمتكلم متى اعتمد هذا الصّنف من الحجج إنّما يذهب في الواقع إلى أنّ الأطروحة التي يعرضها تبدو أكثر إقناعا كلما اعتمدت أكثر على تفسير الوقائع والأحداث ، وأنّ الخطاب الحجاجي يكون أنجع وأقدر على الفعل في المتلقي والتّأثير فيه "[3] .

هذا يعني أنّ هاته الحجّة تنطلق من الواقع وممّا هو معلوم عند المتلقي لتعرض الرّأي أو الفكرة التي تطمح لقبولها، لأنّ "المتلقي يقبل فعليّا المنطلق الذي يرتكز إليه الحجاج وذلك لكي يتم الانتقال ممّا هو متّفق عليه إلى ما يراد القبول به "[4] . ويندرج ضمن هذه الحجج نوعان : روابط التّتابع وروابط التّعايش .

---

[1] برلمان وتتيكا ، مصنف في الحجاج ، ج1 ، ص 318 . نقلا عن : سامية الدريدي ، الحجاج في الشعر ، ص 209 .

[2] سامية الدريدي ، الحجاج في الشعر ، ص 210 .

[3] المرجع نفسه ، ص 214 .

[4] فيليب بروتون ، جيل جوتييه ، تاريخ نظريات الحجاج ، ص 52 .

أ . روابط التّتابع : وتضم الحجّة السّببيّة (البراغماتيّة) والحجّة الغائيّة ، وحجة التجاوز .

أ . 1 . الحجّة السّببيّة (البراغماتيّة) :

يكون الحجاج مبنيّا على تتابع للأحداث اعتمادا على رابط سببي ، فاستخدامه يسمح "ببناء حجّة مستندة تماما إلى تعاضد في بنية الواقع " [1] . وهي حجّة نفعيّة (Argument pragmatique) لأنّها " تربط قيمة السّبب بقيمة نتائجه ... بالانتقال من قيمة مرتبطة بالثّمرة إلى قيمة مرتبطة بالشّجرة "[2] .

وقد أكّد (برلمان) نجاعة هذه الحجّة البراغماتيّة في توجيه الفعل والحمل على الإذعان مؤكّدا أنّ تقويم الحدث بنتائجه العمليّة أَمْرٌ لا يحتاج إلى مبرّر آخر خارج عنه ليستقيم ولكن يستطيع المتلقي مع ذلك دفعها متى احتجّ بأنّ الحقيقة تستمدّ قيمتها من ذاتها ، هذه القيمة التي تظل ثابتة مهما كانت نتائجها .[3]

أ . 2 . الحجّة الغائيّة :

تعتمد هذه الحجّة على العلاقة بين الوسائل والغايات ، يقول (أوليفي روبول) : "تضطلع الغاية التي يستبعدها العلم بدور أساسي في الأحداث الإنسانيّة . منها نستطيع أن نشتق حججا كثيرة تؤسّس كلها على الفكرة القائلة بأنّ قيمة الشّيء تتّصل بالغاية التي يكون لها وسيلة : حججا لم تعد تعبيرا عن قولنا (بسبب كذا) وإنّما (من أجل كذا) "[4] . هذا يعني أنّ "في هذه الحالة تعتمد قيمة أي عنصر على الغاية التي هو وسيلتها "[1] .

---

[1] المرجع السابق ، ص 50 .

[2] المرجع نفسه ، ص 50 .

[3] ينظر : برلمان وتيتيكا ، مصنف في الحجاج ، ج1 ، ص 358 ، 359 . نقلا عن : سامية الدريدي ، الحجاج في الشعر ، ص 220 .

[4] أوليفي روبول ، مدخل إلى الخطابة ، ص 179 .

أ . 3 . حجّة التّجاوز :

إنّ اعتبار الغاية يؤدّي إلى نوع آخر من الحجج هو حجّة التّجاوز (Argument de dépassement) التي " تؤكّد إمكانيّة السّير دائما نحو نقطة أبعد في اتّجاه ما ، دون أن نلمح للسّير في ذاك الاتّجاه حدّا وذلك بفضل تزايد مطّرد في قيمة ما " [2] . فهذه الحجّة تقوم على تجاوز ما هو معوّق لبلوغ مستوى أعلى ودرجة أرفع ، وما هو إشكال للوصول إلى الهدف المنشود .

ب . روابط التّعايش : وهي روابط "تتضمّن رابطا بين حقائق تنتمي لمستويات غير متساوية "[3]. وهي تضم:

ب . 1 . حجّة الشّخص وأعماله :

وهي علاقة "حصرها البعض في علاقة الذّات بصفاتها أو الشّخص بأفعاله ولذا نتحدّث عن حجّة الماهية أو الذّات (Argument de l'essence) وتتمثّل في تفسير حدث أو موقف ما أو التّنبّؤ به انطلاقا من الذّات التي يعبّر عنها أو يجليها ويوضّحها "[4] .

ب . 2 . الحجّة بالصّلاحيّة : Argument d'autorité

وتعتبر هذه الحجّة "النّموذج الأساس لرابط التّعايش ، ذلك أنّ رأيا ما سيصبح له قيمته بسبب دعم صلاحيّة ما له ، وهي صلاحيّة يقبلها المتلقي كما هي "[5] . وهي تمثّل قدرة المحاجج على الالتزام بصدق ما يقصده ، وبالنّتائج المراد

---

[1] فيليب بروتون ، جيل جوتييه ، تاريخ نظريات الحجاج ، ص 50 .

[2] المرجع السابق ، ص 51 .

[3] سامية الدريدي ، الحجاج في الشعر ، ص 228 .

[4] المرجع نفسه ، ص 228 .

[5] فيليب بروتون ، جيل جوتييه ، تاريخ نظريات الحجاج ، ص 51 .

استمالة المستمع إليها . فبمقدار ما يظهر هذا الصّدق في الالتزام عند المحاجج بقدر ما يصدّق المستمع دعوى الحجاج . ويلمس هذا الصّدق في الالتزام من خلال الطّريقة التي يعبّر بها المحاجج :

_ إمّا بطريقة مباشرة يذكر فيها نفسه وحاله في الالتزام بالنّتائج التي يقصدها .

_ وإمّا بطريقة غير مباشرة يستعمل فيها طرفا آخر ، ملتزما بالدّعوى كدليل وحجّة على صحّة المقصود .[1]

3 . الحجج المؤسسة لبنية الواقع : Arguments fondant la structure du rèel

هي الحجج التي ترتبط بالواقع ارتباطا وثيقا ، فهي التي تؤسّس هذا الواقع وتبنيه فتجلي الخفي من العلاقات التي تربط بين عناصره وأشيائه ، ويدخل ضمن هذه الحجج القياس بأنواعه المختلفة وتأسيس الواقع بواسطة الحالات الخاصّة .

أ . القياس : syllogisme

يعدّ القياس آليّة من الآليّات الذّهنيّة للعقل البشري "تقوم بالرّبط بين شيئين على أساس جملة من الخصائص المشتركة بينهما ، للوصول إلى استنتاج ما بألفاظ فيها شيء من الالتباس والاشتراك " [2]. وهو يمثّل بنية أساسيّة في الخطاب الحجاجي لأنّه "أحد طرق الاستدلال غير المباشر وأقومها إنتاجا "[3] في الرّبط بين عناصر الخطاب الحجاجي ، أي الرّبط بين المقدّمات والنّتيجة ربطا منطقيّا .وللقياس ثلاث صور هي :

أ . 1 . القياس المنطقي المتكامل الأركان : syllogisme logique

[1] حمدي منصور جودي ، خصائص الخطاب الحجاجي ، ص 63 .

[2] عبد السلام عشير ، عندما نتواصل نغير ، ص 91.

[3] عبد الرحمن حسن حنبكة الميداني ، ضوابط المعرفة وأصول الاستدلال والمناظرة ، دار القلم ، دمشق ، سوريا ، ط 6 ، 2000 ، ص 227.

وهو "صيغة شكليّة لإثبات حقائق سبق العلم بها ولكن حصلت الغفلة عن جوانب منها، فيأتي القياس المنطقي منبّها عليها ، أو ملزما الخصم بالتّسليم بها إذا هو أنكرها " [1] . وتكمن وظيفة القياس المنطقي في الحجاج في " الانتقال ممّا هو مُسَلّم به عند المخاطَب . أي المقدّمة الكبرى . إلى ما هو مشكل ، أي إلى النّتيجة "[2] .

وهذا الانتقال من مقدّمة كبرى ، ثم مقدّمة أخرى صغرى إلى نتيجة . يؤدّي إلى تنبيه السّامع والتّأثير فيه ، وذلك بإعمال فكره وعقله للاستنباط والاستنتاج انطلاقا من الرّبط بين المقدّمات والنّتيجة . ومثال ذلك :

قول رسول الله ﷺ : "إنّما الأعمال بالنّيّات ..."[3] .

المقدّمة الكبرى : كل الأعمال بالنّيّات .

المقدّمة الصّغرى: لكل امرئ ما نوى .

النّتيجة : يجازى المرء على أعماله حسب نيّاته .

أ . 2 . القياس المضمر : syllogisme implicite

هو نوع من أنواع القياس المنطقي "مؤسّس على مقدّمات ظنّيّة ، تتعرّض غالبا للحذف إمّا لجلائها ووضوحها أو تحاشيا لذكرها لاعتبارات مقاميّة "[4] . أي أنّ فيه حذفا ، وهذا الحذف قد يكون في :

. المقدّمة الكبرى ..... يسمّى قياسا من الدّرجة الأولى .

. المقدّمة الصّغرى ..... يسمّى قياسا من الدّرجة الثّانية .

. النّتيجـة ..... يسمّى قياسا من الدّرجة الثّالثة .

كما قد تحذف المقدّمة الكبرى والنّتيجة ، أو المقدّمة الصّغرى والنّتيجة . ومثال ذلك :

---

[1] المرجع نفسه ، ص 227 .

[2] محمد العبد ، النص الحجاجي العربي ، ص 701 .

[3] يحي بن شرف النووي ، رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين ،اعتنى به: محمد علي قطب ، المكتبة العصرية ، صيدا ، بيروت ، طبعة جديدة 2005 ، ص 11 .

[4] عبد السلام عشير ، عندما نتواصل نغير ، ص 90 .

قول رسول الله ﷺ: "من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه "[1] .

المقدّمة الكبرى :(مضمرة) ..... الإسلام يحثّ على الاهتمام بشؤون الآخرين .

المقدّمة الصّغرى :(مضمرة).... الاهتمام بالآخر لا يعني التّدخّل في خصوصيّاته .

النّتيجة : (مذكورة) .... من حسن الإسلام عدم التّدخّل في خصوصيّات الآخرين .

أ . 3 . القياس المتدرّج :(syllogisme progressif)

وهو نوع معقّد من أنواع القياس ، إذ يعتبر "امتدادا للتّعليل القائم على القياس المنطقي " [2] حيث ينبني على عدد من القياسات المنطقيّة المتتالية والمرتبطة ببعضها البعض فتكون النّتيجة هي نفسها مقدّمة كبرى لنتيجة أخرى لاحقة ، وهكذا تتتابع المقدّمات وصولا إلى النّتيجة الكبرى . ومثال ذلك :

الحديث القدسي : "من عادى لي وليّا فقد آذنته بالحرب ... "[3] .

. من عادى لله وليّا فقد آذنه بالحرب .

. أولياء الله هم مَنْ يتقرّبون لله بالعبادة .

. العبادة وسيلة القرب والمحبّة .

. القرب والمحبّة مجلبة للحفظ من الله – تعالى – .

نجد أنّ المقدّمتين الأوليين قادتنا إلى نتيجة أولى (العبادة وسيلة القرب والمحبّة) وهي بدورها تمثّل مقدّمة لنتيجة أخرى ثانية (القرب والمحبّة مجلبة للحفظ من الله تعالى) . وهكذا فإنّ القياس المتدرّج يبنى على عدّة أقوال على حسب ما يوصل إلى النّتيجة التي يريدها المتكلم .

---

[1] محي الدين النووي وآخرون، شرح الأربعون النووية في الآحاديث الصحيحة النبوية ، اعتنى به : محمود بن الجميل ، دار الإمام مالك ، الجزائر ط2 ، 2010 ، ص 165 .

[2] محمد العبد ، النص الحجاجي العربي ، ص 706 .

[3] يحي بن شرف النووي ، رياض الصالحين ، ص 113 .

ب . تأسيس الواقع بواسطة الحالات الخاصّة :

في بعض الأحيان يتم الاستدلال "بناء على المثال المفرد المعزول الذي يعتمد لتعميم حكم ما أو فكرة معيّنة ، فيتأسّس الواقع على ظاهرة مفردة يتم توسيعها ، بحيث تصبح حالة عامّة لا مجرّد حالة خاصّة ثم الانطلاق منها وبناء الواقع عليها "[1] . ويندرج ضمن الحالات الخاصّة : النّموذج (القدوة) ، الشّاهد ، المثال .

ب . 1 . النّموذج :

يعرّفه (أوليفي روبول) بأنّه "المثال الذي يظهر بمظهر يستوجب تقليده" [2] ، وقدوة يحتذى بها "وليس أي فعل أهلا لكي يحتذى ، إنّنا لا نحتذي إلا بمن نعجب بهم ، أولئك الذين يمتلكون السّلطة أو الشّهرة الاجتماعية التي تعود إلى كفاءتهم أو إلى وظائفهم أو إلى المرتبة التي يحتلونها في المجتمع "[3].

من هنا يتّضح جليّا الدّور الذي يلعبه النّموذج (القدوة) في التّوجيه والقيادة " توجيه المتلقي إلى سلوك معيّن وقيادته نحو موقف محدّد"[4] ، يقول (برلمان) : "حين يتعلق الأمر بالقيادة فإن سلوكا خاصّا لا يؤسّس أو يذيع قاعدة عامّة

[1] سامية الدريدي ، الحجاج في الشعر ، ص 243 .

[2] أوليفي روبول ، مدخل إلى الخطابة ، ص 186 .

[3] محمد الولي ، مدخل نظري تاريخي ، ص 100 .

[4] سامية الدريدي ، الحجاج في الشعر ، ص 245 .

فحسب ، بل يمكنه أن يحرّض على فعل يستلهم منه " [1] لهذا على المحتج التّدقيق في اختيار النّموذج بحيث يكون أهلا للقيادة ، جديرا بالتقليد والاقتداء والسّير على هديه .

ب . 2 . الشّاهد :

هو حسب الجاحظ "استشهاد على شيء ما بقرآن أو حديث أو شعر أو مثل أو خبر مروي بهدف إثباته أو إنكاره أو الاحتجاج له أو بطلانه أو نحو ذلك "[2] .

فهو من "دعامات الحجاج القويّة إذ يضعها المخاطِب في الموضع المناسب ، وهنا تتبدّى أهليّته وبراعته في توظيفها بحسب ما يتطلبه السّياق ، وتسهم هذه الآليّة في رفع ذات المخاطِب إلى درجة أعلى ، وبالتّالي منحها قوّة سلطويّة بالخطاب"[3] ، لها قدرة على التّأثير والإقناع كما يقول (رولان بارت) :"... إنّ الشّاهد ينتج إقناعا أعذب وهو محبوب لدى العوامّ... "[4] .

[1] برلمان و تتيكا ، مصنف في الحجاج ، ج2 ، ص 488. نقلا عن : سامية الدريدي ، الحجاج في الشعر ، ص 245 .

[2] الجاحظ ، البيان والتبيين ، ج1 ، ص 86 .

[3] عبد الهادي بن ظافر الشهري ، آليات الحجاج وأدواته ، ص 285 ، 286 .

[4] محمد الولي ، مدخل نظري ، ص 90 .

الفـصل الثـانـي

الحجاج والإقناع
في رسائل الشيخ أحمد التيجاني

أولا : التّعريف بالشيخ أحمد التّيجاني

ثانيا : التّعـريف بالرّسـائل

1 . تعريف الرسالة

2 . أنـواع الرسائل

3 . أنواع الرسائل عند الشيخ أحمد التّيجاني

ثالثا : الحجاج ووسائل الإقناع عند الشيخ أحمد التّيجاني

I.الوسائل النفسية والاجتماعية

II. وسائل الإثارة والتأثير

1 . الوسائل اللغوية

2. الوسائل البلاغيّة

III. الوسـائل المنطقيّة

1 . الحجج شبه المنطقيّة

2. الحجج القائمة على بنية الواقع

3 . الحجج المؤسسة لبنية الواقع

أولا : التّعريف بالشّيخ أحمد التّيجاني

الشّيخ أحمد التّيجاني هو" أبو العبّاس أحمد بن مَحمد (فتحا) بن المختار بن أحمد بن محمد بن سالم . ولد سنة (1150 هـ ، 1737 م) بقرية عين ماضي بالأغواط (الجزائر) ونشأ بها في عفاف وأمانة، وحفظ وصيانة، وتُقى وديانة . كان كريم الأخلاق طيّب النّفس والفعال كثير الحياء والأدب، حسن السّمت، طويل الصّمت، كثير الوقار عالي الهمّة."[1]

كان أسلافه منتسبين لأهل العلم ومشهورين بالتُّقى والصّلاح، ويصعد نسبه الأبوي إلى سيّدنا الحسن بن الإمام علِي –كرّم الله وجهه – ، حفيد النّبي سيّدنا محمّد ﷺ من ابنته السّيّدة فاطمة الزّهراء. أمّا أمّه فهي السّيّدة عائشة بنت محمّد السّنوسي التّيجاني المضاوي، نسبة إلى قبيلة بنو توجين التي أعطت اسمها للشّيخ الذي أصبح يعرف به (التّيجاني) .

[1] الحاج علي حرازم بن العربي برادة الفاسي ، جواهر المعاني وبلوغ الأماني في فيض سيدي أبي العباس التجاني تح : محمد الراضي كنون ، دار الرشاد ، الدار البيضاء ، المغرب ، ط1 ، 2011 ، ج 1، ص 26.

حفظ الشّيخ أحمد التّيجاني القرآن العظيم في السّابعة من عمره ، وما بلغ الخامسة عشر حتى أتمّ الدّراسة بعين ماضي على يد مبروك بن بوعافية ، فقرأ عليه مختصر خليل والرّسالة لابن أبي زيد القيرواني ومقدّمة ابن رشد وكذلك تحصّل على ما يلزمه من علم النّحو واللغة ، وصار جديرا بالتدريس والفتوى فكان يدرّس ويفتي.[1]

ثم مال الشّيخ إلى طريق الصّوفية والبحث عن الأسرار الإلهيّة حتى تبحّر في فهم علومها والأحوال والمقامات والعلل والوقت ، فبعد مُضي ثلاث سنوات قضاها بالتّعليم في عين ماضي قام بجولة طويلة (بين 1758 م و 1763م) قطع فيها ربوع الصحراء وبلاد المغرب الأقصى قاصدا مراكز العلم وملتمسا للمعرفة والحكمة من أربابها. وخلال هذه الفترة أخذ الطّريقة القادريّة والصّدّيقيّة بمدينة فاس، ثم رجع من المغرب واستقرّ بزاوية أولاد سيدي الشّيخ بقرية الأبيض سيدي الشّيخ مدة خمس سنوات (1763،1767م) ، ثم انتقل إلى مدينة العلم تلمسان التي مكث بها خمس سنوات (1768، 1772م) قضاها في التّدريس.

وفي سنة 1773 عزم على أداء فريضة الحج فمرّ بجبل جرجرة بالقبائل الكبرى وأخذ الطّريقة الخلوتيّة عن الولي الشّهير محمّد بن عبد الرّحمن، ثم مرّ بتونس ومكث بها بضعة أشهر يدرّس بجامع الزّيتونة فأفاد واستفاد من أهل العلم والصلاح ، ثم واصل سيره فمرّ بالقاهرة والتقى بالولي الشّهير محمود الكردي (1715، 1780) كما التقى بالولي أحمد بن عبد الله الهندي الذي منحه أسراره العلمية والمعرفية .[2]

وفي سنة 1774 أدّى فريضة الحج ، وفي المدينة المنوّرة التقى بالولي محمد بن عبد الكريم السمان (1718، 1776م) أحد مشايخ القادريّة الذي منحه ما شاء الله من علوم وأسرار وبشّره بعلوّ المقام .[3]

رجع الشّيخ أحمد التّيجاني إلى الجزائر في آخر 1774م ومكث بتلمسان (من 1775م إلى 1781م) حيث التقى بأول أصحابه ومريديه محمد بن المشري السائحي الطيباني وخلال هذه الفترة زار مدينة فاس سنة 1777م أين التقى بصاحبه الثاني العارف بالله الحاج علي حرازم مؤلف كتاب جواهر المعاني .[4]

---

[1] ينظر : المرجع نفسه ، ص 27 ، 28.

[2] ينظر : المرجع السابق ، ص 44 ، 47 .

[3] ينظر : المرجع نفسه ، ص 48 .

[4] ينظر : عبد الباقي مفتاح، أضواء على الشيخ أحمد التجاني وأتباعه، الوليد للنشر، كوينين، الوادي، الجزائر، دت، ص 78.

عرفت الطّريقة التّيجانية انتشارا واسعا في ظرف وجيز ، ما أثار مخاوف السّلطات العثمانية ببايلك الجزائر ووهران . ما أدّى بهم إلى إصدار تهديد شديد اللهجة لأهل قصر أبي سمغون لإخراج الشّيخ أحمد التّيجاني من بين أظهرهم إذا أرادوا السّلامة من بطشهم ، ففضَّل الشّيخ الخروج من هذا القصر رغم احتجاج أهله الذين ناشدوه البقاء معهم ووعدوه بحمايته بأموالهم وأنفسهم إلا أنه فضَّل لهم العافية شفقة بهم ، وخرج في 28 أوت 1798 م قاصدا مدينة فاس بالمغرب التي دخلها يوم 17 سبتمبر من السنة نفسها ... وهكذا استقرّ الشّيخ أحمد التّيجاني في مدينة فاس 17سنة (1798، 1815م) بعدما قضى 17سنة بأبي سمغون بالجنوب الجزائري (1781، 1798م) .[1]

انتقل الشّيخ أحمد التّيجاني إلى الرّفيق الأعلى صبيحة يوم الخميس 17 شوال 1230 هـ، 1815م ، عن عمر يناهز 80 سنة ، ودفن بزاويته بفاس . وواصلت الطريقة التّيجانية انتشارها من خلال خلفائه الذين حملوا اللواء وواصلوا المسيرة في كل أصقاع العالم .[2]

ثانيا : التّعـريف بالرّسـائل

1 . تعريف الرّسالـة :

قبل التطرّق إلى الحديث عن رسائل الشّيخ أحمد التّيجاني ، ارتأيت تعريف الرسالة لغة واصطلاحا .

أ . لغــة :

ورد في لسان العرب أنّ : "الإرسال ، التّوجيه ، وقد أرسل إليه ، والاسم الرّسالة والرّسول والرّسيل ... والرّسول بمعنى الرّسالة يؤنّث ويذكّر ، والرّسول : معناه في اللغة الذي يتابع أخبار الذي بعثه ..."[3].

وأما قدامه بن جعفر فيعرّف الرّسالة بقوله : "التّرسّل من تراسلت ، أترسّل ترسّلا وأنا مترسّل ولا يقال ذلك إلا لمن يكون فعله في الرّسائل قد تكرّر ، وراسل يراسل مراسلة فهو مراسل وذلك إذا كان هو ومن يراسله قد اشتركا في

---

[1] ينظر المرجع نفسه، ص 83 .

[2] ينظر : المرجع السابق ، ص 95 .

[3] ابن منظور ، لسان العرب ، ص 283 ، 284 (مادة رسل) .

المراسلة ، وأصل الاشتقاق في ذلك أنّه كلام يراسل به من بَعُد ومن غاب ، فاشتقّ له اسم الترسّل والرّسالة من ذلك " [1] .

ومنه الرّسالة هي تواصل بالقلم واللسان بين اثنين بَعُدَا عن بعضهما البعض ، أي انتقال رسالة من مرسل إليه عن طريق رسول (شخص مساعد) بحيث يكون الأوّل مرسلا وهو صاحب الرّسالة ، أو الباعث ، والثاني مرسلا إليه وهو مستقبل الرسالة .

ب . اصطـلاحا :

وقريبا من المعنى اللغوي نجد أن الرّسالة في الاصطلاح هي "مخاطبة الغائب بلسان القلم ... مع تباعد البلاد وطريقة المكاتبة هي طريقة المخاطبة البليغة مع مراعاة أحوال الكاتب والمكتوب إليه والنّسبة بينهما " [2] .

أو هي "ما يكتبه امرؤ إلى آخر معبّرا فيه عن شؤون خاصة أو عامة وتكون الرّسالة بهذا المعنى موجزة لا تتعدّى سطورا محدودة ، وينطلق فيها الكاتب عادة على سجيّته بلا تصنّع أو تأنّق . فيرتفع بها إلى مستوى أدبي رفيع " [3] .

فالرّسالة إذن هي كل ما يكتبه شخص إلى آخر مخبرا إيّاه أمورا شخصية خاصة أو عامة . وهي فنّ نثري ، ولهذا تتعدّد أغراض الرّسائل وتتنوّع .

2 . أنـواع الرّسائل :

أ . الرّسائل الدّيوانيّة :

هي التي تصدر عن ديوان الخليفة أو تتبادلها دواوين الدّولة ، فهي تمثّل الرّسائل الإداريّة والسياسية المتعلقة " بأمور الدولة وشؤونها ، ولذا يُحرص على دقّة المعلومات ومراعاة الرّسوم المتعارف عليها في المكاتبات ذات الصّبغة الرّسمية ،

---

[1] أبو الفرج قدامة بن جعفر ، نقد النثر ، تح : طه حسين وعبد الحميد العيادي ، مطبوعات كلية الآداب ، مصر (المطبوع الخامس عشر) مطبعة دار الكتب المصرية ، القاهرة ، 1983 ، ص 95 ، نقلا عن : الطاهر محمد توات ، أدب الرسائل في المغرب العربي في القرنين السابع والثامن ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، ط1 ، 2010 ، ص 95 .

[2] أحمد الهاشمي ، جواهر الأدب في أدبيات وإنشاء لغة العرب ، مؤسسة المعارف ، بيروت ، لبنان ، د.ط ، د.ت ، ص 44 .

[3] جبور عبد النور ، المعجم الأدبي ، دار العلم للملايين ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 1979 ، ص 122 .

ومن هذا النّوع: العهود والتّقاليد والمناشير ... " [1] . لهذا فهي رسائل لا تهتم بالأساليب الشعريّة بقدر ما تهتم بدقّة المعلومات .

إن الرّسائل الدّيوانيّة رسائل رسميّة تدور موضوعاتها "حول السّلطة وعلاقتها برعاياها في الأمور الدّينيّة والدّنيويّة ذات الشّأن ، كما أنّها ... تبتعد في صياغتها كل البعد عن الأساليب الشعريّة ، وهذا لإعطاء الكلام حقّه "[2] .

ب . الرّسائل الإخوانيّة :

هذه الرّسائل تختلف عن سابقتها بكونها "ميدانا فسيحا للإبداع يتبارى فيه الكُتّاب والأدباء ويتيحون لأقلامهم وقرائحهم أن تنطلق على سجيّتهم ، وأن يعبّر أصحابها عن عواطفهم الشخصيّة في لغة مصقولة منتقاة وأساليب قويّة موشّاة ... "[3] .

فهي رسائل تعبّر عمّا يجيش في الصّدور من أحاسيس ومشاعر تجاه الأصدقاء والإخوان والأقارب ، "وهذا النّوع هو الأقرب إلى الأدب وإيحاءاته اللفظيّة والأسلوبيّة وموضوعاته : الشكر والتشوّق والعتاب والتّهنئة والشّكوى والمدح والهجاء ... ويمكن أن يلحق به الرّسائل الوعظيّة والرّسائل الدّينيّة الجدليّة "[4] .

3 . أنواع الرّسائل عند الشّيخ أحمد التّيجاني :

إنّ المتأمّل لرسائل الشّيخ أحمد التّيجاني يجد أنّها تدخل ضمن النّوع الثاني (الرّسائل الإخوانيّة) ، لكنّها تختلف عن غيرها من حيث الغرض والمضمون ، فالشّيخ إضافة إلى رسائل المناسبات كالتّهنئة أو التّعزية أو ما إلى ذلك من الموضوعات التي اهتم بها المرسِلون ، طرح موضوعات جديدة وتناوَل في رسائله قضايا عامّة وخاصّة تهم الفرد والمجتمع والدّولة فتنوّعت رسائله بتنوّع أصحابها ما بين تلميذ وطالب وفقيه وسلطان وأمير وتاجر وصديق ، واختلفت بذلك أبعادها ومراميها ، فكانت له رسائل ذات بعد تعليمي وأخرى ذات بعد اجتماعي وسياسي واقتصادي وتربوي .

---

[1] محمد يونس عبد العال ، في النثر العربي قضايا وفنون ونصوص ، الشركة المصرية العالمية للنشر لونجمان ، مصر ، ط1 ، 1996 ، ص 162 .

[2] نجاة غقالي ، أدبية الخطاب النثري في كتابات ابن خلدون ، رسالة ماجستير ، إشراف: علي خذري، جامعة الحاج لخضر ، باتنة ، الجزائر 2004 / 2005 ، ص 162 .

[3] عبد العزيز عتيق ، الأدب العربي في الأندلس ، دار النهضة العربية ، بيروت، لبنان ، د.ط ، د.ت ، ص 454 .

[4] محمد يونس عبد العال ، في النثر العربي ، ص 162 .

ولتوضيح الأمر أكثر سوف نبيّن أنواع الرّسائل عند الشّيخ أحمد التّيجاني مع تقديم بعض النّماذج وذلك حتى نأخذ صورة كاملة وواضحة عن هذه الرّسائل .

أ . رسائل ذات بعد تربوي :

ويندرج ضمنها كل الرّسائل التي تُعنَى بتربية العبد تربية روحيّة ، وتهذيب النّفس البشريّة وتصفيتها من كل شهواتها ورعوناتها للوصول بها إلى أعلى مقامات الدّين ألا وهو مقام الإحسان . ومن أمثلة هذه الرّسائل رسالة بعث بها الشّيخ أحمد التّيجاني إلى بعض فقهاء زاوية زرهون ، ومما جاء فيها :

"... وَأَمَّا مَا ذَكَرْتَ مِنْ صُعُوبَةِ انْقِيَادِ نَفْسِكَ عَلَيْكَ لِأَمْرِ اللهِ وَدَوَامِهَا عَلَى التَّخَبُّطِ فِيمَا لا يَرْضَى ، فَتِلْكَ عَادَةٌ جَارِيَةٌ أَقَامَهَا اللهُ فِي الوُجُودِ لِكُلِّ مَنْ أَهْمَلَ نَفْسَهُ وتَرَكَهَا جَارِيَةً فِي هَوَاهَا ، أَنْ لا يُسَهِّلَ عَلَيْهِ سَبِيلاً إِلَى القِيَامِ بِأَمْرِ اللهِ ، بَلْ لاَ يَرَى مِنْ نَفْسِهِ إِلَّا الخُبْثَ وَالمعَاصِي وَالخُرُوجَ عَنْ أَمْرِ اللهِ ، وَمَنْ أَرَادَ تَقْوِيمَ اعْوِجَاجِ نَفْسِهِ فَلْيَشْتَغِلْ بِقَمْعِ نَفْسِهِ عَنْ مُتَابَعَةِ هَوَاهَا مَعَ دَوَامِ العُزْلَةِ عَنِ الخَلْقِ والصَّمْتِ وَتَقْلِيلِ الأَكْلِ ، وَالإِكْثَارِ مِنْ ذِكْرِ اللهِ بِالتَّدْرِيجِ ، وَحُضُورِ القَلْبِ مَعَ الذِّكْرِ ، وَحَصْرِ القَلْبِ عَنِ الخَوْضِ فِيمَا يَعْتَادُهُ مِنَ الخَوْضِ فِي أُمُورِ الدُّنْيَا وَتَمَنِّيهَا وَحُبِّهَا وَحَصْرِ القَلْبِ عَنْ جَمِيعِ المرَادَاتِ وَالاخْتِيَارَاتِ والتَّدْبِيرَاتِ ، وَعَنْ أَخْبَارِ الخَلْقِ ، وَزَمِّ القَلْبِ عَنِ الجَزَعِ مِنْ أَمْرِ اللهِ ، فَبِدَوَامِ هَذِهِ الأُمُورِ تَتَزَكَّى النَّفْسُ وَتَخْرُجُ مِنْ خُبْثِهَا إِلَى مُطَابَقَةِ أَمْرِ اللهِ وَإِلَّا فَلَا ، ﴿ سُنَّةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلُ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ﴾ [1] . وَالشَّيْخُ فِي هَذِهِ الأُمُورِ دَالٌّ وَمُعِينٌ ، لا خَالِقٌ وَلا فَاعِلٌ ، إِذِ الخَلْقُ وَالفِعْلُ للهِ وَالدَّلالَةُ للشُّيُوخِ وَالسَّلامُ . وَصَلَّى اللهُ عَلى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وآلِهِ وصَحْبِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا "[2] .

ب . رسائل ذات بعد علمي تعليمي :

[1] سورة الفتح ، الآية 23 .

[2] الحاج علي حرازم ، جواهر المعاني ، ج2 ، ص 784 .

وتضمّ كل الرّسائل التي تحوي علوما شتى تفيد العبد في دينه ودنياه ، والعلوم عند الصّوفيّة مدارها على أربعة أشياء : الله والنّفس والدّنيا والشّيطان . وهذه العلوم هي التي تؤدّي إلى المعرفة ، وقد عدّها المحاسبي وجعلها سبعة أنواع :

" أحدها علم العلل والأدوية ، وثانيها علم الإنسان بنفسه من جهة حقائقه ، وثالثها العلم بالكمال والنّقص في اللاوجود ، ورابعها العلم بخطاب الحقّ عباده بألسنة الشّرائع وخامسها علم التجلّي ، وسادسها علم الخيال المتّصل والمنفصل ، وسابعها علم الحقائق وهو علم بالأسماء الإلهيّة "[1] .

وقد تتضمّن الرّسالة الواحدة عند الشّيخ أحمد التّيجاني الأربعة أشياء التي تدور عليها المعرفة الحقيقيّة ، كما قد تعالج الرّسالة شيئا واحدا أو شيئين بحسب الغاية والقصد منها . ونسوق هنا نماذج من رسائله ليتّضح الأمر أكثر.

من رسالة بعث بها إلى الطّلبة نقتطف هذا الجزء الذي يتعلق بمعرفة الله والذي يقول فيه: "... وَالأَمْرُ الذِي لابُدَّ مِنْهُ بَعْدَ هَذَا ، وَهُوَ بِدَايَةُ جَمِيعِ الأُمُورِ وَنِهَايَتُهَا هُوَ تَعَلُّقُ القَلْبِ بِاللهِ تَعَالَى بِالانْحِيَاشِ إِلَيْهِ وَالرُّجُوعِ إِلَيْهِ وَتَرْكِ كُلِّ مَا سِوَاهُ عُمُومًا وَخُصُوصًا ، فَإِنْ قَدَرَ العَبْدُ عَلَى ارْتِحَالِ القَلْبِ إِلَى اللهِ بِكُلِّ وَجْهٍ وَعَلَى كُلِّ حَالٍ بِحَرَكَةِ القَلْبِ حِسًّا فَهُوَ الغَايَةُ ، وَإِنْ لَمْ يَقْدِرْ فَلْيُلاَزِمْ بَعْدَ كُلِّ صَلاَةٍ هَذَا الدُّعَاءَ ثَلاَثًا أو سَبْعًا ثم يَمُرُّ بِهِ عَلَى قَلْبِهِ فِي غَيْرِ الصَّلَوَاتِ وَيَحْمِلُ نَفْسَهُ عَلَيْهِ يَصِيرُ لَهُ ذَلِكَ حَالاً.

وَالدُّعَاءُ هُوَ هَذَا : اللهُمَّ عَلَيْكَ مُعَوَّلِي ، وَبِكَ مَلاَذِي ، وَإِلَيْكَ الْتِجَائِي ، وَعَلَيْكَ تَوَكُّلِي وَبِكَ ثِقَتِي وَعَلَى حَوْلِكَ وَقُوَّتِكَ اعْتِمَادِي، وَبِجَمِيعِ مَجَارِي أَحْكَامِكَ رِضَائِي ، وَبِإِقْرَارِي بِسَرَيَانِ قَيُّومِيَّتِكَ فِي كُلِّ شَيْءٍ وَعَدَمِ احْتِمَالِ خُرُوجِ شَيْءٍ دَقَّ أو جَلَّ عَنْ عِلْمِكَ وَقَهْرِكَ حتَّى لَحْظَةَ سُكُونِي "[2].

كذلك نورد مقتطفا من الرّسالة التي بعث بها إلى فقراء فاس يتناول فيها معرفة الدّنيا حيث يقول : " ... وَلاَ تَجْزَعُوا مِنَ المِصَائِبِ وَالبَلِيَّاتِ ، فَإِنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى مَا أَنْزَلَ العِبَادَ فِي دَارِ الدُّنْيَا إِلاَّ لِتَصَارِيفِ الأَحْكَامِ الإِلَهِيَّةِ وَالأَقْدَارِ الرَّبَّانِيَّةِ ، مِمَّا تَضِيقُ بِهِ النُّفُوسُ مِنْ أَجْلِ البَلاَءِ وَالبُوسِ ، وَلَمْ يَجِدْ العِبَادُ مَصْرِفًا عَنْ هَذَا وَلاَ إِمْكَانَ لِلعَبْدِ مِنَ التَّمَكُّنِ

[1] عبيدة بن سيدي محمد الصغير بن أنبوجة الشنقيطي ، ميزاب الرحمة الربانية في التربية بالطريقة التجانية ، دار التجاني للطباعة ، تغزوت الوادي ، الجزائر ، ط1 ، 2009 ، ص 235 .

[2] الحاج علي حرازم ، جواهر المعاني ، ج2 ، ص 761 .

مِنْ دَوَامِ الرَّاحَةِ مِنْ كُلِّ بَلاَءٍ فِي الدُّنْيَا ، بَلْ عَلَى العَاقِلِ أَنْ يَعْلَمَ أَنَّ أَحْوَالَ الدُّنْيَا أَبَدًا مُتَعَاقِبَةٌ بَيْنَ سَاعَاتِ انْقِبَاضٍ وَانْبِسَاطٍ ، وَخَيْرَاتٍ وَشُرُورٍ ، وَأَفْرَاحٍ وَأَحْزَانٍ ، لاَ يَخْرُجُ أَحَدٌ مِمَّنْ سَكَنَ الدُّنْيَا عَلَى هَذَا المِقْدَارِ ، فَإِنْ نَزَلَتْ مُصِيبَةٌ أو ضَاقَتْ نَائِبَةٌ، فَلْيَعْلَمْ أَنَّ لَهَا وَقْتًا تَنْتَهِي إِلَيْهِ ، ثمَّ يَعْقُبُهَا الفَرَحُ والسُّرُورُ ، فَإِنَّ مَنْ عَقَلَ هَذَا عَنِ اللهِ فِي تَصَارِيفِ دُنْيَاهُ تَلَقَّى كُلَّ مُصِيبَةٍ بالصَّبْرِ والرِّضَا بِالقَضَاءِ وَالشُّكْرِ التَّامِّ عَلَى النَّعْمَاءِ والسَّلاَمُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللهِ "[1].

ج . رسائل ذات بعد اجتماعي :

هي رسائل تتناول السّبل والطّرق التي تؤدّي إلى مجتمع إسلامي متآلف ومتآزر متآخ ومحبّ لبعضه البعض ، بعيدا عن الفرقة والبغضاء والعداوة . وقد تكون الرّسالة منفردة بهذا الموضوع ، كما قد تكون هذه الموضوعات مبثوثة في رسالة تضمّ أبعادا أخرى ، ومن النّوع الأوّل رسالة بعث بها الشّيخ أحمد التّيجاني إلى أولاد سليمان عندما علم بأنّهم دخلوا في صراعات مع أهل الشلالة الظهرانية يحذّرهم من العداوة ، حيث يقول :

" ... إِيَّاكُم وَإِيَّاكُم الدُّخُول فِي عَدَاوَةٍ مَعَ أَهْلِ الشَّلاَّلَة الظَّهْرَانِيَّة وَكُلّ مَنْ يُرِيدُ ذَلِكَ مِنْكُم فَلاَ تُسَاعِفُوه ، وَإِنْ فَعَلْتُمْ أَنْتُمْ أوْ هُمْ يَحِلُّ بِكُم جَمِيعًا هَلاَكٌ كَبِيرٌ ، فَكُفُّوا أَنْفُسَكُم عَنِ الدُّخُولِ فِي شَرِّهِم وَاسْأَلُوا اللهَ العَافِيَة وَلاَ تُخَالِفُوا فِي هَذَا وَالسَّلاَم ، وَصَلَّى اللهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّم "[2].

ومن النّوع الثاني أي المبثوثة في رسائل أخرى ، نأخذ هذا المقتطف :

"... وَأُوصِي مَنْ كَانَ مُقَدَّمًا عَلَى إِعْطَاءِ الوَرْدِ ، أَنْ يَعْفُوَ لِلإِخْوَانِ عَنِ الزَّلَلِ ، وَأَنْ يَبْسُطَ رِدَاءَ عَفْوِهِ عَلَى كُلِّ خَلَلٍ ، وَأَنْ يَجْتَنِبَ مَا يُوجِبُ فِي قُلُوبِهِمْ ضَغِينَةٌ أوْ شَيْنًا أَوْ حِقْدًا ، وَأَنْ يَسْعَى فِي إِصْلاَحِ ذَاتِ بَيْنِهِمْ ، وَفِي كُلِّ مَا يُوجِبُ فِي قُلُوبِهِمْ بُغْضًا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ ، وَإِنْ اشْتَعَلَتْ نَارٌ بَيْنَهُمْ سَارَعَ فِي إِطْفَائِهَا ، وَلْيَكُنْ سَعْيُهُ فِي ذَلِكَ فِي مَرْضَاةِ اللهِ تَعَالَى ، لاَ لِحَظٍّ زَائِدٍ عَلَى ذَلِكَ ... "[3] .

---

[1] المرجع السابق ، ج 2 ، ص 757 .

[2] سيدي علي بن بلقاسم ، رسالة الشيخ سيدي أحمد التيجاني لأولاد سليمان ضمن كتاب سيدي علي بن بلقاسم ، مخطوط ، الزاوية التيجانية بتماسين ، ورقلة ، الجزائر ، ص 57 .

[3] الحاج علي حرازم ، جواهر المعاني ، ج2 ، ص 756 .

ففي هذه الرّسالة يوجّه كلامه لممثّله (المقدم) محدّدا له وظيفته الاجتماعية التي يجب أن يسعى لأدائها ابتغاء مرضاة الله –عز وجل– .

كما أنّ له رسالة يخاطب فيها الجميع بما يصلح مجتمعهم ، وممّا جاء فيها :

" ... وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالرَّحْمَةِ ، وَإِيَّاكُمْ ثُمَّ إِيَّاكُمْ أَنْ يُهْمِلَ أَحَدُكُمْ حُقُوقَ إِخْوَانِهِ مِمَّا هُوَ جَلْبُ مَوَدَّةٍ أَوْ دَفْعُ مَضَرَّةٍ ، أَوْ إِعَانَةُ عَلَى كُرْبَةٍ ، فَإِنَّ مَنْ ابْتُلِيَ بِتَضْيِيعِ حُقُوقِ الإِخْوَانِ ابْتُلِيَ بِتَضْيِيعِ الحُقُوقِ الإِلَهِيَةِ ، وَاللهُ فِي عَوْنِ العَبْدِ مَا كَانَ العَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ . وَصُونُوا قُلُوبَكُمْ إِذَا رَأَيْتُمْ أَحَدًا فَعَلَ حَقّاً يُخَالِفُ هَوَاكُمْ ، أَوْ هَدَمَ بَاطِلاً يُخَالِفُ هَوَاكُمْ أَنْ تُبْغِضُوهُ أَوْ تُؤْذُوهُ فَإِنَّ ذَلِكَ مَعْدُودُ مِنَ الشِّرْكِ عِنْدَ اللهِ تَعَالَى .

فَقَدْ قَالَ ﷺ: الشِّرْكُ فِي أُمَّتِي أَخْفَى مِنْ دَبِيبِ النَّمْلِ عَلَى الصَّفَا وَأَقَلُّ ذَلِكَ أَنْ تُحِبَّ عَلَى بَاطِلٍ أَوْ تُبْغِضَ عَلَى حَقٍّ ، أَوْ كَمَا قَالَ ﷺ مِمَّا مَعْنَاهُ هَذَا ... "[1].

د . رسائل ذات بعد سياسي :

وهي الرّسائل التي تَوَجَّهَ بها الشّيخ إلى أصحاب الحكم والسّلطة والسّياسة (السّلطان الأمير ...) يبيّن فيها العلاقة بين الحاكم والشّعب ، أي طبيعة السّلطة ، فهي بعيدة عن التّسلط والظّلم والقهر ، وكذلك بعيدة عن عدم المبالاة والإهمال والإعراض عن الخلق. إذن هي علاقة خدمة فرئيس القوم خادمهم ، والسّلطان ظلّ الله في الأرض والنّائب عنه في تسيير شؤون خلقه الظاهرة .

ومن أمثلة هذه الرّسائل رسالة بعث بها إلى بعض الأمراء ، ومما جاء فيها : " ... اعْلَمْ أَنَّ اللهَ ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ قَدْ وَلاَّكَ أَمْرَ خَلْقِهِ ، وَائْتَمَنَكَ عَلَى بِلاَدِهِ وَعِبَادِهِ ، فَأَنْتَ أَمِينٌ مِنْ أُمَنَاءِ اللهِ فِي بِلاَدِ اللهِ وَعِبَادِهِ ، وَاللهُ سَائِلُكَ عَنْ أَمَانَتِهِ ، وَعَمَّا فَعَلْتَ فِيهَا فَاحْذَرْ مِنَ اللهِ أَنْ يَجِدَكَ فَرَّطْتَ أَوْ اشْتَغَلْتَ عَنْ أَمْرِهِ بِلَعِبٍ ، لَكِنَّ تَكْمِيلَ الأَمْرِ مِنْ كُلِّ وَجْهٍ لاَ يُسْتَطَاعُ بِحُكْمِ الوَقْتِ وَالحَالِ وَعَدَمِ المسَاعِفِ وَالقَابِلِيَّةِ فِي الخَلِقِ ، لَكِنْ لِيَكُنْ سَيْرُكَ عَلَى حَدِّ قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَاسْمَعُوا وَأَطِيعُوا وَأَنفِقُوا خَيْرًا لِّأَنفُسِكُمْ ۗ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾[2]

[1] المرجع السابق ، ج 2 ، ص 759 ، 760 .

[2] سورة التغابن ، الآية 16 .

وَعَلَى حَدِّ قَوْلِهِ ﷺ:(إِذَا أَمَرْتُكُمْ بِشَيْءٍ فَافْعَلُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ ، وَإِذَا نَهَيْتُكُمْ عَنْ شَيْءٍ فَانْتَهُوا) ... وَأُوصِيكَ بِالضُّعَفَاءِ مِنَ الخَلْقِ فَإِنَّهُمْ مَحَلُّ نَظَرِ اللهِ مِنْ خَلْقِهِ ، فَعَلَى قَدْرِ اعْتِنَائِكَ بِهِمْ تَرْتَفِعُ رُتْبَتُكَ عِنْدَ اللهِ ، وَأُوصِيكَ بِالمِظْلُومِين ، يَقُولُ ﷺ: (مَنْ وَلاَّهُ اللهُ مُلْكًا فَأَتَاهُ ذَوُو الحَاجَاتِ فَاحْتَجَبَ عَنْهُمْ ، احْتَجَبَ اللهُ عَنْ حَاجَتِهِ) ..."[1] .

فالشّيخ هنا لم يمار الأمير ولم يداهنه في أعماله تجاه الخلق كما يفعل البعض ، كما أنه لم يعارضه ويصطدم معه حتى لا تكون الفتنة التي تؤدي إلى القتل كما هو حاصل اليوم في البلاد العربية ، بل كان الشيخ من دعاة السلام الذين يجابهون السلاطين باللين ويدافعون عن حقوق الضعفاء والمظلومين دون إفراط أو تفريط ، فهو هنا يمثل سلطة أعلى من سلطة الحاكم ، ألا وهي سلطة الدين ، سلطة الله الباطنية التي يُمَثِّلُها العلماء الرّبّانيّون الذين هم ورثة الأنبياء – عليهم سلام الله – .

وهذا ما جعله يشدّد خطابه في رسالة أخرى بعث بها لبعض رؤساء الدّولة يقول فيها : " ... وَمَنْ كَانَ عَلَى الأُخْرَى وَالعِيَاذُ بِاللهِ مِنْ عَدَمِ المُبَالاَةِ بِخَلْقِ اللهِ ، والتَّبَاعُدِ عَنْ قَضَاءِ حَوَائِجِهِمْ ، وَالتَّنَائِي عَنْ رَحْمَتِهِمْ وَالشَّفَقَةِ عَلَيْهِمْ فَجَزَاؤُهُ مَاهُوَ مَعْلُومٌ فِي النَّارِ . يَقُولُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فِيمَنْ اتَّصَفَ بِهَذِهِ الصِّفَةِ ﴿ خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ ﴾[2]... ."[3]

من خلال هذه الرّسالة تظهر شجاعة الشّيخ في زمن الظّلم والقهر والجبروت ، فهو لا يخاف السّلطان ولا يداهنه في ما لا يرضي الله ، بل هو قائم بالله وفي الله ولله ، يقول الحق ولا يخاف في الله لومة لائم .

والشّيخ لم يكتف بالتوجّه للسّلاطين بالخطاب فيما يخصّ السّياسة بل توجّه إلى أصحابه أيضا بخطاب يحذّر فيه من التّعرّض لولاّة الأمر لأنّ ذلك يؤدّي حتما إلى الفتن والقتل والحروب ولعل ما يحدث في بلاد المسلمين من جرّاء الرّبيع العربي إلا دليل على ذلك .

ويقول الشّيخ أحمد التّيجاني في رسالة أخرى بعث بها للجميع :

---

[1] المرجع السابق ، ج2 ، ص 798 ، 799 .

[2] سورة الحاقة ، الآية 30-31 .

[3] الحاج علي حرازم ، جواهر المعاني ، ج2 ، ص 787 .

" ... وَسَلِّمُوا لِلْعَامَّةِ وَوُلاَةِ الأَمْرِ مَا أَقَامَهُمْ اللهُ فِيهِ مِنْ غَيْرِ تَعَرُّضٍ لِمُنَافَرَةٍ أَوْ تَبْغِيضٍ أَوْ تَنْكِيرٍ فَإِنَّ اللهَ هُوَ الَّذِي أَقَامَ خَلْقَهُ فِيمَا أَرَادَ ، وَلاَ قُدْرَةَ لِأَحَدٍ أَنْ يُخْرِجَ الخَلْقَ عَمَّا أَقَامَهُمْ اللهُ فِيهِ واتْرُكُوا التَّعَرُّضَ لِلرِّيَاسَةِ وَأَسْبَابَهَا فَإِنَّهَا كَعْبَةُ تَطُوفُ بِهَا جَمِيعُ الشُّرُورِ ، وَهِيَ مَقَرُّ الهَلاَكِ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ ، وَمَنْ ابْتُلِيَ مِنْكُمْ بِمُصِيبَةٍ ، أَوْ نَزَلَتْ بِهِ مِنَ الشُّرُورِ نَائِبَةُ فَلْيَصْبِرْ بِانْتِظَارِ الفَرَجِ مِنَ اللهِ ، فَإِنَّ كُلَّ شِدَّةٍ لاَبُدَّ لَهَا مِنْ غَايَةٍ ، وَكُلُّ كَرْبٍ لاَبُدَّ لَهُ مِنْ فَرَجٍ ، وَإِنْ ضَاقَ بِهِ الحَالُ فَعَلَيْهِ بِالتَّضَرُّعِ وَالابْتِهَالِ حَتَّى يَبْلُغَ بِالفَرَجِ مِنَ اللهِ غَايَةَ الآمَالِ "[1] .

هـ . رسائل ذات بعد اقتصادي :

هي رسائل توجّه بها الشّيخ أحمد التّجاني إلى أرباب المال والتّجّار خاصّة لعلمه بأهمّيّة التّجارة في حياة الأفراد والدّول ، لأنّها مصدر مالي دائم بدوام الإنسان ومغاير لبقيّة المصادر الماليّة الأخرى ، فمثلا البترول مصدر مالي بالنّسبة للدّول التي تصدّره ولكنّه غير دائم ، فسوف ينفد يوما ما . والدّول التي تعتمد عليه في اقتصادها سوف يصيبها العجز المالي بنفاده ، وتتدهور أحوالها المعيشيّة .

ولهذا فإن هذه الرّسائل تنبيه للمسلم على أهميّة التّجارة وتوجيهه للاعتناء بها ، وما اهتمام الدّول الغربيّة بالتّجارة والأسواق العالميّة إلا دليل على صدق رؤية الشّيخ ونظرته الثّاقبة وحكمته واستبصاره للأمور.

ومن هذه الرّسائل رسالة بعث بها إلى أحد التّجّار وهي مذكورة بالكامل في جواهر المعاني اقتطفنا منها هذا الجزء للتّوضيح : "... وَالنَّهْيُ عَنْ إِضَاعَةِ المَالِ ولُزُومُ حِفْظِهِ هُوَ أَمْرٌ اجْتَمَعَتْ عَلَيْهِ الأمّـَـةُ ، وَلاَ نَعْلَمُ بَيْنَهُمْ فِيهِ خِلاَفًا ، هَذَا وَقَدْ سَمِعْتَ

أَلْفَاظَ القُرْآنِ الكَرِيمِ الذِي ﴿ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾[2]. وَلَيْسَ لَكَ إِلاَّ السَّمْعُ وَالطَّاعَةُ وَالاتِّبَاعُ ، فَلاَ تَنْهَمِرْ فِي إِعْطَاءِ المَالِ حَتَّى تَنْتَهِيَ إِلَى التَّبْذِيرِ ، فَتَقَعَ فِيمَا حَرَّمَهُ اللهُ تَعَالَى ، وَلاَ تُمْسِكْ يَدَكَ عَنِ الإِعْطَاءِ حَتَّى تَنْتَهِيَ إِلَى البُخْلِ ، فَإِنَّهُ مَذْمُومٌ شَرْعًا وَطَبْعًا ، وَكُنْ فِي وَسَطِ الأَمْرَيْنِ بَيْنَ البُخْلِ وَالتَّبْذِيرِ ،

[1] المرجع السابق ، ج2 ، ص 757 .

[2] سورة فصلت ، الآية 42 .

يَعْنِي تَوَسَّطْ فِي ذَلِكَ وَأَعْطِ للهِ بِقَدْرِ اتّسَاعِ مَالِكَ ، وَقَدْرِ مَصْرُوفِكَ عَلَى أَهْلِكَ وَنَوَائِبِكَ ، وَعَلَى قَدْرِ مَا يَدْخُلُ يَدَكَ مِنَ التّجَارَةِ وَالأَسْبَابِ فِي كُلِّ وَقْتٍ... "[1] .

يظهر في هذه الرّسالة مدى دراية الشّيخ ومعرفته بعلم الاقتصاد والماليّة ، فهو يتحدّث عن الإنفاق والتّبذير والمديونيّة والعجز المالي ؛ حيث بدأ الحديث عن الإنفاق الذي "يجب أن يكون مقيّدا بضوابط قانونيّة واقتصاديّة ودينيّة وذلك بهدف تحصين المال من التّلف والتّبذير ، وفي نفس الوقت الابتعاد عن البخل لأنّه مذموم شرعا ، ثم يصوّر لنا الشّيخ سيدي أحمد التّيجاني مشهدا رائعا يبيّن فيه من خلال مجموعة من المراحل كيف يصل التّاجر من مرحلة الإنفاق مرورا بالتّبذير فالوصول إلى المرحلة الخانقة خاصة عند الإعسار وهي المديونيّة ؛ والتي تعتبر مرحلة هلاك التّاجر فيتلف دينه وعقله ودنياه وآخرته "[2] .

فكثرة الإنفاق الخارج عن الحدّ الواجب تبذير ، وإعطاء المال للفقراء والمحتاجين بكثرة وبصورة دائمة من مكر الشّيطان ، لهذا يجب أن يتجنّبه التّاجر المسلم وإلا ضيّع كل ماله ثم حدث له تشويش لعجزه المالي فيضطرّ للدَّيْنِ من أجل الإنفاق على أهله ، ثم لا يجد سبيلا لتسديد دينه فيصبح في زمرة الهالكين لضياع عقله ودينه ودنياه وآخرته .

ففي هذه الرّسالة يوصي الشّيخ صاحبه بالحفاظ على ماله من التّلف لأنّ به يحفظ دينه ودنياه فرأس المال عنصر أساسي للإنتاج ، بل يعدّ مقوّما أساسيّا للازدهار والرّقي ولهذا لابدّ من ضوابط تضبطه وهي الاعتدال في الإنفاق والبعد عن كل من طرفي البخل والتّبذير .

وخلاصة القول: إن المتمعّن في رسائل الشّيخ أحمد التّيجاني بجميع أنواعها يظهر له جليّا اهتمامه بكل نواحي الحياة (سياسة ، مجتمع ، اقتصاد ، تربية ، تعليم ...) وهو ما يدلّ على " تلك الرّؤية الوحدويّة الشّاملة للواقع والأشياء "[3].

---

[1] الحاج علي حرازم ، جواهر المعاني ، ج2 ، ص 788 .

[2] عبد العزيز مصباحي ، خطاب الزوايا في الجزائر ، الزاوية التيجانية أنموذجا ، دراسة تداولية ، رسالة ماجستير ، إشراف : علي خفيف جامعة باجي مختار ، عنابة ، الجزائر ، 2011 / 2012 ، ص 93 .

[3] حميدي خميسي ، افتتاحية العدد ، مجلة الخطاب الصوفي ، جامعة الجزائر ، ع 2 ، 2008 ، ص 11 .

فهو لم يعتن بتربية الفرد تربية روحيّة والتّرقي به في المقامات على حساب ما يحيط به من واقع معيشي بل على العكس كان يسعى دوما إلى توجيه سلوك المتلقي في الحياة العمليّة ، لأنّ التّصوّف " ليس حالة روحيّة تجريديّة ، بل هو يمثل المنهج الذي يجمع المادّة والرّوح ، فالإنسان يمارس حياته الماديّة في ظل الأخلاقيّة الدّينيّة طالما أن الدّين لا يدعو إلى أن يهمل الفرد دنياه وغرائزه "[1] .

إن الشّيخ أحمد التّيجاني من خلال رسائله المتنوّعة يحاول " القيام بالمساهمة الفاعلة في تخليق الحياة الفرديّة والجماعيّة "[2] . لأن مشكلات المسلمين الحياتيّة في الواقع هي مشكلات أخلاقيّة وأزمات روحيّة ، ويكمن الحل فقط في تجسيد الأخلاق من عفو وتسامح وصبر ورضا وتراحم وتماسك ... في السّلوكيّات اليوميّة للأفراد .

لقد حاول الشّيخ من خلال خطابه في الرّسائل " إحياء الدّين في النّفوس وإصلاح معايب المجتمع في صورة تركز على البعد الرّوحاني والتّربوي والأخلاقي للإنسان ، دون أي إهمال لأبعاده الأخرى " [3]. وذلك للارتباط الوثيق بينهما ، وعدم انفصال إحداهما عن الأخرى لأن " كلاّ من السّياسة الرّاشدة بين الحاكم والمحكوم والمجتمع الذي ينظّمه ميزان العدل وشريان التّعاون ، والاقتصاد المزدهر الذي تمتد أفياؤه إلى الفرد والمجتمع ، لا ينمو كل ذلك ويترعرع إلا في نفوس صَقَلَتْهَا أو زَكَّتْها العبادة الصّحيحة لقيّوم السّموات والأرض"[4].

إن التّناغم المطلوب بين الأطر والجوانب السّياسيّة والاجتماعيّة والاقتصاديّة والتّعليميّة من جهة ، والجانب الدّيني الرّوحي من جهة أخرى هو الذي يسعى إليه الشّيخ أحمد التّيجاني وهو وحده الكفيل بـ " تعزيز ثقافة الإنجاز ، ومن ثَمَّ السّير قدما على درب التّنمية " [5] . والنّهوض بالإسلام من جديد ، وتشييد حضارة إسلاميّة تضاهي الحضارة

---

[1] أحمد حطيط ، الخطاب الصوفي والعولمة ، مفهومان متنافران ، مجلة الخطاب الصوفي ، ع2 ، ص 153 .

[2] المرجع نفسه ، ص 162 .

[3] المرجع نفسه ، ص 165 .

[4] محمد سعيد رمضان البوطي ، التعرف على الذات هو الطريق المعبّد إلى الإسلام ، دار الفكر ، دمشق ، د.ط ، د. ت ، ص 91 .

[5] عبد القادر تومي ، التصوف والمجتمع ، قراءة في الأبعاد الاجتماعية للتصوف ، مجلة الخطاب الصوفي ، ع3 ، 2010 ، ص 165 .

الغربيّة الحاليّة ، بل تتفوّق عليها وتَتَعَالَى عن " أدران الرّقمنة والمادّيّة الفجّة " [1] ، إلى عالم أسمى وأسنى يحقّق خلافة الله في الأرض التي خُلِق من أجلها الإنسان .

ثالثا : الحجاج ووسائل الإقناع عند الشّيخ أحمد التّيجاني

سؤال يتبادر إلى أذهاننا دوما ، لكن لا نحاول البحث عن إجابة له أو أنّها واضحة وضوح الشّمس إلا أنّنا تغافلنا عنها. وهذا السّؤال هو: كيف أمكن للخطاب الدّيني الإسلامي (القرآن الكريم والحديث الشريف) من تغيير أمّة من النّقيض إلى النّقيض ؟ أمّة تحوّلت في مدّة قصيرة قياسا بحياة الأمم ، من جاهليّة لا تمتلك من العلم إلا الشّعر إلى أمّة رادت الأمم في شتّى العلوم ردحا من الزّمن ، وشيّدت لنفسها حضارة عظيمة امتدّت قرونا وقرونا أمّة تغيّرت وغيّرت أمما أخرى بنشر الإسلام وتبليغه للعالمين كافة.

فهل أنّ قدرة هذا الخطاب على التّغيير كامنة في كونه يخاطب القلوب ويجعلها متعلقة بالله مؤمنة به ، أم أنّه يتعدّى ذلك ؟

إنّ الدّارس للقرآن الكريم تتجلّى له بوضوح الإجابة عن هذا السّؤال في شقّين : **أوّلهما** : التّركيز على مخاطبة العقل ، والآيات القرآنيّة في ذلك كثيرة .

ثانيهما : أنّه يعتمد أسلوب الحوار مع الآخر ، حتى مع الكفّار الذين يخاصمون أنبياء الله ، وما قصّة سيدنا إبراهيم –عليه السّلام– مع النّمرود وحوار سيّدنا محمّد ﷺ مع وفد نجران ومحاورته لهم في سورة آل عمران إلا دليل ساطع على أنّ القرآن الكريم دين الحجّة البالغة ، الدّاحضة لكل ضلال لا دين المشاعر والأحاسيس .

إذن إنّ القرآن الكريم يحاور الآخر ويقنعه بالحجّة للقبول به ، ومن ثمّة تغيير السّلوك والفكر تبعا له ، وهذا المنهج الذي رسمه الله – سبحانه وتعالى– لعباده في قرآنه المبني على الحوار والإقناع بالحجّة حريّ بنا أن نتّبعه حتى نكون رسل سلام ننشر الإسلام في كل ربوع العالم .

[1] عز الدين الناجح ، صورة الشيخ من خلال دراسة لبعض النماذج من ديوان الشيخ "أحمد العلاوي المستغانمي" عولمة الشيخ والشيخ في العولمة مجلة الخطاب الصوفي ، ع2 ، ص 249 .

إذن تكمن أهميّة الحجاج " في كونه بديلا علميّا لكثير من وسائل الإرغام مثل القوّة الماديّة وبذلك فهو الأداة السّلميّة التي تتضمّن التّغيير في معتقدات المرسل إليه دون خسران " [1]. ولذلك اتّبعه علماء الأمّة الذين أعطوا صورة واضحة عن الإسلام من خلال إقناع العقل لا إرغام النّفس .

والشّيخ أحمد التّيجاني كغيره من علماء الأمّة عمد إلى الحجاج لما له من دور فعّال في تغيير المتلقي سواء أبدفعه إلى القيام بفعل أو بتخلّيه عنه ، ولم يعمد إلى الإرغام أو إلى الإكراه أو إلى أي وسيلة أخرى ، لأنّه كان يسعى إلى "إقناع الجمهور بأفضليّة خيار من بين الخيارات المتاحة في السّياق الذي يحفّ بهم ... بهدف دفع فاعلين معيَّنين في مقام خاص إلى القيام بأعمال إزاء الوضع الذي كان قائما ، وبهذا فهو فعل دَفْع من جهة وفعل إبْعاد من جهة أخرى أو تفريغ وملء ؛ تفريغ الذّهن من كل الاقتناعات السّابقة وملئه بما يراد من حجج وإثباتات "[2] .

وفي هذا الجزء من البحث سوف ندرس الحجاج في إحدى رسائل الشّيخ أحمد التّيجاني مُركّزين على وسائل الإقناع اللغويّة وغير اللغويّة والبلاغيّة والمنطقيّة .

نص الرّسـالة :

الرسالة التي نحن بصدد دراستها موجّهة من الشّيخ أحمد التّيجاني إلى تلامذته وهي تعالج تفاصيل حياة المسلم اليوميّة ، واحتياجاته الدّينيّة والدّنيويّة بأسلوب واضح وبسيط يمتزج فيه المعنى بالمبنى ، ويتعانق فيه الفكر والتّعبير . وهدفها إبلاغي إقناعي ؛ أي إبلاغ قصد المتكلم وتحقيق الفهم ، كما تحتوي على أهم الخصائص الحجاجيّة التي تجعلها جديرة بالدّراسة والتحليل ولذلك آثرنا أن نركز على إبراز هذا المنحى في دراستنا التطبيقية في هذا الفصل.

وقد وردت هذه الرّسالة في جواهر المعاني وهذا نصها بالكامل :

" بَعْدَ البَسْمَلَةِ وَالصَّلاَةِ وَالسَّلاَمِ عَلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالحَمْدَلَةِ قَالَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ : بَعْدَ السَّلاَمِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةِ اللهِ تَعَالَى وَبَرَكَاتِهِ ، أَمَّا بَعْدُ : فَالَّذِي أُوصِيكُمْ بِهِ وَإِيَّايَ : المحَافَظَةَ المحَافَظَةَ عَلَى قَوْلِهِ ﷺ :(ثَلاَثُ

[1] عبد الهادي بن ظاهر الشهري ، استراتيجيات الخطاب ، ص 459 .

[2] المرجع نفسه ، ص 459 .

مُنْجِيَاتٍ وَثَلاَثُ مُهْلِكَاتٍ ، فَأَمَّا المُنْجِيَاتُ فَهِيَ تَقْوَى اللهِ فِي السِّرِّ وَالعَلاَنِيَةِ ، وَكَلِمَةُ الحَقِّ فِي الرِّضَا وَالغَضَبِ ، وَالقَصْدُ فِي الغِنَى وَالفَقْرِ . وَأَمَّا المهْلِكَاتُ فَشُحٌّ مُطَاعٌ ، وَهَوًى مُتَّبَعٌ ، وَإِعْجَابُ المرْءِ بِرَأْيِهِ).

وَعَلَى قَوْلِهِ ﷺ:(مَا تَحْتَ قُبَّةِ السَّمَاءِ إِلَهٌ يُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللهِ أَعْظَمُ مِنْ هَوًى مُتَّبَعٍ) وَعَلَى قَوْلِهِ ﷺ:(مِنْ حُسْنِ إِسْلاَمِ المرْءِ تَرْكُهُ مَالاَ يَعْنِيهِ) وَعَلَى قَوْلِهِ ﷺ:(لاَ تَتَمَنَّوْا لِقَاءَ العَدُوِّ وَاسْأَلُوا اللهَ العَافِيَةَ فَإِذَا لَقِيتُمُوهُمْ فَاصْبِرُوا) .

وَهَذَا وَإِنْ وَرَدَ فِي مَيَادِينِ الجِهَادِ فِي قِتَالِ الكُفَّارِ ، فَهُوَ مُنْقَلِبٌ فِي هَذِهِ الأَزْمِنَةِ فِي الصَّفْحِ عَنْ شَرِّ النَّاسِ ، فَمَنْ تَمَنَّى بِقَلْبِهِ أَوْ أَرَادَ تَحْرِيكَ الشَّرِّ مِنْهُ عَلَى النَّاسِ ، سَلَّطَهُمْ اللهُ عَلَيْهِ مِنْ وَجْهٍ لاَ يَقْدِرُ عَلَى دَفْعِهِمْ ، وَعَلَى العَبْدِ أَنْ يَسْأَلَ اللهَ العَافِيَةَ مِنْ تَحْرِيكِ شَرِّ النَّاسِ وَفِتْنَتِهِمْ ، فَإِنْ تَحَرَّكَ عَلَيْهِ مِنْ غَيْرِ سَبَبٍ مِنْهُ ، فَالوَجْهُ الأَعْلَى الَّذِي تَقْتَضِيهِ رُسُومُ العِلْمِ ، مُقَابَلَتُهُمْ بِالإِحْسَانِ فِي إِسَاءَتِهِمْ ، فَإِنْ لَمْ يَقْدِرْ فَبِالصَّفْحِ وَالعَفْوِ عَنْهُمْ إِطْفَاءً لِنِيرَانِ الفِتْنَةِ ، فَإِنْ لَمْ يَقْدِرْ فَبِالصَّبْرِ لِثُبُوتِ مَجَارِي الأَقْدَارِ ، وَلاَ يَتَحَرَّكُ فِي شَيْءٍ مِنْ إِذَايَتِهِمْ لإِسَاءَتِهِمْ ، وَإِنْ اشْتَعَلَتْ عَلَيْهِ نِيرَانُ شَرِّهِمْ فَلْيُدَافِعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ بِلِينٍ وَرِفْقٍ فَإِنْ لَمْ يُفِدْ ذَلِكَ فَعَلَيْهِ بِالهَرَبِ إِنْ قَدَرَ وَالخُرُوجِ عَنْ مَكَانِهِ فَإِنْ عَوَّقَتِ العَوَائِقُ عَلَى الارْتِحَالِ وَلَمْ يَجِدْ قُدْرَةً ، فَلْيُدَافِعْ بِالأَقَلِّ فَالأَقَلِّ مِنَ الإِذَايَةِ ، فَلْيَفْعَلْ ذَلِكَ ظَاهِرًا وَيُكْثِرِ التَّضَرُّعَ إِلَى اللهِ وَالابْتِهَالَ سِرًّا فِي رَفْعِ شَرِّهِمْ عَنْهُ مُدَاوِمًا ذَلِكَ حَتَّى يُفَرِّجَ اللهُ عَلَيْهِ. فَإِنَّ هَذِهِ الوُجُوهَ الَّتِي ذَكَرْنَاهَا هِيَ الَّتِي تَقْتَضِيهَا رُسُومُ العِلْمِ .

وَالحَذَرَ الحَذَرَ لِمَنْ تَحَرَّكَ عَلَيْهِ شَرُّ النَّاسِ مِنْكُمْ أَنْ يُبَادِرَ إِلَيْهِ بِالتَّحَرُّكِ بِالشَّرِّ لِمُقْتَضَى حَرَارَةِ طَبْعِهِ وَظُلْمَةِ جَهْلِهِ وَعِزَّةِ نَفْسِهِ ؛ فَإِنَّ المبَادِرَ لِلشَّرِّ بِهَذَا وَإِنْ كَانَ مَظْلُومًا فَاضَتْ عَلَيْهِ بُحُورُ الشَّرِّ مِنَ الخَلْقِ ، يَسْتَحِقُّ الهَلاَكَ بِهِ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ ، وَتِلْكَ عُقُوبَتُهُ لِإِعْرَاضِهِ عَنْ جَنَابِ اللهِ أَوَّلاً فَإِنَّهُ لَوْ فَزِعَ إِلَى اللهِ بِالتَّضَرُّعِ وَالشِّكَايَةِ ، وَاعْتَرَفَ بِعَجْزِهِ وَضَعْفِهِ ، لَرَفَعَ اللهُ عَنْهُ ضَرَرَ الخَلْقِ بِلاَ سَبَبٍ أَوْ بِسَبَبٍ لاَ تَعَبَ عَلَيْهِ فِيهِ أَوْ يُشْغِلَهُمْ اللهُ بِشَاغِلٍ يَعْجِزُونَ عَنْهُ ، فَإِمَّا أَنْ يَفْعَلَ اللهُ لَهُ هَذَا، وَإِمَّا أَنْ يُنْزِلَ عَلَيْهِ اللُّطْفَ العَظِيمَ أَوْ الصَّبْرَ الجَمِيلَ ، فَيُكَابِدُ غُصَصَ تِلْكَ الشُّرُورِ بِمَا هُوَ فِيهِ مِنَ اللُّطْفِ وَالصَّبْرِ ، حَتَّى يَرِدَ عَلَيْهِ الفَرَجُ مِنَ اللهِ تَعَالَى، فَيَكُونَ مُثَابًا دُنْيَا وَأُخْرَى. أَمَّا ثَوَابُ الدُّنْيَا فَبِحَمْدِ العَاقِبَةِ وَظُهُورِ نَصْرِهِ فِي الخَلْقِ عَلَى قَدْرِ رُتْبَتِهِ ، وَأَمَّا ثَوَابُ الآخِرَةِ فَبِالفَوْزِ بِمَا لاَ غَايَةَ لَهُ مِنْ ثَوَابِ الصَّابِرِينَ الَّذِي وَعَدَهُ اللهُ تَعَالَى .

قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى :﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ ٱلْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ بِمَا صَبَرُوا۟﴾[1]. وَقَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى :﴿وَٱصْبِرُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾[1] . وَقَالَ تَعَالَى حَاكِيًا عَنْ نَبِيِّهِ يُوسُفَ –عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ– ﴿مَن يَتَّقِ

[1] سورة الأعراف ، الآية 137 .

وَيَصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾[2] . وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا۟ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِۦ ۖ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّٰبِرِينَ ﴾[3] . إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الآيَاتِ ، وَلِعَدَمِ اعْتِبَارِ النَّاسِ لِمَا ذَكَرْنَا نَرَى النَّاسَ أَبَداً فِي عَذَابٍ عَظِيمٍ مِنْ مُكَابَدَةِ شُرُورِ بَعْضِهِمْ بَعْضاً ، وَوَقَعُوا بِذَلِكَ فِي المهَالِكِ العِظَامِ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ إِلاَّ مَنْ حَفَّتْهُ عِنَايَةٌ عَظِيمَةٌ إِلَهِيَّة ، فَإِنَّ العَامَّةَ لاَ يَرَوْنَ فِي تَحْرِيكِ الشَّرِّ عَلَيْهِمْ إِلاَّ صُورَةَ الشَّخْصِ الَّذِي حَرَّكَهُ عَلَيْهِمْ لِغَيْبَتِهِمْ عَنِ اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وَعَنْ غَالِبِ حُكْمِهِ فَنَهَضُوا فِي مُقَابَلَةِ الشُّرُورِ بِحَوْلِهِمْ وَاحْتِيَالِهِمْ وَصَوْلَةِ سُلْطَانِ نُفُوسِهِمْ ، فَطَالَتْ عَلَيْهِمْ مُكَابَدَةُ الشُّرُورِ ، وَحُبِسُوا فِي سِجْنِ العَذَابِ عَلَى تَعَاقُبِ الدُّهُورِ.

فَإِنَّ الكَيِّسَ العَاقِلَ إِذَا انْصَبَّ عَلَيْهِ الشَّرُّ مِنَ النَّاسِ ، أَوْ تَحَرَّكُوا لَهُ بِهِ ، رَآهُ تَجَلِّيّاً إِلَهِيًّا لاَ قُدْرَةَ لأَحَدٍ عَلَى مُقَاوَمَتِهِ إِلاَّ بِتَأْيِيدٍ إِلَهِي ، فَكَانَ مُقْتَضَى مَا دَلَّهُ عَلَيْهِ عِلْمُهُ وَعَقْلُهُ الرُّجُوعُ إِلَى اللهِ بِالهَرَبِ وَالالْتِجَاءِ إِلَيْهِ وَتَتَابُعِ التَّضَرُّعِ وَالابْتِهَالِ لَدَيْهِ وَالاعْتِرَافِ بِعَجْزِهِ وَضَعْفِهِ ، فَنَهَضَ مُعْتَصِمًا بِاللهِ فِي مُقَابَلَةِ خَلْقِهِ ، فَلاَ شَكَّ أَنَّ هَذَا تُدْفَعُ عَنْهُ الشُّرُورُ بِلاَ تَعَبٍ مِنْهُ ، وَلَوْ التَهَبَتْ عَلَيْهِ نِيرَانُ الشَّرِّ مِنَ الخَلْقِ لَعَجَزُوا عَنِ الْوُصُولِ إِلَيْهِ لِاعْتِصَامِهِ بِاللهِ تَعَالَى ، فَإِنَّ مَنْ تَعَلَّقَ بِاللهِ تَعَالَى لاَ يَقْوَى لَهُ شَيْءٌ ، قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ﴾[4] .

وَهَذَا البَابُ الَّذِي ذَكَرْنَاهُ كُلُّ الخَلْقِ مُحْتَاجُونَ إِلَيْهِ فِي هَذَا الوَقْتِ ، فَمَنْ أَدَامَ السَّيْرَ عَلَى هَذَا المِنْهَاجِ ، سَعِدَ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ ، وَمَنْ فَارَقَهُ وَكَّلَهُ اللهُ إِلَى نَفْسِهِ ، فَنَهَضَ إِلَى مُقَابَلَةِ الشُّرُورِ بِحَوْلِهِ وَاحْتِيَالِهِ ، فَهَلَكَ كُلَّ الهَلاَكِ فِي عَاجِلِهِ وَآجِلِهِ ، وَفِيمَا ذَكَرْنَا كِفَايَةٌ.

وَعَلَيْكُمْ بِشُكْرِ النِّعَمِ الوَارِدَةِ مِنَ اللهِ تَعَالَى بِسَبَبٍ أَوْ بِلاَ سَبَبٍ ، وَالشُّكْرُ يَكُونُ فِي مُقَابَلَتِهَا بِطَاعَةِ الله تَعَالَى إِنْ قَدَرَ عَلَى أَنْ تَكُونَ كُلِّيَةً ، وَإِلاَّ فَالأَبْقَعُ خَيْرٌ مِنَ الأَسْوَدِ ، وَأَقَلُّ ذَلِكَ شُكْرُ اللِّسَانِ ، فَلاَ أَعْجَزَ مِمَّنْ عَجَزَ عَنْ شُكْرِ

---

[1] سورة الأنفال ، الآية 46 .

[2] سورة يوسف ، الآية 90 .

[3] سورة النحل ، الآية 126 .

[4] سورة الطلاق ، الآيتين 2 ، 3 .

اللِّسَانِ ، وَلْيَكُنْ ذَلِكَ بِالوُجُوهِ الجَامِعَةِ لِلشُّكْرِ ، فَأَعْلَى ذَلِكَ فِي شُكْرِ اللِّسَانِ : تِلاَوَةُ الفَاتِحَةِ فِي مُقَابَلَةِ مَا أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِ شُكْرًا. وَلْيَنْوِ عِنْدَ تِلاَوَتِهَا أَنَّهُ يَسْتَغْرِقُ شُكْرَ جَمِيعِ مَا أَحَاطَ بِهِ عِلْمُ اللهِ مِنْ نِعَمِهِ عَلَيْهِ الظَّاهِرَةِ وَالبَاطِنَةِ ، وَالحِسِّيَّةِ وَالمَعْنَوِيَّةِ ، وَالمَعْلُومَةِ عِنْدَ العَبْدِ وَالمَجْهُولَةِ لَدَيْهِ ، وَالعَاجِلَةِ وَالآجِلَةِ ، وَالمُتَقَدِّمَةِ وَالمُتَأَخِّرَةِ ، وَالدَّائِمَةِ وَالمُنْقَطِعَةِ ، وَيَتْلُو بِهَذِهِ النِّيَةِ مَا قَدَرَ عَلَيْهِ مِنَ الفَاتِحَةِ مِنْ مَرَّةٍ إِلَى مِائَةٍ ، فَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ كَتَبَهُ اللهُ شَاكِرًا ، وَكَانَ ثَوَابُهُ المَزِيدَ مِنْ نِعَمِهِ عَلَى قَدْرِ رُتْبَتِهِ بِحَسَبِ وَعْدِهِ الصَّادِقِ .

وَأَمَّا وُجُوهُ المَحَامِدِ الجَامِعَةِ فَهِيَ كَثِيرَةٌ ، لاَ نُطَوِّلُ بِذِكْرِهَا مِثْلُ قَوْلِهِ ﷺ : (لاَ أُحْصِي ثَنَاءً عَلَيْكَ أَنْتَ كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَى نَفْسِكَ) . وَمِنْهَا : إِلَهِي لَكَ الحَمْدَ وَلَكَ الشُّكْرُ ، مِثْلَ جَمِيعِ مَا أَحَاطَ بِهِ عِلْمُكَ مِنْ صِفَاتِكَ وَأَسْمَائِكَ وَجَمِيعِ مَحَامِدِكَ الَّتِي حَمِدْتَ بِهَا نَفْسَكَ بِكَلاَمِكَ وَالَّتِي حَمِدَكَ بِهَا كُلُّ فَرْدٍ مِنْ خَلْقِكَ ، بِأَيِّ لَفْظٍ ذَكَرُوكَ بِهِ كُلُّ حَمْدٍ مِنْ ذَلِكَ مِنْكَ وَمِنْ جَمِيعِ خَلْقِكَ ، عَدَدَ مَا أَحَاطَ بِهِ عِلْمُكَ عَلَى جَمِيعِ مَا أَحَاطَ بِهِ عِلْمُكَ مِنْ نِعَمِكَ عَلَيَّ ، فَهُوَ حَمْدٌ جَامِعٌ لِأَنْوَاعِ المَحَامِدِ ، مُسْتَغْرِقٌ لِلشُّكْرِ عَلَى جَمِيعِ النِّعَمِ.

وَأُحَذِّرُكُمْ لِكُلِّ مَنْ خَوَّلَهُ اللهُ نِعْمَةً ، أَنْ يَمُدَّ يَدَهُ بِهَا فِيمَا لاَ يُرْضِي اللهَ مِثْلَ شِرَاءِ الخَمْرِ وَالوُقُوعِ فِي الزِّنَا ، وَمَدِّ اليَدِ بِهَا فِي المُعَامَلَةِ فِي الرِّبَا ، أَوْ صَرْفِهَا فِي وُجُوهِ طَلَبِ الرِّيَاسَةِ والسَّلْطَنَةِ ، أو فِي طَلَبِ إِذَايَةِ المُسْلِمِين ، مِنْ سَفْكِ دِمَائِهِم وَنَهْبِ أَمْوَالِهِمْ ، أَوْ هَتْكِ حَرِيمِهِمْ أَوْ بِإِذَايَةِ وَلَوْ بِأَقَلِّ قَلِيلٍ ، فَإِنَّ الفَاعِلَ لِهَذِهِ الأُمُورِ بِمَا أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِ مُسْتَحِقٌّ لِسَلْبِ النِّعْمَةِ مِنَ اللهِ ، مَعَ مَا يُعَرِّضُ لَهُ مِنْ مَقْتِ اللهِ وَغَضَبِهِ ، فَإِنْ فَعَلَ الأُمُورَ أَوْ بَعْضَهَا بِمَا أَنْعَمَ اللهُ بِهِ عَلَيْهِ وَلَمْ يَرَ مِنَ اللهِ سَلْبَ نِعَمِهِ فَلْيَعْلَمْ فِي نَفْسِهِ أَنَّهُ مِمَّنْ يَحُلُّ عَلَيْهِ غَضَبُ اللهِ وَسُخْطُهُ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَالسَّعِيدُ إِذَا وَقَعَ فِي شَيْءٍ مِنْ هَذِهِ الأُمُورِ، يَرَى عَنْ قَرِيبٍ تَعْجِيلَ العُقُوبَةِ ، وَيَرَى التَّنْبِيهَ فِي قَلْبِهِ مِنَ اللهِ أَنَّ هَذِهِ المُصِيبَةَ وَقَعَتْ عَلَى تِلْكَ الفَعْلَةِ .

وَأُوصِيكُمْ فِي مُعَامَلَةِ الأَسْوَاقِ عَلَى مُحَافَظَةِ قَوَاعِدِ الشَّرْعِ وأصُولِهِ ، عَلَى حَسَبِ مَا يُعْطِيهِ الوَقْتُ ، وَتَجَنَّبُوا جَمِيعَ وُجُوهِ الغِشِّ وَالتَّدْلِيسِ ، وَالكَذِبَ فِي تَقْوِيمِ الأَثْمَانِ وَاقْتِحَامَ مَا حَرَّمَ اللهُ مِنْ ذَلِكَ بِنُصُوصِ الشَّرْعِ ، فَإِنَّ المُنْهَمِكَ فِي ذَلِكَ يَهْلَكُ كُلَّ الهَلاَكِ ثُمَّ إِذَا أَلْجَأَتِ الضَّرُورَةُ وَاشْتَدَّتْ الحَاجَةُ ، وَلَمْ يَجِدْ العَبْدُ مَلْجَأً ، إِلاَّ أَنْ يَأْخُذَ قُوتَهُ مِمَّا حُرِّمَ شَرْعًا فِي الأَسْوَاقِ فَلْيَأْخُذْ قَدْرَ مَا يَتَقَوَّتُ ، وَلْيَكُنْ جَارِيًا فِي ذَلِكَ عَلَى حُكْمِ المُضْطَرِّ فِي أَكْلِ المَيْتَةِ ، فَإِنَّهُ إِنَّمَا يَأْكُلُهَا بَلاَغًا وَسَدّاً لِلْفَاقَةِ ، لاَ كَسْبًا وَتَمَوُّلاً .

وَأُحَذِّرُكُمْ أَنْ تَتَهَافَتُوا فِي المعَامَلاَتِ المحَرَّمَاتِ شَرْعًا ، تَهَافُتَ الجَهَلَةِ مِنَ العَامَّةِ مُحْتَجِّينَ بِعَدَمِ وُجُودِ الحَلاَلِ المعَيَّنِ ، يُرِيدُونَ أَنْ يُسْقِطُوا عَنْهُمُ الأَحْكَامَ الشَّرْعِيَّةَ فِي المعَامَلاَتِ ، فَقَدْ صَارُوا فِي ذَلِكَ كَأَنَّهُمْ لاَ تَكْلِيفَ عَلَيْهِمْ ، وَهُوَ كَذِبٌ عَلَى اللهِ وَزُورٌ . فَقَدْ قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى : ﴿ **يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُواْ مِمَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ حَلَٰلٗا طَيِّبٗا وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٌ** ﴾[1] .فَهَذِهِ الآيَةُ وَإِنْ نَزَلَتْ فِي مَطْلَبٍ خَاصٍّ ، فَهِيَ مُشْتَمِلَةٌ عَلَى كُلِّ مَا تَحْتَمِلُهُ مِنَ القَضَايَا ، إِمَّا تَضَمُّنًا وَإِمَّا تَلْوِيحًا ، وَالعَالِمُ يَأْخُذُ حُكْمَهُ مِنْ كُلِّ آيَةٍ فِي كُلِّ مَا تَحْتَمِلُهُ وَإِنْ لَمْ تَنْزِلْ لِأَجْلِهِ ، وَالوَاقِعُ مِنَ الآيَةِ فِي قَضِيَّتِنَا هَذِهِ ، أَنَّ الَّذِي فِي الأَرْضِ هُوَ مَا أَمْكَنَ وُجُودُهُ مِنْ حَلاَلٍ أَصْلِيٍّ أَوْ عَارِضٍ ، عَلَى حَسَبِ عَوَارِضِ الوَقْتِ وَهِيَ الأَمْثَلُ فَالأَمْثَلُ عَلَى حَسَبِ مَا فَصَّلْنَا فِي جَوَابِ المعَامَلَةِ .

وَخُطْوَاتُ الشَّيْطَانِ الَّتِي نَهَى اللهُ عَنْهَا ، هِيَ المعَامَلاَتُ المحَرَّمَاتُ شَرْعًا حَيْثُ يَجِدُ العَبْدُ عَنْهَا مَعْدِلاً ، فَإِنْ لَمْ يَجِدْ عَنْهَا مَعْدِلاً ، وَأَلْجَأَتْهُ عَوَارِضُ الأَقْدَارِ بِحُكْمِ القَهْرِ وَالتَّحَتُّمِ ، إِلاَّ أَنْ يَأْخُذَ قُوتَهُ مِنَ المحَرَّمِ شَرْعًا ، وَإِنْ لَمْ يَأْخُذْ مِنْهُ مَاتَ فِي الوَقْتِ أَوْ مَاتَ بَعْضُ عِيَالِهِ جُوعًا لِضَيْقِ الوَقْتِ وَفَقْدِ السَّبِيلِ لِغَيْرِهِ ، فَهُوَ الوَاقِعُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ **فَمَنِ ٱضۡطُرَّ غَيۡرَ بَاغٖ وَلَا عَادٖ فَلَآ إِثۡمَ عَلَيۡهِۚ** ﴾[2] .

وَلاَ تَلْتَفِتُوا إِلَى مَا نُقِلَ عَنْ السَّيِّدِ لَحْسَنِ بْنِ رَحَّالٍ فِي قَوْلِهِ : كُلُّ عُقْدَةٍ لاَ يُوجَدُ فِيهَا إِلاَّ مَنْ يُعَامِلُ بِالحَرَامِ فَهِيَ حَلاَلٌ ، فَهُوَ قَوْلٌ بَاطِلٌ لِكَوْنِهِ تَغَافُلٌ عَنْ ضَبْطِ القَاعِدَةِ الشَّرْعِيَّةِ فِيهِ وَالتَّحْقِيقُ فِيهَا هُوَ مَا ذَكَرْنَاهُ قَبْلَهَا آنِفًا . يَشْهَدُ لَهُ قَوْلُهُ ﷺ : (دَعْ مَا يُرِيبُكَ إِلَى مَا لاَ يُرِيبُكَ) وَقَوْلُهُ ﷺ: (إِذَا أَمَرْتُكُمْ بِشَيْءٍ فَافْعَلُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَإِذَا نَهَيْتُكُمْ عَنْ شَيْءٍ فَانْتَهُوا) . وَقَوْلُهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى :﴿ **فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُمۡ وَٱسۡمَعُواْ وَأَطِيعُواْ** ﴾[3] . وَقَوْلُ الشَّاعِرِ :

إِذَا لَمْ تَسْتَطِعْ شَيْئًا فَدَعْهُ وَجَاوِزْهُ إِلَى مَا تَسْتَطِيعُ

وَفِي هَذَا مَعَ مَا فِي الرَّسَائِلِ الأُوَلِ كِفَايَةٌ وَالسَّلاَمُ "[4] .

---

[1] سورة البقرة ، الآية 168 .

[2] سورة البقرة ، الآية 173 .

[3] سورة التغابن ، الآية 16 .

[4] الحاج علي حرازم ، جواهر المعاني ، ج 2 ، من ص 766 ، إلى ص 772 .

يعد خطاب الشّيخ أحمد التّيجاني في هذه الرّسالة خطابا حجاجيّا لأنه يسعى لإقناع الآخر والتّأثير على آرائه وتغيير سلوكه ، وهذا ما يفترض قولا مدعّما بمختلف الوسائل من أجل قبوله كنتيجة ، ولكي يكون صالحا للتجسيد في الواقع .

إن خطاب الشّيخ على هذا النحو ليس واعيا بأهدافه فحسب ، بل واع بذاته أيضا باعتباره سبيلا يؤدّي إلى تلك الأهداف ، فاستراتيجيّته "تخطّط لتحقيق هذه الأهداف مراقبة في الوقت ذاته إجراءات التّنفيذ التي تعتمدها "[1] .

وفي هذا الجزء من البحث سنحاول رصد كل الحجج ومختلف الطّرائق والأساليب التي من شأنها أن تدعم الطّاقة الحجاجيّة في القول وتعضده في سعيه الحثيث نحو غاية ينشدها ، "لذا تتعدّد نقاط الاهتمام في هذا المستوى من البحث وتتكامل فيما بينها لتؤسّس مجتمعة ما به يرسم المتكلم استراتيجيّة الإقناع في خطابه ويوجّه متلقّيه نحو غاية يجنّد لها كل جزئيّات القول ودقائقه "[2] .

فندرس فنون الإقناع التي عمد إليها الشّيخ أحمد التّيجاني لحمل متلقّيه على الإذعان مركّزين على الوسائل النّفسيّة ثمّ الوسائل اللغويّة والبلاغيّة ، ثمّ الوسائل المنطقيّة التي وظّفها الشّيخ للنّفاذ إلى فكر المتلقّي وعقله وقلبه .

I. الوسائـل النّفسيّـة والاجتماعية :

إن معرفة العلاقة الموجودة بين المتكلم والمستمع تحدّد طبيعة الخطاب، ذلك أن معرفة هذا المتكلم المحاجج وما يتّصف به من صفات تساعد كثيرا على إبراز الطبيعة الحجاجيّة للخطاب . ولا يقصد — في هذا الشأن– الشّروط التي يجب أن تتوفّر في المحاجج كي يؤثر في الآخرين وإنّما هي صفات معروفة عن شخصيّة المتكلم .

وبالمقابل فإن للمستمع دورا بارزا في تحديد ملامح الحجاج إذ يعدّ سببا في إنشائه إلى جانب الموضوع الخلاف بينه وبين المتكلم . وقد أكد (بيرلمان) أن الحجاج متغيّر بتغيّر الشّخص الذي يوجّه إليه هذا الحجاج . ولهذا فإنّ معرفة

[1] سامية الدريدي ، الحجاج في الشعر ، ص 87 .

[2] المرجع نفسه ، ص 88 .

هذا المستمع الذي يوجّه إليه الخطاب تمكّن من تحديد ملامح الحجاج ، من خلال مجموعة من الصّفات التي تميّزه عن غيره من المستمعين.

إنّ كلمة الحجاج " بحكم صيغتها الصّرفيّة الدّالة على معنى المشاركة في تقديم الحجج وعلى مقابلة الحجّة بالحجّة " [1] ، تقتضي بالضّرورة وجود طرفين يتشاركان في الحوار بحيث يحاول أحدهما إقناع الآخر واستمالته للقبول برأيه من خلال خطابه .

ويذهب (برلمان) إلى أنّ الخطاب الحجاجي " وهو يلزم الباثّ بوجهة نظر معيّنة ويتّخذ من إقناع المتلقي بها هدفا أساسيّا إنّما يبتعد عن كونه تواصلا عاديا من جهة أنّه لا يقوم على مجرّد التّبليغ الذي يقتضي من المتلقي مجرّد فكّ الرّموز بواسطة اللغة ليكون الفهم، بل يقوم على الفعل في هذا المتلقي " [2] ، وذلك بتغيير واقعه أو فكره أو سلوكه. ولهذا قد يتجاوز الخطاب الحجاجي المتلقّي الخاص الذي يوجّه له الباثّ خطابه إلى "مَنْ هم أبْعَدَ منه أي متلقين محتمَلين آخذا بعين الاعتبار آفاق انتظارهم ومختلف اعتراضاتهم الممكنة لكن بشكل ضمني خفي " [3]. أي أنّه تجاوز المتلقّي الخاص إلى متلقٍّ كوني .

وإذا كانت رسالة الشّيخ أحمد التّيجاني التي هي موضوع الدّراسة موجّهة إلى متلقّ معيّن ومعروف، فهل كان يتجاوزه في خطابه إلى متلقّ كوني؟

هذا ما سنعرفه من خلال تحليل الرّسالة .

إذن فالمرسِل والمرسَل إليه والرّسالة هم عماد النّظرية الحجاجيّة ، والتي لا يمكن تحقّقها في غياب أحد هذه الأطراف ، كما أنّه لا حوار ولا إقناع ولا تأثير دون حضور مرسِل ومرسَل إليه ، وهذا ما يدفعنا إلى التطرّق ولو بشيء من الإيجاز لطرفي الخطاب قبل الشّروع في دراسة الحجاج في رسالة الشّيخ أحمد التّيجاني .

1 . المرسِــل :

[1] عبد الله صولة ، الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية ، دار الفارابي ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 2001 ، ص 13 .

[2] سامية الدريدي ، الحجاج في الشعر ، ص 32 .

[3] المرجع نفسه، ص 34 .

المرسِل في هذه الرّسالة هو الشّيخ أحمد التّيجاني باعتباره شيخ طريقة صوفيّة وهي الطّريقة التّيجانيّة التي " تمثّل منهج سلوكي من المناهج الإسلامية التي ظهرت إبّان القرن الثامن عشر الميلادي ، ويقوم هذا المنهج على الكتاب والسّنّة ويهدف أساسا إلى تزكية النّفس وتهذيبها ، والعمل الصّالح وتقوية الإيمان بالتّقرّب إلى المولى –عز وجل– "[1] .

ويمكن حصر مصادر ثقافته في ثلاثة روافد رئيسة :

أ . رافد إسلامي ديني :

نقصد به الانتماء الدّيني للشّيخ أحمد التّيجاني ، والذي كان له الأثر البالغ في خطاباته عامّة ورسائله خاصّة ، ويتمثل في :

. الشّيخ من علماء الإسلام وما يدلّ على ذلك مسيرته العلميّة التي ذكرناها آنفا ، وهذا ما يجعله وريثا لرسول الله ﷺ الذي لم يورِّث درهما ولا دينارا بل ورَّث علما وخلقا وأدبا ، لقوله ﷺ : " إنّ العلماء ورثة الأنبياء"[2] .

. الشيخ من آل البيت أي من ذرّيّة الرّسول ﷺ، وما يشهد لذلك نسبه الذي ذكرناه في التّعريف به ، وهذا ما يجعله من أئمّة الدّين لأنّ ذريّته ﷺ هم أئمّة الهدى في كل زمان ومكان البعيدين عن كل زيغ وضلال ، لقوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾[3] .

. الشّيخ ذو ثقافة دينيّة واسعة لحفظه القرآن الكريم والفقه والأصول ، وتتلمذه على يد شيوخ مشهورين بالعلم والصّلاح في عصره .

. الشّيخ حمل على عاتقه لواء التّبليغ لقوله ﷺ : " بلغوا عني ولو آية..."[4] . وطبيعة العالم تبليغ حتى ينتفع به الناس .

ب . رافد صوفي :

---

[1] بالهادف بن سالم ، ترجمة الإمام الشيخ سيدي الحاج علي التماسيني، محاضرة ألقاها في الندوة الجهوية للزوايا والطرق الصوفية، ورقلة، 2004 ، ص 04 .

[2] الإمام يحي بن شرف النووي ، رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين ، ص 309 .

[3] سورة الأحزاب ، الآية 33 .

[4] الإمام النووي ، رياض الصالحين ، ص 309 .

وهو جزء من الرّافد الدّيني لأنّ التّصوف هو البعد الرّوحي للإسلام ، ولكن جعلناه رافدا لوحده لأنّ علماء الدّين نوعان : علماء الشّريعة وهم الفقهاء ، وعلماء الحقيقة وهم الصّوفية . ويظهر هذا الرّافد من خلال :

. بلوغ الشّيخ مرتبة جعلته يؤسّس طريقة خاصّة به (الطّريقة التّيجانية) بعد أن كان مريدا لمشايخ آخرين .

.كونه شيخا خبيرا بالسّلوك وبطريق معرفة الله ، وبإيصال المريد إليها .

ج . رافد فكري ثقافي :

. الشيخ ذو ثقافة لغويّة كبيرة ، فهو متبحّر في اللغة ؛ نحوها وصرفها .

. الشيخ ذو ثقافة تاريخيّة واجتماعيّة واسعة لكثرة أسفاره وتنقّله في البلدان وذو اطلاع واسع على أحوال هذه البلدان وأحوال أهلها.

. الشّيخ عاش في فترة الحكم العثماني وسياسته الظّالمة التي تعرَّض لها وكانت سببا في رحيله من بلده عين ماضي بولاية الأغواط بالجزائر إلى فاس بالمغرب .

وخلاصة القول: إنّ المرسِل هنا وهو الشّيخ أحمد التّيجاني تنوّعت ثقافاته ما بين دينيّة وصوفيّة ولغويّة وتاريخيّة واجتماعيّة وسياسيّة ، وذلك ما انعكس على فكره وخطابه الذي يظهر جليّا في رسائله التي هي محل الدّراسة .

2 . المرسـل إليه :

يُشَكِّل هذا العنصر طرفا أساسيّا في العمليّة الإبلاغيّة ؛ لأنّ الرّسالة موجّهة إليه. وحضور المرسِل إليه لا يقل أهميّة عن حضور المرسِل لأن كليهما يساهم في عمليّة التّواصل والإبلاغ يقول فان دايك : " أن المتحدّث والمتلقي يقومان بوظائف مختلفة ينبغي عليهما إكمالها لكي يكون فعل الكلام المعني ممكنا ... "[1] .

[1] فان دايك ، النص والسياق ، ص 111 .

والمرسَل إليه في الرّسائل التي بين أيدينا هو المسلم عامّة لأنّ الشّيخ أحمد التّيجاني لم يذكر في أي رسالة من رسائله كلمة المريد أو التّيجاني أو أي دليل يدل على أنها مبعوثة للتّيجانيّين فقط ، بل ذكر أسماء عامة (تلاميذ ، فقهاء ، سلطان ، تجار ...) كذلك لأنّ مضامين الرّسائل تدل على ذلك فهي ترسم معالم حياة المسلم الدّينيّة والدّنيويّة من خلال مجموعة من النّصائح والإرشادات الواردة على شكل أوامر ونواهٍ . والتي يجب على المسلمين أن يتداولوها ويعملوا بها في حياتهم اليومية حتى يسعدوا دنيا وأخرى .

II. وسائل الإثارة والتأثيـر :

تتجلى أهميّة الحجاج في الدّراسات الحديثة في العودة القويّة إلى البلاغة تحت تسمية البلاغة الجديدة ؛ حيث ركّزت على جانبين هما البيان والحجاج كوسيلة أساسية من وسائل الإقناع .

سوف ندرس في هذا الجزء وسائل الإثارة التي عمد إليها الشيخ أحمد التّيجاني لحمل متلقّيه على الإذعان مركّزين على كل ما من شأنه أن يحرّك النّفس فتنقاد له رغبة أو رهبة ، فننظر في الوسائل اللغويّة والبلاغيّة التي وظّفها الشّيخ لإقناع المتلقّي والتّأثير فيه .

1 . الوسائـل اللغويّـة :

إنّ اللغة ليست أداة للتّعبير عن المشاعر والأحاسيس ، وعن الحاجات الخارجيّة فحسب إنّما هي أيضا "حقيقة حواريّة يتواجه فيها عالمان لغويّان مختلفان يصيران تدريجيّا إلى التّداخل فيما بينهما ، فتنشقّ من هذه لغة متجدّدة تحمل معاني غير مسبوقة وبهذا يكون الفهم في نهاية المطاف عبارة عن تفاهم "[1].

فاللغة تفاعل بين متكلم ومستمع ليتشاركا ويندمجا ويصبحا شيئا واحدا . هذا من جهة ومن جهة أخرى فهي فعّالة ، لها وظيفة تتجاوز " كونها وسيلة تواصل إلى وسيلة تأثير في العالم والسّلوك ، ويصير الكلام ذا قوّة بلاغيّة كامنة فيه تظهر من خلال الآثار والنّتائج المترتّبة "[2] . فمن خلال اللغة نؤثّر في الآخر وبالتالي نغيّر العالم .

---

[1] طه عبد الرحمن ، فقه الفلسفة ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، المغرب ، ط1 ، 1995 ، ج1 ، ص 110 .

[2] خليفة بوجادي ، في اللسانيات التداولية ، ص 94 .

ومن هنا يجب أن لا ننظر للغة من جانبها الجمالي فحسب ، بل نركّز على جانبها التّأثيري لِمَا له من أهمّيّة في حياة الفرد والمجتمع . وهذا الفعل التّأثيري للغة يتجلى من خلال مختلف الصّيغ اللغويّة ، أبرزها أفعال الكلام التي تمارس وظيفة الإقناع من خلال قوّتها الإنجازيّة .

أ . أفعـال الكلام :

إنّ رسالة الشّيخ أحمد التّيجاني مبعوثة إلى تلاميذه عامّة ، وموجّهة إلى عقول تشترك في التزامها بالمنطق العقلي وتسليمها بالبديهيّات ، ولكنّها تتباين في أنماط تفكيرها ودرجة استيعابها للحجج ، لأن المتكلم لا يخاطب العقول فحسب ، بل ينفذ إلى قلوبهم وأرواحهم .

من هنا يتبدّى لنا مدى تعقيد مهمّة الشّيخ أحمد التّيجاني في إحداث الإقناع وتحقيق التّغيير واستحضار الهمّة والإرادة التي تخدم هدف الرّسالة الذي هو هدف إصلاحي في كل الأحوال لذلك كان عليه بسط الحجج وتنويعها ؛ لأن الحجّة التي تُقنع هذا قد لا تُقنع ذاك .

وفي هذا الجزء من البحث سوف نعرض لبعض النّماذج الحجاجيّة التي تندرج ضمن نظريّة أفعال الكلام من خلال اعتماد نموذج (سورل) باعتباره أكثر وضوحا ودقّة من نموذج (أوستين) .

حاولنا اعتماد هذا التّقسيم للأفعال اللغويّة لتحليل الرّسالة للكشف عن الدور الذي تؤدّيه الأفعال الكلاميّة في إحداث الإقناع والتّأثير .

قسّم (سورل) الأفعال الكلاميّة إلى : توجيهيّات، إلزاميّات ، إخباريّات ، تصريحيّات وإدلائيّات . وانطلاقا من هذا التّقسيم قمنا بعمليّة إحصاء لعدد الأفعال التي تنتمي إلى كل قسم من الأقسام السّابقة للأفعال من خلال الجدول التالي :

الأقسام	عدد حضور الأفعال
التوجيهيات	114
الإلزاميات	43

الإخباريات	41
التصريحيات	18
الإدلائيات	14

بناء على عمليّة الإحصاء التي قمنا بها نلاحظ :

. التّوجيهيّـات :

تحتل المرتبة الأولى وتسجّل أكبر نسبة حضور في رسالة الشّيخ أحمد التّيجاني لاحتوائها على معنى الفعل ، وهي تمثّل جميع الأساليب والجمل الإنشائيّة التي تفيد الطّلب ، وأبرزها أسلوبا الأمر والنّهي اللذان وظّفهما الشيخ بكثرة من أجل تبليغ "قصده وتحقيق هدفه الخطابي " [1] والمتمثّل في "إعداد الفرد إعدادا كاملا ، وإصلاح المجتمع إصلاحا بنيويّا "[2] . لأنّ الصّوفي يعدّ نفسه صاحب رسالة ، فهو خليفة لرسول الله ﷺ ولذا فهو مطالب بمواصلة تبليغ الرّسالة المحمّديّة وبإحياء الدّين في النّفوس الغافلة عن الله اللاهية بأمور الدّنيا وشهوات الجسم .

لهذا فإنّ الشّيخ أحمد التّيجاني من خلال رسالته عُني بالمتلقّي أيّما عناية ، لأنّ "مهمّته تتعدّى التّأثير الجمالي البحت إلى محاولة التّأثير في البنية العقليّة والفكريّة "[3] . وبالتالي تغيير السّلوك والممارسة العمليّة اليوميّة .

إنّ أغلب الأفعال التّوجيهيّة في الرّسالة الأمر والنّهي، وهما فعلان إنجازيّان يهدفان إلى توجيه المتلقّي إلى سلوك معيّن وغايتهما واحدة ؛ "فالأمر يتوسّل به إلى إتيان الفعل لأهمّيّته والنّهي يتوسّل به إلى عدم إتيان الفعل لقبحه

[1] بوفرومة حكيمة ، دراسة الأفعال الكلامية في القرآن الكريم ، مقاربة تداولية ، مجلة الخطاب ، منشورات مخبر تحليل الخطاب ، جامعة مولود معمري ، تيزي وزو ، الجزائر ، ع 3 ، 2008 ، ص 11 .

[2] محمد بازي ، تقابلات النص وبلاغة الخطاب ، ص 59 .

[3] نصيرة صوالح ، الصوفية من خطاب الفتنة إلى فتنة الخطاب ، مجلة حوليات التراث ، جامعة مستغانم ، الجزائر، ع 2، 2004 ، ص 74 .

ومنافاته للحق والصّواب "[1] . وقد استعملهما الشيخ لرغبته في : " أن يكلف المتلقي بعمل ما ، أو يوجّهه لمصلحته من جهة ، وإبعاده عن الضّرر من جهة أخرى أو توجيهه لفعل مستقبلي معيّن "[2].

ومثال **الأمر** في قوله:

فالذي أوصيكم به وإيّاي: المحافظة المحافظة على قوله ﷺ : ثلاث منجيات وثلاث مهلكات فأمّا المنجيات فهي تقوى الله في السّرّ والعلانية ، وكلمة الحق في الرّضا والغضب ، والقصد في الغنى والفقر . وأمّا المهلكات فشح مطاع وهوى متّبع ، وإعجاب المرء برأيه .

فالشّيخ أحمد التّيجاني هنا يأمرنا بالمحافظة على حديث رسولنا الكريم وسنّته المباركة لأنّها نبراس الحياة ، وذلك بتعلمها وتطبيقها في حياتنا اليوميّة وتَمَثُّلِها في كل معاملاتنا وأقوالنا وأفعالنا . ومن ذلك يأمرنا بتقوى الله في السّر أي في أنفسنا وفي خلواتنا لأنّ الله ناظر إلينا ، شاهد علينا عالم بنا . وكذلك تقواه في العلن أمام أعين النّاس ، فلا تكون التّقوى رهينة أعين الناس ندّعيها أمامهم فقط بل تكون لأجل الله وحده خالصة لوجهه الكريم .

كما يأمرنا بالمحافظة على قول الحق سواء أكنّا في حالة رضا أم غضب لأنّ المؤمن هو الذي يمسك نفسه عند الغضب ، ويلزمها كلمة الحق مهما كان ، ولا يجعله أسيرا لهواه . ويأمرنا أيضا بالقصد والتّوسّط في الغنى والفقر، فلا تبذير ولا بخل ، ولا تفريط ولا إفراط ، إنّما هي الوسطيّة التي تجعل المؤمن يعيش السّعادة الأبديّة .

كذلك من صور الأمر في الرّسالة ، قوله : **وعليكم بشكر النّعم الواردة من الله بسبب أو بلا سبب .**

وقوله : **فأعلى ذلك شكر اللسان، تلاوة الفاتحة في مقابلة ما أنعم الله عليه شكرا . ولْيَنْوِ عند تلاوتها أنّه يستغرق شكر جميع ما أحاط به علم الله من نعمه عليه .**

فهو يأمر المتلقّي بشكر نعم الله عليه الظّاهرة والباطنة ، التي لا تعدّ ولا تحصى لقوله تعالى: ﴿ **وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ** ﴾[1] . فالشّيخ أحمد التّيجاني يقول بأن كل "وعد في كلام الله تجده مقرونا بالمشيئة إلا الشكر"[2] . لقوله

[1] محمد مشعاله ، الاغتراب عند الإمام علي من خلال نهج البلاغة ، رسالة دكتوراه ، إشراف: عبد القادر دامخي ، جامعة الحاج لخضر ، باتنة الجزائر ، 2009 / 2010 ، ص 216 .

[2] بوقرومة حكيمة ، دراسة الأفعال الكلامية في القرآن الكريم ، ص 11، 12 .

تعالى:﴿ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ﴾[3] . ففي هذه الآية لم يقرن الله سبحانه وتعالى الشكر بالمشيئة الإلهيّة ، بل وعد كل شاكر بالمزيد من النّعم وأكده بلام القسم ونون التّوكيد .

كما يؤكد الشّيخ على ضرورة التزام العبد الشكر ، فيقول : " أقرب الأبواب إلى الله باب الشّكر ومن لم يدخل في هذا الزّمان على باب الشّكر لم يدخل "[4] . وذلك لاعتناء الحق –عز وجل– بشأنه ؛ حيث لم يربطه بالمشيئة بل من شدّة اعتنائه به أنْ قدّمه على الإيمان في قوله تعالى : ﴿ مَّا يَفْعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَءَامَنتُمْ ﴾[5] . فالله –عز وجل– لا يعذّب المؤمن الشّكور ، وما أحوجنا في هذا الزّمن إلى تعلّم الشّكر لله تعالى **!**

كما قلنا سابقا أنّ الأمر قرين النّهي في هذه الرّسالة ، لأنّ "الأمر خليق وسفير الخير والنّهي وسيلة للرّدع عن الشّر وإبعاده أو التّنفير منه والتّحذير منه "[6] .

ومن أمثلة **النّهي** قوله :

والحذر الحذر لمن تحرّك عليه شرّ النّاس منكم أن يبادر إليه بالتّحرّك لمقتضى حرارة طبعه وظلمة جهله وعزّة نفسه .

يحذّر الشّيخ أحمد التّيجاني المتلقّي من مقابلة شرّ النّاس بالشّرّ لأنّ ذلك يؤدّي إلى كثرة الشّرور في الدّنيا وإتاحة الفرصة للشّيطان في التّفريق بين المسلمين ونشر العداوة والبغضاء بينهم ، وهذا لا ينفع المؤمن لا في دنياه ولا في آخرته . وفي مقابل هذا التّحذير وجّه سلوكنا الوجهة الصّحيحة المتمثّلة في مقابلة الشّر بالإحسان أو بالعفو أو بالإعراض ، والتّوجّه إلى الله بالتضرّع لرفع الأذى لأنه الوحيد القادر على ذلك .

---

[1] سورة النحل ، الآية 18 .

[2] عبيدة بن سيدي محمد الصغير ، ميزاب الرحمة الربانية ، ص 65 ، 66 .

[3] سورة إبراهيم ، الآية 7 .

[4] عبيدة بن سيدي محمد الصغير ، ميزاب الرحمة الربانية ، ص 65 .

[5] سورة النساء ، الآية 147 .

[6] محمد مشعاله ، الاغتراب عند الإمام علي ، ص 216 .

كذلك النّهي في قوله : **وأحذّركم أن تتهافتوا في المعاملات المحرّمات شرعا تهافت الجهلة من العامّة .**

فهو يحذّر وينهي المخاطَب عن الوقوع في المحرّمات الماليّة وخاصّة في الأسواق كالغشّ والتّدليس والكذب في تقويم الأثمان وما إلى ذلك من الأمور التي يحاول بها العبد إشباع رغباته وأهوائه في الغنى مهما كانت السّبل ، حتى ولو كانت في إسقاط الأحكام الشّرعيّة في المعاملات .

وهذا يؤدّي إلى أضرار تتمثل في تخبّط اقتصادي بالنسبة للدّولة ، وأكل مال حرام بالنسبة للفرد يضرّ به وبأهله دنيا وأخرى لقوله ﷺ: "ما نبت من حرام فالنار أولى به". كذلك إحلال غضب الرّب وسخطه عن العباد وما يتبع ذلك من عقاب دنيوي عاجل أو عقاب أخروي آجل .

وخلاصة القول: إنّ طغيان الفعل الكلامي التّوجيهي في رسالة الشّيخ أحمد التّيجاني كان ذا طاقة حجاجيّة فاعلة ساندت الشّيخ في إقناع المتلقي بـ " التّخلي عن صور الانحراف والتّحلي بأساليب الفطرة من عقل وحق " [1] . لأنّ أسلوبي الأمر والنّهي "نابضان بالإثارة قادران على تحريك الوجدان وإحداث ما ينشد المتكلم تحقيقه في المتلقي "[2] من تغيير سلوكه إلى الأفضل .

وقد استعمل الشّيخ هذه الآليّات . الأمر والنّهي . التّوجيهية " للسّيطرة على مجريات الأحداث ، والسّيطرة على ذهن المرسَل إليه وتسيير الخطاب تجاه ما يريده " [3] هو . وكذلك "المحاجّة بما لا يناقض الحواسّ والعقل الفطري الذي يميّز بين المفاهيم والأشياء "[4] . لأنّ هدفه هو تنشئة الأفراد تنشئة روحيّة ، وبناء الشخصيّة الإسلاميّة الحقيقيّة ، وتكريس الانتماء الدّيني فالإنسان " كيان ووجود قابل لأن يُصطنع ويُبنى لبنة لبنة ، وجزءا جزءا . وكما ينمو جسده ذاتيّا ، فإنّ روحه قابلة للسّمو إن هو تعهّدها بالرّعاية والسّقاية شأنها شأن الجسد سواء بسواء "[5] .

---

[1] آمنة بلعلى ، الإقناع : المنهج الأمثل للتواصل والحوار ، ص 208 .

[2] سامية الدريدي ، الحجاج في الشعر ، ص 153 .

[3] عبد الهادي بن ظافر الشهري ، استراتيجيات الخطاب ، ص 352 .

[4] آمنة بلعلى ، الإقناع : المنهج الأمثل للتواصل ، ص 208 .

[5] محمد سعيدي ، بناء الإنسان في الفكر الصوفي الإسلامي ، مجلة حوليات التراث ، ع 1 ، 2004 ، ص 116

والرّعاية والسّقاية هي نفسها التّوجيه ، أي لابدّ من الأمر لأداء الواجبات والنّهي عن كل المحرّمات ، وبذلك يحقّق الإنسان وظائفه العظمى التي خُلق لأجلها : الخلافة العمارة ، العبادة .

. الإلزاميـات : (**أفعال التّعهّد**)

احتلت هذه الأفعال الإنجازيّة المرتبة الثّانية في الرّسالة بعد الأفعال التّوجيهيّة لأنّ توجيه السّلوك وجهة معيّنة يتطلب التزاما ووعدا من المتكلم حتى يكون الإقناع أسهل والتّأثير أكبر والاستجابة أسرع .

وهي تعني إلزام المتكلم نفسه بإنجاز فعل مستقبلي ، أي يلتزم "بفعل شيء تجاه المخاطَب طوعا. وتمثّله أفعال الوعد والوعيد والضّمان والإنذار " [1] ، وهي أفعال تختلف عن سابقتها الطّلبيّة لكونها تتّجه نحو المتكلم ، في حين أن الأفعال التّوجيهيّة متوجّهة نحو المخاطَب .

وفي الرّسالة التي بين أيدينا للدّراسة وردت الأفعال الإلزاميّة غير مباشرة ، فالشّيخ أحمد التّيجاني لم يلزم نفسه بإنجاز أفعال الوعد والوعيد بل يَعِد المتلقي بأنّ الله سبحانه وتعالى هو المنجز وعده .

وقد جاءت هذه الأفعال على شكل مدح للفاعل في الأوامر أو عقاب له في النّواهي أو إظهار العاقبة في الأخير بعد ذكر الأمر أو النّهي "وهذه الأمور دالة على طلب الفعل في الأمور المحمودة ، وطلب التّرك في الأمور المذمومة " [2] .
فهي إذن ذات طاقة حجاجيّة تعضد الأفعال الكلاميّة التّوجيهيّة وتساند المتكلم لتحقيق هدفه، يقول (أوستين): "يجوز إيقاع التّهديد أو التّخويف ... في الحالات التي يمكن فيها أن نحثّ الآخر أو نقنعه أو نجعله يطيع أو يعتقد في أمر ما "[3] .

ومن أمثلة ذلك في رسالة الشّيخ أحمد التّيجاني :

الوعد في قوله : **إنّه لو فزع إلى الله بالتّضرّع والشّكاية واعترف بعجزه وضعفه لرفع الله عنه ضرر الخلق ، أو يشغلهم بشاغل يعجزون عنه وإمّا أن ينزل عليه اللطف العظيم أو الصّبر الجميل .**

---

[1] بوقرومة حكيمة ، دراسة الأفعال الكلامية في القرآن الكريم ، ص 16 .

[2] المرجع نفسه ، ص 16 .

[3] أوستين ، نظرية أفعال الكلام ، تر : عبد القادر قنيني ، إفريقيا للشرق ، المغرب ، د.ط ، 1990 ، ص 137 .

وهنا يتمثّل الوعد الذي يغري المتلقي بالفعل ، بل يدفعه إليه دفعا طمعا في نيل هذا الوعد الصّادق . فمن اجتنب الشّر ولم يقابله بالمثل ولجأ إلى الله – سبحانه وتعالى– بالشكوى والتّضرّع ، رفع الله عنه أذى الخلق وكفاه شرّهم يقول تعالى :﴿ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ ﴾[1] . وذلك بشغلهم بمصائب تنزل عليهم ، أو يلطف به فيكون الأذى والشرّ أقل وقعا عليه ، أو يلهمه الصّبر فيصبر على أذى غيره دون عذاب أو ألم ، وهذا هو الوعد .

كأنّ الله هو القائل : أحسن لمن ظلمك أو اعف عنه أو أعرض عنه ، أرفع عنك أذاه وأكفيك شرّه وأنزل بك لطفا عظيما وصبرا جميلا . وما أحوجنا اليوم إلى إنجاز هذه الأفعال حتى نحظى بدفاع الله عنّا ولا نتولى ذلك بأنفسنا ! يقول تعالى :﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟﴾[2] .

كذلك الوعد في قوله : **ويتلو بهذه النّيّة ما قدر عليه من الفاتحة من مرّة إلى مائة فمن فعل ذلك كتبه الله شاكرا وكان ثوابه المزيد من نعمه على قدر رتبته بحسب وعده الصّادق .**

فالشّيخ هنا يمدح الفاعل لفعل الشّكر ويعده بالثّواب الجزيل ، فمن يشكر الله باللسان ويكثر من تلاوة الفاتحة بنيّة الحمد والشّكر ، كتبه الله من الشاكرين .

وهذا المدح والوصف يثير النّفوس والقلوب لإنجاز فعل الشّكر لأنّ ذلك ينزل العبد منزلة عظيمة عند الله –عز وجل– قليل من يدركها ، لقوله تعالى :﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِىَ ٱلشَّكُورُ ﴾[3] .

وليس هذا فحسب بل هذا الفعل . الشكر . يكون سببا في زيادة النّعم لقوله تعالى : ﴿ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ﴾[4] . فما أعظم هذا الوعد الصّادق ! وعد بزيادة النّعم من عند قادر قدير جواد كريم ، مالك الملك

---

[1] سورة الزمر ، الآية 36

[2] سورة الحج ، الآية 38

[3] سورة سبأ ، الآية 13 .

[4] سورة إبراهيم ، الآية 7 .

ومَنْ بيده خزائن السموات والأرض ، فتخيُّل هذا الثّواب ومقداره دافع قوي بل محرّض شديد لإنجاز هذا الفعل والتزام هذا السّلوك .

أمّا من أمثلة **الوعيد** نذكر قوله : **فمن تمنّى بقلبه أو أراد تحريك الشّرّ منه على النّاس سلّطهم الله عليه من وجه لا يقدر على دفعهم** .

وهذا تهديد صريح وتخويف لمن قابل الشّرّ بالشّرّ ، ونهض ينتصر لنفسه بحوله وقوّته بأنّ الله – سبحانه وتعالى – يسلّط عليه شرورا أكثر وأذى أكبر من النّاس لا يستطيع دفعه ، بل لا يقدر على العيش هنيئا بسببه . وهذا ما يجعل العاقل الكيّس يتجنّب هذا الفعل خوفا من هذا الوعيد الذي لا حول ولا قوّة له على دفعه .

كذلك ذكر العقوبة في قوله : **فإنّ المبادر للشّرّ بهذا وإن كان مظلوما فاضت عليه بحور الشّرّ من الخلق ، يستحقّ الهلاك به في الدّنيا والآخرة ، وتلك عقوبته لإعراضه عن جناب الله** .

يوضّح الشّيخ أحمد التّيجاني عقوبة المبادر للشّرّ حتى وإنْ كان مظلوما ، لأنّ المظلوم له ربّ ينصره ، وإذا دعاه استجاب لدعوته لقول رسول الله ﷺ : "واتَّقِ دعوة المظلوم فإنّه ليس بينها وبين الله حجاب "[1]. وأمّا إذا أعرض عن مولاه وانتصر لنفسه بنفسه عوقب بالغرق في بحور الشّرّ والفتنة ، وهلك في الدّنيا والآخرة .

وهذه العقوبة تنفّر المتلقّي من هذا الفعل خوفا من وقوعها ، وتجعله يغيّر سلوكه بالالتجاء إلى الله في كل صغيرة وكبيرة ، وهذا هو مراد الشّيخ من خطابه الذي يركّز فيه على البعد الروحاني والتّربوي والأخلاقي للإنسان .

وخلاصة القول: إنّ الوعد والوعيد "يهدف إلى الإصلاح وإيقاظ العقول ، وله مقاصد تتمثل في التّأثير على أفكار المتلقّي وأفعاله وجعله يخضع لأوامر الله ونواهيه " [2] . وقد استعمله الشّيخ أحمد التّيجاني في رسالته عن قصد ووعي كبير؛ لأن الوعد يدفع بالمتلقي للقيام بالفعل طمعا في الفوز به ، والوعيد كذلك يدفع بالمتلقي لاجتناب الفعل خوفا منه .

[1] الإمام النّووي ، رياض الصالحين ، ص 74 .

[2] حكيمة بوقرومة ، دراسة الأفعال الكلامية في القرآن الكريم ، ص 17 .

وقيام المخاطَب بالفعل المحمود واجتناب الفعل السّيء المذموم يعني تغيير سلوكه للأفضل والأحسن ، وهذا هو مراد الشّيخ وهدفه الذي يسعى إليه دائما .

. الإخباريّـات :

احتلت المرتبة الثالثة في رسالة الشّيخ أحمد التجاني بعد التّوجيهيّات والإلزاميّات، وهذا أمر طبيعي لأن توجيه المتلقي وجهة معيّنة والالتزام نحوه بوعود متنوّعة يستلزم أوّلا وقبل كل شيء إخباره بالأمر الذي يجهله وإشراكه في صميم القضيّة المعبّر عنها. لهذا فالإخباريّات تنسجم مع "منطق التّلقّي حيث تقتضي إقامة الحجّة على المنكر أن يعرف أوّلا ، وهنا يتحقّق قانون الإفادة، الوسيلة المنطقيّة " [1] التي تسبق أو تعقب الأوامر والنّواهي أو التّوبيخ والتّقريع .

إذن لابدّ من معطيات إخباريّة يتوسّل بها المتلقي لضمان إنجاز الفعل ، أي أن القيام بالفعل يكون مرتبطا " بمدى قوّة القاعدة الاستدلاليّة من ضامن (ثواب الله أو عقابه) وسند (الآية) ليقيم بها الحجّة البالغة في الإقناع والتّأثير معا وحمل الآخر على القيام بالفعل "[2] .

ففي قول الشّيخ أحمد التّيجاني في الرّسالة : **وأما ثواب الآخرة فبالفوز بما لا غاية له من ثواب الصّابرين الذي وعده الله تعالى .**

قال سبحانه وتعالى : ﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ ٱلْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ بِمَا صَبَرُوا۟ ۖ ﴾[3]. وقوله أيضا : ﴿ وَٱصْبِرُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾[4] وقال تعالى حاكيا عن نبيه يوسف عليه الصلاة والسلام ﴿ إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ

[1] آمنة بلعلى ، المنهج الأمثل للتواصل ، ص 212 .

[2] المرجع نفسه ، ص 229 .

[3] سورة الأعراف ، الآية 137 .

[4] سورة الأنفال ، الآية 46 .

﴿وَيَصۡبِرۡ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾[1]. وقال تعالى:﴿وَإِنۡ عَاقَبۡتُمۡ فَعَاقِبُواْ بِمِثۡلِ مَا عُوقِبۡتُم بِهِۦۖ وَلَئِن صَبَرۡتُمۡ لَهُوَ خَيۡرٞ لِّلصَّٰبِرِينَ﴾[2].

فالشّيخ يوجّه المتلقى إلى الصّبر على أذى النّاس إلى أن يرد عليه الفرج من الله تعالى وغايته في ذلك حمله على فعل ما أمره به . ولضمان إنجاز هذا الفعل التّوجيهي قدّم معطيات إخباريّة عن الذين فازوا فوزا عظيما جزاء صبرهم كفوز اليهود بوراثة الأرض بعد غرق فرعون الذي أذاقهم شرّ العذاب ، كذلك فوز سيّدنا يوسف – عليه السّلام – بعد صبره على أذى إخوته وعلى عذاب السجن بالنّبوة والحكم .

فهو بذكر هذه الإخباريّات يسعى إلى "تثبيت الحجّة بطريقة تفيد تقرير الحقائق " [3] . فالمذكورون في الآيات السّابقة من الفائزين حقيقة واقعة ، وكل من نَهَجَ نَهْجَهم في الصّبر ففوزهم نتيجة حتميّة لا مناص عنها . وقد تسعى الإخباريّات إلى"الإفهام وتوضيح بعض الظّواهر ضمنيّة كانت أم تصريحيّة "[4] ، أو إلى الوصف كذلك .

ففي قول الشّيخ : **إنّ العامّة لا يرون في تحريك الشّر عليهم إلا صورة الشّخص الذي حرّكه عليهم لغيبتهم عن الله – سبحانه وتعالى – وعن غالب حكمه فنهضوا في مقابلة الشّرور بحولهم واحتيالهم وصولة سلطان نفوسهم ، فطالت عليهم مكابدة الشّرور وحُبسوا في سجن العذاب على تعاقب الدهور.**

يصف حالة الشّخص الذي ينهض لمقابلة الشّرّ بحوله واحتياله ، وذلك لاستحضار صورة ممكنة لمخاطَبه تجعله يتخيّل تلك الصّورة الفظيعة بأنّه في سجن ، وكل مَنْ فيه يتعرّض له بالضّرب وبالشّتم أو حتى محاولة القتل ، وكل ما يمكن لمخيّلة المتلقي تصوّره .

---

[1] سورة يوسف ، الآية 90 .

[2] سورة النحل ، الآية 126 .

[3] حكيمة بوقرومة ، دراسة الأفعال الكلامية في القرآن الكريم ، ص 17 .

[4] آمنة بلعلى ، المنهج الأمثل للتواصل ، ص 231 .

فعن طريق هذه الصّور المتخيّلة استطاع الشّيخ أحمد التّيجاني أن يجعل الأفعال الكلاميّة الإخباريّة "ذات قوّة إيحائيّة وإغرائيّة ، وفعّالة في رسم المشهد الذي يوقظ الإحساس وينبّه الهمم " [1] . ليعلو المتلقي حيث أراد الشّيخ ويرتفع عن سفاسف الأمور .

فالوصف هنا "يومئ إلى الفعل المبتغى والسّلوك المرجوّ لتحقيق الهدف " [2] ، المتمثّل في تغيير الفرد من مسلم عدواني يظلم غيره إلى مسلم حقيقي يترفّع عن إذاية الخلق ويصبر عن شرورهم طمعا في مرضاة الله ورسوله .

. التصريحيّـات :

احتلت المرتبة الرّابعة في رسالة الشّيخ أحمد التّيجاني حيث بلغت ثمانية عشر (18) فعلا كلاميّا ، وهو عدد قليل مقارنة بالأفعال الكلاميّة التّوجيهيّة لأنّ الشّيخ ليس في معرض تهنئة أو تعزية أو ما إلى ذلك ، بل هو معلّم يوجّه تلاميذه الوجهة التي يريد من خلال إقناعهم بالحجج والأدلة العقليّة التي تضمن تغيير سلوكهم دون إكراه أو قسر.

إنّ التّصريحيّات تقتضي التّصريح والتّعبير عن حالة سيكولوجيّة (نفسيّة) معيّنة ، وقد وردت في الرّسالة في ذكر الشّيخ للكَيِّس العاقل مورد مدح وإعجاب لأنه استطاع " أن يجعل الجسد والروح يتواكبان ويساهمان في عملية تجسيد الحقائق الروحيّة "[3] . من خلال رؤيته لأذى النّاس ابتلاء ومحنة من الله – سبحانه وتعالى – ، وهي رؤية باطنيّة روحيّة تجسّدت عمليّا في الإعراض عنهم وعدم مقابلتهم بالمثل . ومراد الشّيخ هنا هو تفاعل الظاهر والباطن (الجسد والرّوح) في الحياة اليوميّة ، وتغيير السّلوك في اتّجاه تطوّري وتقدّمي بما يضمن إصلاح المجتمع إصلاحا بنيويّا .

يقول الشّيخ أحمد التّيجاني : **فإنّ الكيّس العاقل إذا انصبّ عليه الشّر من النّاس ، أو تحرّكوا له به ، رآه تجلّيا إلهيّا لا قدرة لأحد على مقاومته إلا بتأييد إلهي ، فكان مقتضى ما دله عليه علمه وعقله الرّجوع إلى الله بالهرب والالتجاء إليه وتتابع التضرّع والابتهال لديه والاعتراف بعجزه وضعفه .**

---

[1] محمد مشعاله ، الاغتراب عند الإمام علي ، ص 201 .

[2] المرجع نفسه ، ص 201 .

[3] عبد الحفيظ غرس الله ، التصوف الإسلامي والغيرية ، مجلة حوليات التراث ، ع4 ، 2005 ، ص 41 .

إن مدح الشّيخ للكيِّس العاقل وإن لم يكن ظاهرا فهو يفهم ضمنيّا من خلال الكلام، فكأنّه يقول : لله درّ الكيّس العاقل الذي إذا انصبّ عليه الشّر من النّاس رآه تجليا إلهيّا . والمدح هنا فعل إنجازي ذو طاقة حجاجيّة قويّة تغري المتلقي وتثيره لأنْ يكون هو الكيّس العاقل الذي قصده الشّيخ . ولأجل تحقيق ذلك يحاول تغيير سلوكه بما يناسب ذلك .

كما مدح الشّيخ أحمد التّيجاني السّعيد الذي إذا سُلب نعمة من نعم الله في الدنيا رآها بعين قلبه مصيبة وقعت على فعلة معيّنة ، فينتبه من غفلته ويتوب عن فعله رجاء مرضاة الله ولم ينظر إليها بعين رأسه ، بأنّه حُرم نعمة ما فيتذمّر ويتشكّى وبذلك يخسر دنيا وأخرى .

فالشّيخ هنا يقول للمتلقي : حبّذا تكون هذا السّعيد المتيقّن لكل ما يصيبه فيذكّره بالله ويُرجعه إليه ، وليس غافلا تائها ، ضائعا في الحياة الدنيا ؛ حيث يقول : **والسّعيد إذا وقع في شيء من هذه الأمور، يرى عن قريب تعجيل العقوبة ، ويرى التّنبيه في قلبه من الله أنّ هذه المصيبة وقعت على تلك الفعلة** .

فالفعل الكلامي هنا (حبّذا تكون هذا السّعيد) جاء غير مباشر لاستثارة انتباه المخاطَب وإيقاظ عقله وتحريك همّته للوصول إلى هذه الدّرجة العظمى عند الله وهي السّعادة لأنّ النّاس بين شقيّ وسعيد ، فطوبى للسّعداء .

. الإدلائيّــات :

احتلت الإدلائيّات المرتبة الأخيرة في ترتيب الأفعال الكلاميّة في رسالة الشّيخ أحمد التّيجاني بحضور بلغ تواتره أربعة عشر (14) فعلا كلاميا ، وربما هذا يعكس قلة المخاطَبين الذين يمتثلون أوامر الشّيخ ونواهيه التي هي في الحقيقة أوامر الله ونواهيه ، ويجسّدون الحقائق الروحيّة فعليّا في الواقع المعِيش لأنّ ذلك صعبا جدّا إلا على من أراد وجه الله بإخلاص وصدق .

إن الإدلائيّات تعمل على مطابقة المحتوى القضوي للخطاب مع العالم الخارجي ، وقد وردت في الرّسالة في قول الشّيخ : **وأحذّركم لكل من خوّله الله نعمة ، أن يمدّ يده بها فيما لا يرضي الله مثل شراء الخمر والوقوع في الزّنا ، ومدّ اليد بها في المعاملة في الرّبا ، أو صرفها في وجوه طلب الرّياسة والسّلطنة ، أو في طلب إذاية**

المسلمين ، من سفك دمائهم نهب أموالهم أو هتك حريمهم ، أو بإذايتهم ولو بأقل قليل ، فإنّ الفاعل لهذه الأمور بما أنعم الله عليه ، مستحقّ لسلب النّعمة من الله ، مع ما يُعرض له من مقت الله وغضبه .

الفعل الكلامي هنا الذي قصده الشّيخ هو التّحذير من استغلال نِعَمِ الله في معصيته لأنّ ذلك إثم كبير ، والنِّعَمُ يجب أن تُقابل بالشّكر لقوله تعالى :﴿ هَلۡ جَزَآءُ ٱلۡإِحۡسَٰنِ إِلَّا ٱلۡإِحۡسَٰنُ ﴾[1].

ثم يُعلن تحذيره من شراء الخمر والزّنا ، والرّبا في المعاملات الماليّة ، وسفك الدماء ونهب الأموال وهتك الحريم ، لأنّ مقارفة هذه الممارسات يستوجب غضب الرّب ومقته الذي يحتّم وقوع العقاب ، والذي قد يكون فرديّا أي على الفرد فقط أو جماعيّا على الأمّة عامّة ، وما حدوث الحروب والزلازل والفيضانات إلا دليل على ذلك .

وتكمن قوة الأفعال الإدلائيّة في مطابقتها للعالم الخارجي ، أي عندما نتكلم نفعل، فالقول هو نفسه الفعل ، فالشّيخ أحمد التّيجاني لما حذّر مخاطبيه من اقتراف المعاصي المذكورة في الرّسالة فإنّ فِعْلَهم يتجلى حقيقة في الواقع بتجنّب الخمر والزّنا والرّبا والقتل والسرقة والقذف ... وقصد الشّيخ هنا تغيير الواقع الاجتماعي إلى الأحسن "فباستعمال الإعلانات ، يُغيّر المتكلم العالم عبر كلمات "[2] .

وهنا تظهر مقدرة الشّيخ الحجاجيّة ، وبراعته في إنتاج خطاب له فعل إقناعي وتأثيري على الآخر من خلال وعيه الكامل بهدفه وقصده والتّخطيط الدّقيق لتحقيق ذلك والاختيار المحكم للأفعال الكلاميّة التي تخدم غايته الحجاجيّة .

فترتيب الإدلائيّات في الأخير له طاقة حجاجيّة لها قوّتها المؤثّرة لأنّ فيها يطابق القَوْلُ الفِعْلَ ولا يمكن تحقيق ذلك إلا بعد توجيه السّلوك الظّاهري توجيها يناسب التّربية الرّوحية التي ينشدها الصّوفي ، فإذا تَمَّ تغيير السّلوك وتَوَافَق الظّاهر مع الباطن طابق القَوْلُ الفِعْلَ في العالم الخارجي ، وهذا هو النّظام الصّوفي الذي يمثّله الشّيخ أحمد التّيجاني ، " نظام عرفاني سلوكي أعطى للحاجات الرّوحيّة الأهميّة في كل فعل ، وأضفى عليها معنى جوهريّا في رؤية العالم وتصوّر الحياة الاجتماعية "[3] .

---

[1] سورة الرحمن ، الآية 60 .

[2] جورج يول ، التداولية ، ص 89 .

[3] عبد الحفيظ غرس الله ، التصوف الإسلامي والغيرية ، ص 37 .

وخلاصة القول: إن الأفعال الكلاميّة الموظّفة في الرّسالة لها قوّة حجاجيّة " تكمن في الأثر الذي يتولّد من القول "[1]. وهذا الأثر يتجلّى من خلال ردّة الفعل الواقعة أو المفترضة للمتلقي الذي يمثّل الطّرف الثّاني المشارك والمحاور ، لهذا فإنّ خطاب الشّيخ يمكن اعتباره حوارا مع مختلف أصناف المخاطَبين لأنّ هدفه إقناع الآخر دون إكراه .

إن موضوع الإقناع هو فعل الصّورة الحجاجيّة وغايتها ، وقد حقّقت الرّسالة هذا الفِعْل " بواسطة قوى أفعال الكلام المنجزة من خلال العبارات وما تحقّقه بدورها من آثار ونتائج مهما كانت صفتها ، فإنّ إيقاعها يبقى إقناع الآخر ، ليس من باب إحداث الغلبة لطرف على حساب الآخر ، ولكن من أجل الحوار والتواصل "[2] .

إن ترتيب الأفعال الكلاميّة بهذا النّمط الذي استنتجناه من عمليّة الإحصاء (توجيهيات إلزاميات إخباريات ، تصريحيات ، إدلائيّات) تكشف عن قدرة الشّيخ أحمد التّيجاني في تَسْيِير الخطاب وفق غايته وهدفه ، حيث تظهر سيرورة الخطاب وتطوّره بشكل تدريجي من أفعال التّوجيه التي توجّه سلوك المخاطَب وتقنعه بتغييره وفق الوجهة التي أرادها الشّيخ والتي تتمثّل في تجسيد الحقائق الرّوحيّة في الحياة العمليّة ثم تعقبها أفعال الإلزام والوعد ؛ الوعد بالثّواب الجزيل من عند الله تعالى لمن أنجز الفِعْل المحمود وغَيَّر سلوكه ، والوعيد بالهلاك والعقاب لمن أبى إلا أن يتّبع هواه ويغلّب شهوته عن عبادة ربّه . ثم بعد ذلك أتبعها بأفعال الإخبار والتّأكيد لتؤكّد على ضرورة إنجاز هذه الأفعال والاقتناع بفكر الشّيخ واتّباعه واتّباع طريقه الصّوفي ، ولتمنح أفعال التّوجيه قاعدة استدلاليّة قويّة ، كذلك لتؤكّد صلاح هذا الطّريق وهذه الغاية بتقديم نماذج حقيقيّة من الواقع كانت سابقة اتّبعت هذا المنهج ونالت الفوز العظيم والرّبح الجسيم دنيا وأخرى .

ثم تلتها التصريحيات التي يعبّر فيها الشّيخ عن أمله وتمنّيه لكل مخاطَب أن ينجز الأفعال المذكورة حتى يذوق طعم السّعادة الكبرى التي يعيشها عباد الله المؤمنون يقول تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ

[1] آمنة بلعلى ، المنهج الأمثل للتواصل ، ص 211 .

[2] المرجع نفسه ، ص 206 .

﴿ يَحۡزُنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ لَهُمُ ٱلۡبُشۡرَىٰ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِۚ لَا تَبۡدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴾[1] .

ثم في الأخير جاءت الإدلائيّات لتعلن عن أفعال مطابقة للعالم الخارجي ، ولتُبيّن مدى تأثيريّة الفعل الإنجازي " إذا تطابق الأثر النّهائي أو النّتيجة النّهائية مع الغرض المنشود "[2] ، والمتمثّلة في تخليق الحياة الفرديّة والجماعيّة من خلال " إحياء الدّين في النّفوس ، وإصلاح معايب المجتمع في صورة تركّز على البعد الرّوحاني ، والتّربوي والأخلاقي للإنسان ، دون أي إهمال لأبعاده الأخرى ... من أجل النّهوض بالإنسان والسّموّ به كقيمة روحانيّة وأخلاقيّة ما فتئت الحضارة المعاصرة تفقدها أو تسير نحو تبديدها"[3] .

إذن تتعاون الأفعال الكلاميّة الحاضرة في نص الرّسالة في إقناع المتلقّي بأفكار الشّيخ وإن حضر بعضها بشكل أقوى من الآخر ، فالمتمعّن في تشكيلات الخطاب يجد أن هذه الأفعال " تشتغل بشكل تساندي وتدفع كلها نحو مقصد مركزي ، وهو تغيير المتلقي نحو الكمال الذي ارتضته الشّريعة له "[4] .

إنّ الحضور المكثّف للأفعال الكلاميّة في رسالة الشّيخ أحمد التّيجاني دليل على الحركة والحيويّة لأنّ الفِعْل لا يعرف الثّبات حيث يدخل فيه " عنصر الزّمن والحدث بخلاف الاسم الذي يخلو من عنصر الزمن "[5] .

وهذا التغّير والتحوّل الذي يتميّز به الفِعْل يعضد الطّاقة الحجاجيّة للخطاب ، ويساند المتكلم – الشّيخ أحمد التّيجاني – ويناسب التّغيير في سلوك المخاطَب الذي يسعى إليه الشّيخ ، وليس هذا فحسب بل إنّ التنوّع في

---

[1] سورة يونس ، الآية 62 ، 63 ، 64 .

[2] فان دايك ، النص والسياق ، ص 237 .

[3] عبد القادر تومي ، التصوف والمجتمع ، ص 165 .

[4] محمد بازي ، تقابلات النص وبلاغة الخطاب ، ص 58 .

[5] أماني سليمان داوود ، الأسلوبية والصوفية ، دراسة في شعر الحسين بن منصور الحلاج ، دار مجدلاوي، عمان ، الأردن ، ط1 ، 2002 ص 102 .

الأفعال الموظّفة في الرّسالة مابين الماضي والمضارع والأمر يقدّم طاقة حجاجيّة إضافيّة تدعم الشّيخ أيضا في حجاجه ، حيث "تدفع إلى إثارة المشاعر وشحنها وتُوجّه إلى غاية واحدة هي الإقناع أو الحمل على الإذعان "[1] .

وذلك لما يضفيه تنوّع الفِعْل على الخطاب من حركيّة وحيويّة بانتقاله من الأمر إلى الماضي إلى المضارع ليجعل من الجوّ العام للرّسالة " تأثيريّا يستجلب النّفوس ويستهويها لأنّ النّمط الفعلي الواحد من شأنه أن يؤدّي إلى السّأم والملل ، ومن ثَمَّ النّفور من سماع القول "[2] .

ويبيّن الجدول التّالي زمن الأفعال في الرّسالة :

الماضي	المضارع	الأمر
75	74	81

من خلال الجدول نلاحظ تباين الأفعال وهو ما يؤدّي إلى تباين واختلاف في الأغراض كما نلاحظ تقاربا كبيرا بين عدد الأفعال بمختلف أزمانها ، ويمكن تفسير ذلك كما يلي:

إن طغيان الأفعال الأمريّة الطلبيّة في الرّسالة مثل (**واسألوا ، واصبروا ، فليدافع، فليفعل ويكثر ، فليأخذ ، تجنبوا ، أطيعوا ، اسمعوا** ...) وتوظيفها بكثرة دليل على اهتمام الشّيخ أحمد التّيجاني بلفت انتباه المتلقي من أجل شحذ ذهنه وتفكيره للتّركيز في سماع ما يُقال له ، وهدفه في ذلك " توجيه المتلقي نحو نتيجة معيّنة أو تحوّل وجهته عنها "[3] . هذا من جهة ، ومن جهة أخرى فإنّها – الأفعال الأمريّة – تدل على تنفيذ المخاطَب بعض الأفعال في المستقبل ، لأنّها تعبّر عن رغبة المرسِل – الشّيخ أحمد التّيجاني – في أن تؤخذ إرادته التي انطوى عليها خطابه على أنّها هي السّبب الرئيس أو الدّافع الحقيقي في الفِعْل الذي سوف يأتي به المرسَل إليه مستقبلا .[4]

---

[1] هشام فروم ، تجليات الحجاج في الخطاب النبوي ، ص 127 .

[2] المرجع نفسه ، ص 127 .

[3] محمد طروس ، النظرية الحجاجية من خلال الدراسات البلاغية والمنطقية واللسانية ، دار الثقافة ، المغرب ، ط1 ، 2005، ص 94 .

[4] ينظر : عبد الهادي بن ظافر الشهري ، استراتيجيات الخطاب ، ص 337 .

إن احتلال الأفعال الأمريّة المرتبة الأولى في الرّسالة يبدو غريبا في البداية ، بسبب أنّ الأمر لا يوجّه إلى متلقٍّ خالي الذّهن إلا أن هذه الغرابة تزول لما نعرف أنّ الشّيخ يوجّه المتلقي إلى الائتمار بأوامر الله والانتهاء عن نواهيه ، وهو ما يعرفه كل مسلم ومن ثَمَّ فهو ليس خالي الذّهن .

أما فيما يخص الفعل الماضي فقد جاء بعد الأفعال الأمريّة بتواتر بلغ 75 فعلا ، وهو الفعل " الذي يعبّر عن زمن وحدث ثبتا في الماضي"[1] ، وقد استخدمه الشّيخ لاستعادة الماضي وربط المخاطَب بمرجعيّته الإسلاميّة التي قد يتنكّر لها بدعوى العولمة والتكنولوجيا ، وتذكير بأوامر الله ونواهيه التي هي سابقة في الوجود الشّرعي عن الدّعوة لها ، فالشّيخ يدعو إلى إحياء الدّين وتجسيده في الحياة العمليّة . إضافة إلى ذلك فإنّ الماضي يُفيد تقرير الحقائق ، وقد وظّفه الشّيخ أحمد التّيجاني ليفيد المتلقي بمعرفة حقائق وقعت سابقا تُحفّزه على تغيير سلوكه بناءً عليها . مثل توظيفه لقصّة سيّدنا يوسف –عليه السلام – وتبيان صبره على المكاره التي جلبت له الفوز ، ليدعو المخاطَب للصّبر على الأذى وانتظار فرج الله .

أما المضارع فقد جاء مساويا– تقريبا– للفعل الماضي فلا يقل عن هذا الأخير إلا بفعل واحد فقط ، أي بعدد (74) فعلا . والمضارع –كما هو معلوم – يدل على "التّجدد في الحدث مع الإشارة إلى استمراريّة هذا الحدث إذ أنّ الفعل المضارع يفيد معنى الاستمرار والامتداد "[2].

ومن ثَمَّ فتوظيف الشّيخ له بهذا التّواتر يدلّ على دعوته المستمرّة والممتدّة عبر الزّمان والمكان إلى كل المخاطَبين ؛ فهو وإن كان يتوجّه برسالته إلى الذين عايشوه ، إلا أنّه في عمومه موجّه إلى كل القرّاء ، ومن ثَمَّة فكل متلقّ يجد نفسه معنيّا بكل كلمة في الرّسالة ، وذلك لأنّ الشّيخ أحمد التّيجاني " استند إلى روح الشّريعة ومبادئها ومقاصدها وهي صالحة للنّاس في كل زمان ومكان"[3] هذا من جهة .

---

[1] أماني سليمان داوود ، الأسلوبية والصوفية ، ص 104 .

[2] المرجع نفسه ، ص 104 .

[3] محمد بازي ، تقابلات النص وبلاغة الخطاب ، ص 45 .

ومن جهة أخرى فالفعل المضارع يدلّ على ضرورة استمراريّة المتلقي في تغيير سلوكه للأحسن وفق ما أراده الشّيخ لأنّ ذلك يؤدّي بالضّرورة إلى الوصول إلى تقوى الله وهي مدار العمل وقطب الرّحى لأنّها تمثّل الغاية والوسيلة في آن واحد ؛ " فهي وسيلة لإرضاء الله وغاية لأنّها منتهى العبادة "[1] .

وخلاصة القول: إن طغيان الأفعال على الأسماء في رسالة الشّيخ جعل الخطاب أكثر حيويّة وفعاليّة يغري المتلقي بالتّفاعل معه ويثيره لكي يكون أهلا للتّغيير الإيجابي البنّاء

كما أن التنوّع في الأزمنة جعل النص يبدو نسيجا من الأحداث المتعاقبة من الأمر والتّوجيه ولفت الانتباه إلى استعادة الماضي الإسلامي والتّفاعل معه والتّأكيد عليه إلى دعوة للاستمرار والمواصلة " تجعل المسلم يساهم مثل غيره في بناء المجتمع الإنساني وتجلب له المنفعة وترتقي نيّته حتى تشرف على أفق الكمال العقلي "[2].

وورود خطاب الرّسالة بهذا التّمازج بين الأفعال (أمر ، ماض ، مضارع) يتناسب مع المنطق العقلي ، إذ الأمر يرتبط بالحاضر، والحاضر مبنى على الماضي " في كل ما ينتاب الإنسان من حوادث ، ولا يكون التّكيّف إلا بمراعاة ما سبق لمن أراده إيجابيّا، ومن أراده سلبيّا تنكّب الماضي في الحاضر فتفرّقت به السّبل "[3] .

كذلك فإن هذا التّسلسل في الأغراض يوحي بالمنطقيّة في التّعامل مع النّفس البشريّة من أجل إقناعها والتّأثير فيها وتغيير سلوكها في العالم الخارجي .

ب . التكـــرار :

إنّ التّكرار من الوسائل اللغويّة ذات الصّلة الوثقى بالإقناع لأنّه يمثّل رافدا أساسيّا من روافد الحجاج يدعم الحجج والبراهين التي يقدّمها المرسل لفكرة ما أو قضيّة ما وهذا يعني أنّ التّكرار يقدّم طاقة حجاجيّة إضافيّة "تحدث أثرا

[1] محمد مشعاله ، الاغتراب عند الإمام علي ، ص 208 .

[2] آمنة بلعلى ، المنهج الأمثل للتواصل ، ص 232 .

[3] محمد مشعاله ، الاغتراب عند الإمام علي ، ص 209 .

جليلا في المتلقّي وتساعد على نحو فعّال في إقناعه أو حمله على الإذعان ؛ ذلك أنّ التّكرار يساعد أوّلا على التّبليغ والإفهام ، ويعين المتكلم على ترسيخ الرّأي أو الفكرة في الأذهان "[1] .

من ذلك أنّ المرسِل إذا كرّر لفظا أو فكرة أدرك المتلقي مرماها ، وفهم مقصدها ورسخت في ذهنه ومن ثمّة يتبنّاها مقتنعا بها ، وقد يتجاوز ذلك إلى تغيير سلوكه تبعا لها .

والتّكرار نوعان كما ذكرنا في الفصل النّظري ؛ تكرار الشّكل وتكرار المضمون ولكل منهما أنواع خاصة به ، وسنفرد كلا منهما على حده .

ب . 1 . تكـرار الشّكـل :

حاولنا تتبّع أنواع تكرار الشّكل في رسالة الشّيخ أحمد التجاني لمعرفة مدى حضور كل نوع فتحصّلنا على الجدول التالي :

نوع التّكـرار	نسبة الحضـور
تكرار المكرّر بذاته (الكلمة نفسها)	52
تكرار في هيئة عنصرين من مادّة واحدة	35
تكرار بتغيير التّركيب	16

من خلال الجدول أعلاه يتبيّن لنا أنّ الشّيخ أحمد التجاني وظّف كل أنواع التّكرار الخاصّة بالشّكل ، إلا أنّنا نلاحظ أنّ أعلى نسبة حضور في هذه الأنواع سجّلها النّوع الأوّل الذي تواتر (52 مرّة) مقارنة بالنّوع الثّاني الذي

[1] سامية الدريدي ، الحجاج في الشعر ، ص 168 .

تواتر في الرّسالة (35 مرّة) والنّوع الثّالث (16 مرّة) ، وهذا راجع لكون المكرّر بذاته "أنجع وسيلة لتحقيق الإقناع في سياقات كالتّرغيب والتّرهيب "[1] ، والتّوجيه والتّذكير لقوله تعالى :﴿ وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾[2] .

ومن أمثلة **النّوع الأوّل** في الرّسالة قول الشّيخ أحمد التّيجاني : **فالذي أوصيكم به وإياي المحافظة المحافظة على قوله ﷺ : ثلاث منجيات وثلاث مهلكات .**

اعتمد الشيخ أحمد التجاني عدّة وسائل إقناعيّة تعضد قوله منها استخدام أسلوب التكرار والمعاودة الذي تجلى في هذا المقتطف من الرّسالة من خلال تكرار كلمة المحافظة حيث تكرّرت مرّتين متعاقبتين مباشرة لا يوجد أيّ فاصل بينهما ، وهذا التّكرار "لا يندرج في باب التّكرار اللفظي أو التّرف الكلامي ، بل هو تكرار يقوّي حجّته في كل مرّة يتلفّظ بها ، وذلك بالرغم من أنّ الألفاظ هي هي لم تتغيّر ، ولكن المتغيّر المصاحب للتّلفّظ هو الأثر التّداولي الذي يريد تحقيقه "[3] . وهو إقناع المتلقي بأهمّيّة الأمر .

أي أنّ تكرار هذه اللفظة (المحافظة) يوحي بالرّغبة الملحّة للشّيخ أحمد التّيجاني في إقناع المخاطَب بأهمّيّة حديث رسول الله ﷺ في حياة المسلم وضرورة اتّباعه فعليّا بتطبيقه في الحياة العمليّة لأنّ السّنّة النّبويّة المطهّرة تمثل أحد طرفي الشّرط الذي يضمن للأمّة سلامتها من الضّلال والانحطاط والتّخلف لقوله ﷺ : "تركت فيكم ما إن تمسّكتم به لن تضلوا بعدي أبدا كتاب الله وسنّتي " .

إنّ الشّيخ أحمد التّيجاني كرّر اللفظة (المحافظة) عن وعي تام وقصد ؛ حيث أنّه لم يقل: أوصيكم بقوله ﷺ ، بل قال: المحافظة ثم أعادها ثانية، وهذا لجلب انتباه المتلقي في المرّة الأولى وفي المرّة الثانية لإيقاظ عقله وتحريك همّته لما يراد منه ، لأنّ التّكرار يعدّ "من المنبّهات الأسلوبيّة الكفيلة بإيقاظ وعي المتلقي واستنفاره لدرجة يَضْحى فيها المتلقي وَاقِعا تحت سلطة التّأثير النّاتج عن المنبّهات التي تولدها الظّاهرة اللغويّة التي تتحوّل إلى شحن المتلقي شحنا عاطفيّا "[4] ، وإثارة انفعاله بما يدفعه للقيام بالعمل أو الفعل الذي يرغب فيه المتكلم .

---

[1] هشام فروم ، تجليات الحجاج في الخطاب النبوي ، ص 165 .

[2] سورة الذاريات ، الآية 55 .

[3] عبد الهادي بن ظافر الشهري ، استراتيجيات الخطاب ، ص 493 .

[4] هشام فروم ، تجليات الحجاج في الخطاب النبوي ، ص 167 .

وليس هذا فحسب بل إنّ الشّيخ وظّف التّكرار هنا للتّشديد على المحافظة على السّنّة النّبويّة والمبادرة إلى تجسيدها فورا ، فهو لا يقصد تنبيه المتلقي للحديث الشّريف وتذكيره به من أجل فهمه واستيعابه ، والتّنكر له فيما بعد ، وإنّما يسعى إلى استثارة المتلقي للقيام بفعل الاتّباع في التّو دون توان ، لأنّ العمر قصير والسّفر طويل . وذلك بتجسيده فعليّا في الحياة اليوميّة ابتغاء مرضاة الله – سبحانه وتعالى – والوصول إلى حبّه لقوله تعالى : ﴿ **قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ** ﴾[1] .

كذلك نجد تكرار الكلمة نفسها في قول الشّيخ أحمد التّيجاني: **والحذر الحذر لمن تحرّك عليه شرّ النّاس أن يبادر إليه بالتّحرّك بالشّرّ** .

إنّ تكرار لفظة الحذر في هذا الجزء من الرّسالة له أثر كبير في شدّ الانتباه وجلب التّركيز لأنّ المتلقي يوزّع انتباهه توزيعا انتقائيّا ، حيث يسلّط نظره على بعض المعلومات أو الكلمات دون غيرها لتكرارها ووضوحها ، وهذا هو مربط الفرس وهو تركيز المتلقي على كلمة الحذر وبالتالي فهمها والتّأثّر بها ومن ثمّة تجسيدها فعليّا .

إضافة إلى ذلك فإنّ التّكرار يؤكّد الفكرة ويرسّخها في الذّهن ، وقد استخدمه الشيخ أحمد التّيجاني ليؤكّد للمتلقي مدى خطورة المبادرة بالشّرّ في حياته وحياة مجتمعه، وليرسّخ فكرة الابتعاد عن هذا السّلوك الاجتماعي الخطير الذي يؤدّي إلى الخصومات بين الأفراد وبالتالي الفتنة في الدّولة بل الأمّة بكاملها .

ومن هنا يتجلى الدّور الحجاجي الذي يضطلع به التّكرار ، حيث يسعى إلى التّأثير في المتلقي وتغيير التّركيبة الذّهنيّة له ، ومن ثمّة تغيير قناعاته وسلوكاته في حياته ، وهذا هو مسعى الشّيخ أحمد التّيجاني وقصده من خطابه.

أمّا **النّوع الثّاني** من التّكرار وهو التّكرار في هيئة عنصرين اثنين من مادّة واحدة فقد تواتر (35 مرّة) في الرّسالة ، ومن أمثلة ذلك : **لا تتهافتوا تهافت ، عارض من عوارض، عوّقت العوائق ، يشغلهم بشاغل، مثابا ثواب فلا أعجز ممن عجز ...**

[1] سورة آل عمران ، الآية 31 .

من خلال هذا التّكرار تظهر المقدرة اللغويّة للشّيخ أحمد التّيجاني في الرّسالة حيث توسّل بمختلف الصّيغ اللغويّة التي "تعتمد في تأثيرها السّمعي على مبدأ التّجانس" [1]. لما لها من طاقة حجاجيّة تسانده في تبليغ خطابه وفي التّأثير على سلوك المتلقي .

أمّا **النّوع الثالث** والأخير من أنواع تكرار الشّكل ، فهو التّكرار بتغيير التّركيب الذي تواتر في الرّسالة (16 مرّة) ومن أمثلة ذلك :

واسألوا الله العافية ، على العبد أن يسأل الله العافية .

وإن اشتعلت عليه نيران شرّهم ، ولو التهبت عليه نيران الشر من الناس .

أحذّركم أن تتهافتوا في المعاملات المحرّمات شرعا ، وخطوات الشيطان التي نهى الله عنها هي المعاملات المحرّمات شرعا .

اعتمد الشيخ أحمد التّيجاني في إقناع المتلقي "على العرض اللغوي للدّعاوي الحجاجيّة بتكريرها وصياغتها صياغة موازية ، وإلباسها إيقاعات نغميّة بنائيّة متكرّرة "[2] .

من ذلك قوله : **أحذّركم أن تتهافتوا في المعاملات المحرّمات شرعا** ، يبرهن على دعواه بإعادتها بطريقة مغايرة تثبت الدّعوى وتزيد في قوّة الحجّة بقوله : **الخطوات التي نهى الله عنها هي المعاملات المحرّمات شرعا** . فهنا إثارة وتحريك للعقل بالتّساؤل عن سبب تجنّب المعاملات المحرّمات ، كأنّ المتلقي يقول : لماذا ؟ فجاء التّركيب الثاني ليحتجّ للتّركيب الأوّل ويثبته ويجيب على تساؤل العقل إجابة صريحة وأخرى ضمنيّة تجعله يقنع بما دعاه إليه الشّيخ فيبادر إليه عن رضا وطيب خاطر .

ويمكن تحديد الإجابة في التّركيب الثّاني بقولنا :

[1] محمد العبد ، النص الحجاجي العربي ، ص 718 .

[2] المرجع نفسه ، ص 713 .

. إنّ المعاملات المحرّمات هي التي نهانا عنها الله – سبحانه وتعالى – ، لذا يجب أن نتجنّبها طاعة لله لا غير وطلبا لمرضاته .

. إنّ المعاملات المحرّمات طريق الشّيطان الذي يؤدّي إلى الغواية والضّلال لأنّ الشّيطان توعّد ابن آدم بالغواية في قوله تعالى:﴿ قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغۡوَيۡتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَأُغۡوِيَنَّهُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴾[1] .

. إنّ طريق الشّيطان سبب خسارة المسلم في الدّنيا والآخرة ؛ أمّا في الدّنيا بتعجيل العقوبة سواء أكانت أمراضا أم حوادث مرور أم حرائق ... وفي الآخرة تكون العقوبة أشد وهي نار الجحيم (نستعيذ بالله منها) لقوله ﷺ :" كل ما نبت من حرام فالنار أولى به" .

. على المؤمن أن يقي نفسه وأهله وولده من النّار لقوله تعالى :﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ ﴾[2] . لهذا عليه تجنّب الحرام ليس في العبادات فحسب ولكن حتى في المعاملات الماليّة وخاصّة في الأسواق.

من خلال هذه الإجابات المتضمّنة داخل التّركيب المكرّر يقتنع المتلقي بضرورة اجتنابه المحرّمات الماليّة لمصلحته الخاصّة القريبة المدى (الدّنيويّة) والبعيدة المدى (الأخروية) فيبادر لفعل ذلك طمعا في حصول الفائدة فينعكس ذلك إيجابا على حياته الفرديّة ومن ثَمَّة على الحياة الاجتماعيّة والاقتصاديّة للأمّة بأسرها .

وهذا هو مسعى الشّيخ أحمد التّيجاني ومسعى كل صوفي يحبّ الله ورسوله ، مسعى يتجسّد في تربية النّفس البشريّة وبِنَائِها بشكل تدريجي مرحلي ليكون التّغيير المرحلي التّدريجي للنّفس المؤمنة سببا في بناء الأمّة الإسلاميّة والدّفع بها للأمام لبناء حضارة إسلاميّة جديدة قائمة على أسس إيمانيّة حقيقيّة ، ولِمَ لا ؟

ب . 2 . تكرار المضمون :

[1] سورة الحجر ، الآية 39 .

[2] سورة التحريم ، الآية 6.

إنّ تكرار المضمون يعني تكرار عناصر لغويّة مترادفة أو مشتركة في جزء من المعنى ، وقد ذكرنا أنواعه في الجزء النظري وهي كالتالي :

. النّوع الأوّل : تكرار مفردتين أو أكثر في جملة واحدة أو منطوق واحد .

. النّوع الثّاني : تكرار مفردتين في جملتين .

. النّوع الثالث : تكرار مفردتين في ثنائية .

. النّوع الرّابع : تكرار المضمون بين جملتين متواليتين .

وبعد القيام بعمليّة إحصاء هذه الأنواع في الرّسالة حصلنا على النّتائج المبيّنة في الجدول التالي :

النّوع	العدد
النّوع الأوّل	35
النّوع الثّاني	09
النّوع الثالث	06
النّوع الرّابع	11

من خلال هذا الجدول يتّضح لنا ظهور كل أنواع تكرار المضمون في رسالة الشّيخ أحمد التّيجاني ، مع وجود تباين كبير في نسبة الحضور ، حيث يتصدّر النّوع الأوّل المرتبة الأولى ، ثم يليه النوع الرّابع ثم الثّاني ثم الثّالث .

أما **النوع الأول** فهو تكرار مفردتين أو أكثر في جملة واحدة أو منطوق واحد لمعنى واحد وهذا هو الغالب على الرّسالة بحضور يبلغ (35) مرة ، ومن أمثلة ذلك : **بالصّفح والعفو لين ورفق ، التضرّع والابتهال ، عجزه وضعفه ، الهروب والالتجاء الرّياسة والسّلطة بلاغا وسدّا ، كسبا وتموّلا ، كذب وزور...**

وظّف الشّيخ أحمد التّيجاني هذا التّكرار بهدف التّأكيد أي أنّه يؤكّد الحجّة الأولى بحجّة أخرى تثبتها وتدعمها ، ففي قوله : **فإن لم يقدر فبالصّفح والعفو** ، " عمد إلى التّكرار بوجهين مختلفين للدّلالة نفسها ، ليؤكّد بعضه ببعض ، فهذا أبلغ في الأثر التّداولي (الإقناع) "[1] ، هذا من جهة . ومن جهة أخرى وظّفه للإحاطة بالمعنى كاملا قصد تبليغه للمتلقي ، إذ أنّ " في الجمع بين مفردتين أو أكثر لمعنى واحد آليّة لشغل فضاء ذلك المعنى كاملا ، حيثما تقصر المفردة الواحدة في ذلك السياق الحجاجي عن أداء هذه الوظيفة "[2] .

أما **النوع الثاني** فهو تكرار المضمون المبني على مفردتين في جملتين وقد احتل المرتبة الثالثة بتواتر بلغ تسع (09) مرّات ومن أمثلة ذلك قوله :

. **ولا يتحرك في شيء من إذايتهم لإساءتهم ، وإن اشتعلت عليه نيران شرهم .**

. **ويكثر التضرع إلى الله ، والابتهال سرا في رفع شرهم عنه .**

. **ترى الناس أبدا في عذاب عظيم ... ووقعوا بذلك في المهالك.**

إنّ معاودة المعنى بلفظ آخر لا يعني ثبات المعنى ، حيث يذهب " (بيرلمان وزميله) إلى أنّه من الخطأ أن نعتقد ثبات المعنى لهذه التّعبيرات ، ومن الخطأ أن نعتقد أن العلاقات بين هذين اللفظين هي ذاتها لا تتغيّر "[3] . فالشّيخ بتكراره للمعنى يقدّم حججا جديدة متنوّعة تدعّم قوله وإن كانت تظهر بأنّها توضيحيّة للأولى .

ففي المثال الثالث تكرار معنى العذاب بلفظ المهالك ، وذلك لأنّ العذاب غير مرتبط في الأذهان بالدّنيا بل يعتقد أنّه خاص بيوم القيامة ، ولكن الشّيخ استخدمه ليثبت للمتلقي أن هناك عذابا معجّلا له في الدّنيا نتيجة أعماله المنافية لإرادة الله .

ثم يكرّر المعنى بقوله (المهالك) ليضيف حجّة أخرى وهي أنّ المهالك والمخاطر المحيطة بالعبد أو المصائب التي حلّت به أو بإخوانه أو ببلده ما هي إلا نتيجة لابتعاد النّاس عن الله – سبحانه وتعالى– وعدم توكّلهم عليه ، واعتمادهم

[1] عبد الهادي بن ظافر الشهري ، استراتيجيات الخطاب ، ص 491 .

[2] محمد العبد ، النص الحجاجي العربي ، ص 720 .

[3] عبد الهادي بن ظافر الشهري ، استراتيجيات الخطاب ، ص 492 .

على أنفسهم لأنّهم ماديّون يؤمنون بالمادّة أكثر من ربّهم ، فلسان حالهم يقول : من عاداك عاديه ، ومن آذاك آذيه ، وانتصِرْ لنفسك وهكذا فهم يرون كل شيء بأعينهم التي في رؤوسهم ، ولا يحاولون رؤية العالم ببصائرهم التي في قلوبهم التي تخبرهم بأن الله هو وحده الفاعل والقادر ، هو النّاصر لعبده الضّعيف الملتجئ إليه المنتصر له من أعدائه .

إنّ تكرار المعنى بلفظين متقاربين ساهم في تقدّم الخطاب وتناميه وتنويع الحجج والبراهين المقدّمة لإقناع المتلقي وتغيير معارفه وقناعاته ومن ثَمَّة سلوكاته .

أما **النوع الثالث** فهو تكرار مفردتين في ثنائيّة ، فقد تواتر في الرّسالة ستّ (06) مرات وهو قليل مقارنة بغيره ومن أمثلة ذلك :

حرارة طبعه وظلمة جهله وعزّة نفسه ، الرّجوع إلى الله والالتجاء إليه ، والابتهال لديه الظّاهرة و الباطنة ، المعنويّة والحسّيّة ، المعلومة والمجهولة ، العاجلة والآجلة المتقدّمة والمتأخّرة الدّائمة والمنقطعة ... وهكذا .

استخدم الشّيخ هذا النّوع من التّكرار هنا للتّأثير على المتلقي بنسبة عالية لأنّ " هذا النّوع يميل غالبا إلى جعل الطّرف الثاني من الثنائيّة اللفظية أهمّ وأقوى من الطّرف الأوّل فيها " [1] . وهذا ما يقوّي الحجّة أكثر ويجعلها قادرة على الإقناع بصورة أسرع .

ففي المثال الأوّل ذكر الشّيخ ثلاث ثنائيّات لها المضمون نفسه ، لكنّها تختلف من حيث الألفاظ وكل ثنائيّة أقوى من سابقتها .

يحذّر الشّيخ المتلقي من المبادرة بالشّرّ حتى إن ظُلم لأنّ له ربًّا ينصره ، لقوله تعالى : ﴿ **أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ** ﴾[2] . كما أنّ له دينا يضبطه وينظّم سلوكاته وقدّم حججه بقوله: **بأنّ المبادر بالشّرّ إنّما يتحرّك بذلك لمقتضى حرارة طبعه وظلمة جهله وعزة نفسه.**

[1] محمد العبد ، النص الحجاجي العربي ، ص 722 .

[2] سورة النمل ، الآية 62 .

فالحجة الأولى : حرارة طبعه

تعني سرعة الغضب وعجلة التصرّف بالمثل دون تروّ وتبصّر ، وهذا ينافي ديننا الحنيف الذي يوصي بإمساك النفس عند الغضب لقوله ﷺ : " ليس الشّديد بالصّرعة ، إنّما الشّديد الذي يملك نفسه عند الغضب "[1] .

والحجة الثانية : ظلمة جهله

وهي تشير إلى قوله تعالى : ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴾[2] .

وقد قصد الشّيخ بذكرها هنا أن لا يبادر المتلقّي بالشّرّ فيكون ظلوما جهولا ، بل يجب أن يكون من عباد الله المؤمنين الذين قال فيهم : ﴿ وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ﴾[3] .

ولا يكون كالذين يتغنّون بقول الشّاعر :

ألا لا يجهلنّ أحد علينا فنجهل فوق جهل الجاهلينا [4]

فهذه الحجّة الثانية أقوى من الأولى لأنّها تدحض دعوى الجاهليّة وتدعو إلى الصّبر والحِلْم والعفو والصّفح ، لا الدّاعية إلى القتال والغضب والاستنفار بالشّرّ .

الحجة الثالثة : عزّة نفسه

---

[1] الإمام النووي ، رياض الصالحين ، ص 174 .

[2] سورة الأحزاب ، الآية 72 .

[3] سور الفرقان ،الآية 63 .

[4] حسني عبد الجليل يوسف ، الأدب الجاهلي ، قضايا وفنون ونصوص ، مؤسسة المختار ، القاهرة ، مصر ، ط1 ، 2001 ، ص 92.

وهي تشير إلى النّفس الأمّارة بالسّوء التي قال عنها تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓ ۚ إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾[1] . وهي التي تنهض للانتصار بحولها واحتيالها وعزّة سلطانها دون الرّجوع إلى بارئها الذي تولّى الدّفاع عنها إنْ هي أتته طائعة مؤمنة غير متكبرة لقوله تعالى :﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾[2] .

فهذه الحجج تعمل متعاضدة على التّأثير في المتلقّي وإقناعه بعدم التحرّك بالشّرّ لمن آذاه ، لأنّه إن لم يتجنّب ذلك أصبح من الجاهلين الذين يجب الإعراض عنهم لقوله تعالى : ﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾[3] .

كما أنّ هذا النّوع من تكرار المضمون " يبدو آليّة أساسيّة من آليّات تشديد المعنى وإقناع المستَقْبِل " [4] . فمثلا في قوله عن نعم الله الظاهرة والباطنة ، الحسية والمعنوية.. كرّر الشّيخ المعنى أكثر من مرّة لتنبيه المتلقي بنعم الله المتعدّدة عليه ، والتي لا تُعدّ ولا تحصى لقوله تعالى : ﴿ وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾[5] ..... [6] .

وكذلك لتشديد المعنى من أجل استشعار المتلقي لأنعم الله عليه في نفسه ومن حوله في الطّبيعة وفي الكون ، لاستنهاض همّته وإرادته للقيام بالشّكر الذي تستوجبه منه النّعم ولو بأقل قليل المتمثل في شكر اللسان .

---

[1] سورة يوسف ، الآية 53 .

[2] سورة الحج ،الآية 38 .

[3] سورة الأعراف، الآية 199 .

[4] محمد العبد ، النص الحجاجي العربي ، ص 722 .

[5] سورة النحل ، الآية 18 .

[6] أحمد مختار عمر ، علم الدلالة ، عالم الكتب ، القاهرة ، ط 5 ، 1998 ، ص 222 .

أما **النوع الرابع** والأخير فهو تكرار المضمون على مستوى الجمل والعبارات، ويسمّى أيضا بالتّعبير المماثل أو الجمل المترادفة ، وذلك حين تملك جملتان المعنى نفسه . وقد جاء في المرتبة الثانية بتواتر بلغ (11) مرة ، ومن أمثلة ذلك :

. فعليه بالهرب إن قدر ، والخروج عن مكانه ، وإن عوّقت العوائق عن الارتحال . . الرّجوع إلى الله بالهرب والالتجاء إليه ، وتتابع التضرّع والابتهال لديه ، والاعتراف بعجزه وضعفه .

وظّف الشّيخ أحمد التّيجاني هنا تكرار المضمون على مستوى الجمل للتّوضيح والشّرح أي أنّ الجملة الثانية شرح للأولى وتوضيح لها ، ففي المثال الأوّل ، الجملتان ؛ الثانية والثالثة شرح الأولى ؛ حيث ذكر الشّيخ أنّ من كثر عليه الشّرّ يهرب منه (**فعليه بالهرب**) ، ثمّ جاءت الجملة الثانية توضّح كيفيّة الهرب ، وهي لا تعني الهرب من الشّخص بل الخروج من المكان الذي يوجد فيه صاحب الأذى ، ثم تلتها الجملة الثالثة لتزيد من التّوضيح بذكر الارتحال ، أي الارتحال عن المنطقة أو المدينة تفاديا للتّواجه والتّصادم.

وفي المثال الثاني توضّح الجملتان الثانية والثالثة الجملة الأولى ، أي كلاهما توضّحان كيفيّة الهرب إلى الله ، فالجملة الثانية توضّح ذلك بضرورة التضرّع ، والأخيرة تزيد في درجة الوضوح بضرورة التذلل في حضرته .

وذلك مراعاة لجميع المخاطَبين لأنّ العقول تتباين في الفهم والإدراك ، وبالتالي تتفاوت في درجات الإقناع ، فهناك من يفهم بالإشارة ويتأثّر لأوّل وهلة ويقنع بأوّل حجّة، وهناك من لا يفهم ولا يقنع إلا بعد تأكيد وشرح وتوضيح ، فالمستويات العقليّة والفكريّة تختلف اختلافا كبيرا .

وخلاصة القول: إنّ التّكرار الذي وظّفه الشّيخ أحمد التّيجاني بنوعيه الاثنين (الخاص بالشّكل والخاص بالمضمون) ليس من التّكرار " المولّد للرّتابة والملل أو التّكرار المولّد للخلل والهلهلة في البناء ، ولكنّه التّكرار المبدع الذي يدخل ضمن عمليّة بناء النّص أو الكلام بصفة عامة ، إنّه التّكرار الذي يسمح لنا بتوليد بنيات لغويّة جديدة باعتباره أحد ميكانيزمات عمليّة إنتاج الكلام ، وهو أيضا التّكرار الذي يضمن انسجام النّص وتوالده وتناميه " [1] بصورة تدريجيّة منظّمة تجذب المتلقي وتثير انفعاله وتدفعه لتبنّي العمل أو القيام به .

[1] أبوبكر العزاوي ، الخطاب والحجاج ، الأحمدية للنشر ، المغرب ، ط1 ، 2007 ، ص 48 .

إن تكرار وحدات متنوّعة في كامل النص إذن جعل المتلقي متواصلا معه ، مشدود التّركيز من بدايته إلى نهايته وهذا يمثّل طاقة حجاجيّة تقود المتلقي إلى الإقناع وتساند الشّيخ أحمد التّيجاني في مرماه السّاعي إلى التّغيير .

ج . الازدواج :

يعدّ الازدواج من الوسائل اللغويّة التي ترفد الحجاج وتعضده ، وتساند المتكلم في إقناع المخاطَب من خلال التّأثير السّمعي والعاطفي عليه ، وذلك "لجمال وقعه في الأذن والنّفس للانسجام الصّوتي والتّناغم بين الأصوات والكلمات "[1] .

وللازدواج أنواع كثيرة ذكرناها في الجزء النّظري . وبعد القيام بعمليّة إحصاء لهذه الأنواع في الرّسالة حصلنا على النّتائج المبيّنة في الجدول أدناه :

نـوع الازدواج	عـدده
النّـوع الأوّل	06
النّوع الثانـي	07
النّوع الثالـث	02
النّوع الرابـع	08
النّوع الخامـس	07

من خلال الجدول يتّضح أنّ الشّيخ أحمد التّيجاني وظّف أغلب أنواع الازدواج سنعرضها مع أمثلة من الرّسالة :

النّوع الأوّل : التّوازن بين الأجزاء بالاتّفاق التّام في وزن الوحدات وعددها وهيئة ترتيبها . وقد تواتر هذا النّوع في الرّسالة (6 مرّات) ، ومن أمثلة ذلك :

[1] نوال لخلف ، الانسجام في القرآن الكريم ، سورة النور أنموذجا ، رسالة دكتوراه، إشراف : محمد العيد رتيمة ، جامعة الجزائر 2007/2006 ، ص 199 .

وإمّا أن ينزل عليه اللطف العظيم أو الصّبر الجميل ، وإلا فالأبقع خير من الأسود ، سفك دمائهم ونهب أموالهم .

النّوع الثاني : التّوازن بين الأجزاء بالاتّفاق في وزن الوحدات اتّفاقا ناقصا والاتّفاق في التّرتيب والفاصلة . وقد بلغ تعداده في الرّسالة (7) مرّات ، ومن أمثلة ذلك :

. فطالت عليهم مكابدة الشّرور وحبسوا في سجن العذاب على تعاقب الدّهور .

. نهب أموالهم وهتك حريمهم .

. حرارة طبعه وظلمة جهله وعزّة نفسه .

. الوقوع في الزّنا ومدّ اليد بها في المعاملة بالرّبا .

النوع الثالث : التوازن في وزن الوحدات اتفاقا ناقصا ، والاتفاق في الفاصلة دون الترتيب جاء مرّتين ، من ذلك قوله :

.كان ثوابه المزيد من نعمه على قدر رتبته بحسب وعده الصادق .

النوع الرابع : التوازن بالاتفاق في الفاصلة دون سائر الملامح الأخرى جاء(8) مرات من ذلك قوله :

. الرّجوع إلى الله بالهرب والالتجاء إليه ، وتتابع التضرّع والابتهال لديه.

. إذا ألجأت الضّرورة واشتدّت الحاجة .

النوع الخامس : التوازن بالاتفاق الناقص في وزن الوحدات والاتفاق في الترتيب دون الفاصلة وعدده (7) مرات ، من ذلك قوله :

. بلاغا وسدّا للفاقة لا كسبا وتموّلا .

. فإن لم يقدر فالصّفح ... وإن لم يقدر فبالصّبر .

من خلال ما سبق نلاحظ أن حضور بنية الازدواج في رسالة الشّيخ أحمد التّيجاني يمثل نسبة قليلة بأنواعها جميعا وهذا يعني أن الشّيخ لم يهتم بالتّزيين اللفظي كما هي عادة القدامى في كتاباتهم النّثرية ، حيث لم يتوشّ خطابه بالعبارات والجمل الموزونة لدرجة التصنّع ، بل بما يكفي لأن يحدث " لحنا تطرب له الأذن وتستلذّه الأنفس" [1] ويستميل المشاعر والأحاسيس .

إنّ الكلمات والجمل الموزونة الموظّفة في الرّسالة لا تُفضي إلى التكلف ، بل توحي إلى أنّ الشّيخ لم يقصد اختيارها بل جاءت بشكل عفوي .

وخلاصة القول أنّ الكلمات والجمل المتوازنة في الرّسالة تقدّم طاقة إيقاعيّة ترفد الحجاج وتساهم في نجاحه كونها توفّر "مناخا موسيقيا يحرّك القلوب وتصفو له الأذان، حيث تتناسق المعاني والنّغمات والفكرة والجرس أحسن تناسق "[2] في الخطاب يخلق قدرا كبيرا من التّجانس بين الصّوت والمعنى ، بين جمال الإيقاع وجمال الفكرة يكون له الدّور الكبير في التّأثير على المتلقي لدرجة قدرته على تغيير المواقف والسّلوك أو حتى تغيير الأنفس وبنائها من جديد .

إلى جانب الوظيفة التّأثيريّة التي يؤدّيها الازدواج فإنّه يضطلع بوظيفة أخرى تتمثل في الوظيفة التذكّريّة التي أشار إليها (والتر أونج) في قوله : " ويميل التّفكير المطوّل ذو الأساس الشّفاهي . حتى عندما لا يكون في شكل شعري . إلى أن يكون إيقاعيّا بشكل ملحوظ لأنّ الإيقاع حتى من النّاحية الفسيولوجيّة يساعد على التّذكّر"[3] .

وهذا يعني أنّ الجوّ الموسيقي الذي تخلقه الكلمات والجمل الموزونة يسهّل تذكّر الخطاب بل حتى حفظه وتناقله بسهولة بين المخاطَبين ، وهذا يعضد الشّيخ في حججه أيضا لأنه يسعى إلى تبليغ رسالته إلى أكبر عدد من المتلقين وهذا لم يتحقّق كتابيّا بل شفويّا لأنّ الكتابة في عصره ليست كما هي عليه اليوم من اليسر والتطوّر . فالازدواج إذن أضفى على الخطاب إيقاعا وموسيقى أكسبته سهولة في التذكّر منحته انتشارا واسعا ، كما منحته تأثيرا بالغا على المخاطَبين .

---

[1] عيسى بن محمد بن عبد الله السليماني ، التكرار النصي عند أبي مسلم البهلاني ، ضمن كتاب لسانيات النص وتحليل الخطاب ، كنوز المعرفة عمان ، الأردن ، ط1 ، 2013 ، م 2 ، ص 975 .

[2] نوال لخلف ، الانسجام في القرآن الكريم ، ص 199 .

[3] أونج والتر ، الشفاهية والكتابية ، تر : حسن البنا عز الدين ، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، الكويت ، 1994 ، ص 94 .

2 . الوسائل البلاغيّة :

نعني بالوسائل البلاغيّة كل أساليب الكلام التي يضمّها باب البلاغة ، والتي تمكّن من أداء المعنى بوضوح وفصاحة وإيجاز لأنّ البلاغة عند العرب " إصابة المعنى وحسن الإيجاز" [1] ، وهذا لا يعني أنّ البلاغة تقصي الإطناب أو التّطويل في الكلام ولكنّها تضع له شرطا يتمثل في كون الكلام لا يخرج إلى حدّ الخطل والسّأم أي أنّها تشترط " الإيجاز من غير عجز والإطناب من غير خطل "[2] ، أي كلام " قليل يفهم وكثير لا يسأم "[3] .

لكننا هنا لسنا في حاجة إلى استعراض الأساليب البلاغيّة كلها ، بل سنكتفي بدراسة تلك المتوفرة في الرّسالة والتي تضطلع بدور حجاجي مهمّ في الإقناع والتّأثير . وقد ذكرناها في الفصل النظري وهي : الاستعارة ، التّمثيل الطباق .

أ . الاستعارة :

إن الاستعارة التي نحن بصدد دراستها في هذا الجزء من البحث ، ليست هي الاستعارة الشعريّة الخاصّة ، بل نركّز على الاستعارة الحجاجيّة ، وربّما الفرق بين الاثنين يكمن في الغاية فغاية الأولى جماليّة تتوقف وظيفتها عند تزيين الكلام وتوشية القول فقط ، بينما الثانية تتعدّى الوظيفة الجماليّة ، بل تستخدمها كوسيلة لوظيفتها الأساسيّة وهي الوظيفة الإقناعيّة . إذن الاستعارة الحجاجيّة هي التي تسعى إلى إحداث تغيير في الفكر والمواقف .

وإذا انتقلنا إلى الرّسالة التي بين أيدينا للدّراسة نجد أن الشّيخ أحمد التّيجاني وظّف الاستعارة بشكل ملحوظ ، وذلك خدمة لمسعاه الإقناعي ، لأنّ الحجج التي يعضد بعضها البعض قد لا تحدث قبولا عند المتلقي لكونها حججا متراكبة منطقية صارمة ، ولكنّها تحتاج إلى رونق وحلاوة لتحقيق نجاح باهر وإقناع ساطع .

---

[1] الحسن ابن رشيق ، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده ، تح :محمد محي الدين عبد الحميد ، دار الجيل ، بيروت ، ط5 ، 1981 ، ج1 ص 242.

[2] المرجع نفسه ، ص 242 .

[3] المرجع نفسه ، ص 252 .

إذ أنّ الكلام " لا يُحبّب إلى النّفوس بالنّظر والمحاجّة ولا يُحلّى في الصّدور بالجدال والمقايسة وإنّما يعطفها عليه القبول والطّلاوة ، ويقرّبه منها الرّونق والحلاوة وقد يكون الشّيء متقنا محكما ولا يكون حلوا مقبولا ، ويكون جيّدا وثيقا وإن لم يكن لطيفا رشيقا "[1] . فجمال القول له وقع جميل في النّفس وتأثير بليغ فيها .

سنتطرّق إلى ذكر بعض الأمثلة في الرّسالة.

من ذلك قول الشّيخ أحمد التّيجاني: **فمن تمنّى بقلبه أو أراد تحريك الشّرّ منه على النّاس** .

هنا يصوّر الشّيخ الشّرّ على أنّه كائن حي قادر على الحركة ، حيث استدل بالشيء المحسوس على المعنى المعقول وذلك لتوضيح الصورة أكثر للمتلقي حتى يفهم ويدرك معنى الشّرّ لأنّ "أولى عمليّات الاستعارة عامّة إدراك حال الأشياء ، وهو ما يوصل إلى العمليّة الثانية المتمثلة في بناء تمثيليّة ذهنيّة لهذا المدرك " [2] . وهنا تتم العمليّة التصوّريّة حيث يظهر الشّرّ مُشَاهَدا محسوسا في هيئة عدوّ ساكن ، قابع لا يتحرّك والمتلقي في أَمْنٍ منه ، ولكن إن أراد أو تمنّى بقلبه فقط لمسه فإنه يتحرّك نحوه بحيث لا يقدر على الخلاص أو الفرار منه .

وهذه الصّورة المشاهدة التي أفادتها الاستعارة لها تأثير قويّ في تحريك النّفس وتَمَكُّن المعنى في القلب ، ما يدفع بالمتلقي إلى القيام بالفعل الذي أراده الشّيخ وهو اجتناب تحريك الشّرّ لأجل أَمْنِه وسلامته .

وفي قوله أيضا : **وإمّا أن ينزل عليه اللطف العظيم أو الصّبر الجميل** .

يُصوّر الشّيخ اللطف والصّبر كالمطر أو الغيث التي تنزل من السّماء لتروي الأرض وتسقي الحرث ويعمّ خيرها بعد حين ، كذلك اللطف أو الصّبر ينزل بالمؤمن ليطفئ نار الغضب داخله التي تحدثها إساءة الآخر وليعيش في اطمئنان دون ألم ، وليطفئ نار الفتنة بين النّاس وفي أوساط المجتمع ليعمّ السلام ، ويجني خير هذا اللطف والصّبر كذلك بنجاته من الألم والعذاب الذي قد يحسّه غيره .

---

[1] علي بن عبد العزيز الجرجاني ، الوساطة بين المتنبي وخصومه ، تح وشرح : محمد أبو الفضل إبراهيم ، علي محمد البجاوي ، ط04 ، 1966 ، ص 100 .

[2] أسماء جموسي عبد الناظر ، الاستعارة التصورية ومنزلتها في تحليل الخطاب النقدي العربي القديم ، ضمن كتاب لسانيات النص وتحليل الخطاب ، م 2 ، ص 760 .

فالشّيخ أتى بهذه الصّورة ليثبت للمخاطب " أمرا عقليّا صحيحا ويدّعي دعوى لها شبح في العقل " [1] . أي صورة مشاهدة في العقل والقلب معا ، وهذه الصّورة تحفّزه للإسراع إلى المبادرة بالفعل وتغيير سلوكه حسب مراد الشّيخ وهنا يظهر مدى نجاح الحجاج.

وفي قوله : **حتى يَرِدَ عليه الفرج من الله تعالى** .

يصور الشّيخ أحمد التّيجاني الفرج وَارِدًا يَرِد إلى المخاطب كأنّه زائرٌ قادمٌ يدخل عليه أو هادفٌ يصل إليه ليجعله في حالة تأهّب وانتظار لاستقباله ، وهنا يظهر تضافر الوظيفة الجماليّة مع الوظيفة الحجاجيّة .

فالجمال يظهر في المزج بين الرّوحي والمادّي ، بين الحسّي والظاهري ، بين العقل والقلب فالفرج وارد إلهي لا ينظر إليه بعين الرّأس ولكن يُرى بنور البصيرة التي في القلب ، والإقناع يظهر في تصوير الوارد كزائر مفاجئ يأتيك بغتة بعد طول غياب واشتياق أعطى للعقل صورة متخيّلة تجعله يدرك المعنى الذي رام إليه الشّيخ .

وهنا تظهر براعة التّصوير ، وتتجلّى في " امتزاج واندماج وَاقِعَين في مستوى إدراك تجربة جديدة يعيشها المتلقي " [2] ، وَاقِع الحياة اليوميّة المعيشة بالجسد (استقبال الضّيف وانتظاره) وواقِع الحياة الروحيّة المعيشة حقيقة (انتظار الوارد الإلهي واستقباله) في تفاعل وتناغم للتّأثير في المخاطَب كليّا في عقله وقلبه وكل كيانه حتى يتغيّر فكريّا وسلوكيّا .

ويقول أيضا : **إنّ الكيّس العاقل إذا انصبّ عليه الشّرّ من النّاس رآه تجليا إلهيّا لا قدرة لأحد عل مقاومته إلا بتأييد إلهي** .

قدّم الشّيخ أحمد التّيجاني هنا استعارتين اثنتين :

أمّا الأولى ففي قوله : إذا انصب عليه الشّرّ . يصوّر الشّرّ كالماء أو كالوابل الذي ينصبّ دون انقطاع .

وأمّا الثانية ففي قوله : رآه تجليا إلهيّا . أي رأى الشّرّ ، وهو لا يُرى في الحقيقة ولكن صوّره الشّيخ على أنّه مرئي ليفتح " إلى مكان المعقول من قلبك بابا من العين "[3] .

---

[1] عبد القاهر الجرجاني ، أسرار البلاغة ، ص 238 .

[2] أسماء جموسي ، الاستعارة التصورية ومنزلتها ، ص 764 .

[3] الجرجاني ، أسرار البلاغة ، ص 108 .

وظّف الشّيخ الاستعارة " لجعل الغائب مُشاهدا ولإظهار المجرّد في شكل المحسوس ولتقوية الشّعور لدى المتلقي بحضور الأشياء من أجل حمله على الاقتناع وللتّأثير فيه" [1] لما للاستعارة من "قوّة تصوّريّة وقدرة على الاستحضار وخاصّيّة الحيويّة "[2] .

هذا يعني أنّ المخاطَب يستحضر في ذهنه صورة الشّرّ المنصبّ عليه بصورة الماء المنهمر الذي لا يتوقّف حتى يؤدّي به إلى الهلاك كما حدث لقوم سيّدنا نوح – عليه السّلام – يقول تعالى :﴿ فَفَتَحْنَآ أَبْوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ بِمَآءٍ مُّنْهَمِرٍ ﴾[3] .

هذا بالنسبة للصّورة الأولى أما الثانية فالمتلقي ينظر إلى الشّرّ بقلبه على أنّه تجلّ إلهي، أي أنّه من عند الله بلاء ومحنة ليختبر صدق إيمانه وإخلاص نيّته، ومدى تقواه، وليس الشّرّ من عند فلان . لأنّ الدّنيا دار فتنة خلقها الله لامتحان عباده فيها ، ولمكافأتهم أو معاقبتهم على حسب نجاحهم أو خسارتهم في هذا الامتحان . يقول تعالى : ﴿ وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ ﴾[4] .

فهذه الاستعارات التي صوّر الشيخ فيها معاني مجرّدة بصور حسّية (الشّرّ ، الصّبر ، اللطف الفرج ، رؤية التجلّي الإلهي) تعمل متعاضدة مع بعضها البعض ، ومترابطة بشبكة من العلاقات المختلفة لتخدم فكرة حجاجيّة واحدة وهي إقناع المخاطَب بالقيام بالفعل بجسده وروحه معا ، لأن الرّوح والجسد وجهان لعملة واحدة ، فلا يمكن للجسد القيام بالعمل ظاهريّا بعيدا عن الرّوح ، ولا العكس ، بل لابدّ من تضافر العمل الباطني والظّاهري مع بعضهما البعض في الحياة اليوميّة .

---

[1] عبد الله صولة ، الحجاج في القرآن ، ص 495 .

[2] أسماء جموسي ، الاستعارة التصورية ومنزلتها ، ص 766 .

[3] سورة القمر ، الآية 11

[4] سورة الأنعام ، الآية 65 .

وهنا تظهر فعّالية الاستعارة وقوّتها الحجاجيّة إذ تمثل أبلغ وأقوى الآليّات اللغويّة في التّأثير والإقناع لأنّها أدعى من الحقيقة " لتحريك همّة المرسَل إليه ، إذ تهدف إلى تغيير المقاييس التي يعتمدها المرسّل إليه في تقويم الواقع والسّلوك وأن يتعرّف على ذلك من المرسِل ليكون سبب القبول والتّسليم "[1] .

فالشيخ صوّر للمخاطَب واقعا جديدا يندمج فيه العقل مع القلب ، الجسد مع الروح الفكر مع العمل ، حيث " أعطى للحاجات الرّوحية الأهمّيّة في كل فعل ، وأضفى عليها معنى جوهريّا في رؤية العالم وتصوّر الحياة الاجتماعية "[2].

إذن فهو لم يوظّف الاستعارة لتزيين خطابه ، ولا للمتعة وحدها ، ولا لإثبات مهارته اللغويّة إنما كان يهدف بها إلى توجيه الفرد المسلم وتغيير سلوكه ، وذلك للدور الذي تلعبه الاستعارة " في تحقيق الإثارة وفي إحداث انفعال معيّن لدى المتلقي بفضله يستجيب لفحوى الخطاب ويتهيّأ لقبول نتائجه والتّسليم به " [3] .

وهنا تظهر أهمّيّة الاستعارة في الكلام وفضلها في إبراز المعاني والكشف عنها. وفي ذلك يقول الجرجاني : " من الفضيلة الجامعة فيها أنّها تبرز هذا البيان أبدا في صورة مستجدّة تزيد قدره نبلا وتوجب له بعد الفضل فضلا ... تعطيك الكثير من المعاني باليسير من اللفظ ... فإنك لترى بها الجماد حيّا ناطقا ، والأعجم فصيحا والأجسام الخرسة مبيّنة والمعاني الخفيّة بادية جليّة .... إن شئت أرتك المعاني اللطيفة التي هي من خبايا العقل كأنها قد جسّمت حتى رأتها العيون "[4] .

وأخيرا يمكن التأكيد على اقتران الجمال بالإقناع ، واستحالة الفصل بينهما ، فالمعنى يكون مقنعا ولكنه يحتاج إلى جمال يوشيه ويحفظ له رونقه ، ويدعّم فعله ، والمعنى يكون جميلا فتزداد قدرته على الفعل في المتلقي من كان مقنعا [5].

---

[1] عبد الهادي بن ظافر الشهري ، استراتيجيات الخطاب ، ص 496 .

[2] عبد الحفيظ غرس الله ، التصوف الإسلامي والغيرية ، ص 37 .

[3] سامية الدريدي ، دراسات في الحجاج ، ص 131 .

[4] عبد القادر الجرجاني ، أسرار البلاغة ، ص 33 .

[5] هشام فروم ، تجليات الحجاج في الخطاب النبوي ، ص 191 .

ب . التمثيل :

يعدّ التّمثيل أحد الوسائل البلاغيّة التي يتوسّل بها المتكلم للوصول إلى أهدافه الحجاجيّة لما له من قدرة على الإقناع من خلال الفعل بجماله والتّأثير في المتلقي بسحره . حيث يقول السّيوطي : " فبحسن الألفاظ واختلافها على المعنى الواحد ترصّع المعاني في القلوب ، وتلتصق بالصّدور ، ويزيد حسنه وحلاوته وطلاوته بضرب الأمثلة والتّشبيهات المجازيّة "[1] .

كما أنه من وجهة نظر التّربويّين شحذ لهمّة المتلقي واستنهاض لعقله ، ودفع له إلى التّفكير والتّأمل فيما بين الصّورتين المعقودتين من شبه ، وتدريب له على التّفكير السّليم بربط الأسباب بمسبّباتها والنتائج بمقدّماتها .

من أجل هذه الفوائد وغيرها استخدم الشّيخ أحمد التّيجاني التّمثيل والتّشبيه في رسالته بغرض التّأثير في مخاطَبه وإقناعه بما يذهب إليه ، ومن أمثلة ذلك قوله :

لا تتمنّوا لقاء العدو ، وهذا وإن ورد في ميادين الجهاد في قتال الكفّار فهو منقلب في هذه الأزمنة في الصّفح عن شرّ النّاس .

فالشّيخ هنا يعقد صلة وعلاقة بين لقاء العدوّ في ساحة القتال ومقابلة شرّ النّاس في الحياة اليوميّة ولقد زاد هذا التّشبيه المعنى المراد وضوحا وجمالا ؛ إذ أنه شبّه الأمر المعقول وهو الصّفح عن الشّرّ بأمر محسوس وهو قتال العدوّ. أي أن الشّرّ عدوّ متربّص بالمتلقي ينتظر الفرصة للفتك به والتخلص منه ، ولذا فعليه أن لا يتمنّى لقاءه وإن لقيه يصبر .

إن تصوير الأمر بهذه الصّورة الحسّية البديعة يترك في نفس السّامع أثرا حيّا يدرك به أهمّيّة الابتعاد عن الشّرّ وضرورة المبادرة بالصّفح والعفو لكل من ابتدأ بالشّرّ وعدم مقابلة ذلك بالمثل .

ومن الأمثلة أيضا قوله :

[1] جلال الدين السيوطي ، المزهر في علوم اللغة وأنواعها ، تح : محمد أحمد جاد المولى ، دار الفكر ، بيروت ، ج1 ، ص 37 ، 38 .

فنهضوا في مقابلة الشّرور بحولهم واحتيالهم ، وصولة سلطان نفوسهم ، فطالت عليهم مكابدة الشّرور وحبسوا في سجن العذاب على تعاقب الدهور .

يشبّه الشّيخ أحمد التّيجاني المتلقي الذي يقابل الشّرّ بالشّرّ بحيث تتراكم عليه الشّرور وتتعاظم بالمحبوس في السّجن الذي يتعرّض لأسوأ أنواع العذاب . وقد قدّم الشّيخ هذه الصّورة الجميلة لتحريك إحساس المخاطَب ولإيقاظ عقله باستحضار صورة المحبوس الوَاقِع تحت قهر التّعذيب والتّنكيل ، فكيف يكون إحساسه وشعوره ؟ بل كيف تكون حياته ؟ إحساس بالمرارة وشعور بالألم والغربة ، وحياة لا يبدو لها أوّل من آخر، ليلها كنهارها وصبحها كمسائها ، تأخذه رغبة جامحة في الخروج من هذا السّجن والتّخلص من هذا العذاب ، والعيش خارجه بهناء وسعادة .

فهذا التّشبيه استدعاه الشّيخ لـ " تقريب المراد للعقل وتصويره بصورة المحسوس " [1] . حيث رسم صورة دقيقة للمتلقي توضّح له حقيقة الشّرّ والوَاقِع فيه ، والمبادر به والمقابل له بالمثل ليدرك ضرورة اجتنابه عند وقوعه بالصّبر والتّضرّع إلى الله وبالصّفح عن أهله . لأنّه إن لم يفعل ذلك كان كالمحبوس المنتظر الخلاص .

إنّ ضَرْب الشّيخ للمَثَل كان عن قصد ووعي تام ، الغرض منه " تشبيه الخفي بالجلي والغائب بالشاهد " [2] لما له من وقع وتأثير قويّ في نفس المتلقي ، بل إن ضَرْبه أدعى للقيام بالفعل وتغيير السّلوك على حسب مراد المتكلم .

وخلاصة القول : إنّ ضَرْب الأمثال يستفاد منها أمور كثيرة منها : التّذكير والوعظ والحثّ ، والزّجر والاعتبار ، والتّقرير . وقد استخدمها الشّيخ أحمد التّيجاني على غرار تشبيهات القرآن الكريم وتشبيهات الحديث النبوي الشريف للتّوجيه والإرشاد . وهي تشبيهات تتّسم بالعموميّة بحيث يمكن لأي سامع أو متلقٍّ في أي زمان وفي أي مكان أن يفهمها ويعرف المقصود منها .

وهذا يدلّ على أنّ هذه الرّسالة وإن كانت موجّهة إلى أشخاص معيّنين فهي تتجاوزهم إلى مخاطَبين آخرين ، وما يؤكد ذلك قول الشّيخ : **وهذا الباب الذي ذكرناه كل الخلق محتاجون إليه في هذا الوقت** . فما أحوج النّاس في هذا الزّمن الذي تكاثرت فيه شرورهم وتزايد عذابهم أفرادا وجماعات لقراءة رسالة الشّيخ وفهمها وإدراك مقصده

---

[1] جلال الدين السيوطي ، الإتقان في علوم القرآن ،عالم الكتب ، بيروت ، دط ، دت ، ج2 ، ص 344 .

[2] المرجع نفسه ، ص 344 .

منها ، وتبنّي أفكاره وتجسيدها فعليّا ليتخلّصوا من سجون الشّرّ والعذاب وليعيشوا حياة هنيئة ،يقول تعالى: ﴿ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾[1] .

ج . الطباق :

يعدّ الطّباق إحدى المحسّنات البديعيّة التي يتوسّل بها المتكلّم لتبليغ خطابه ، لذا فهو لا يتوقّف دوره عند حدّ الوظيفة الشكليّة التي تزيّن الخطاب ، بل تتعدّاه إلى الوظيفة الإقناعيّة ، إذ أنّ له " دورا حجاجيّا لا على سبيل زخرفة الخطاب ولكن بهدف الإقناع والبلوغ بالأثر مبلغه الأبعد "[2] .

وقد وظّفه الشّيخ أحمد التّيجاني بكثرة في رسالته ، حيث تواتر (27) مرة) ، ومن أمثلة ذلك : **السّر والعلانية ، الرّضا والغضب، الغنى والفقر، ظاهرا أو سرّا، الدّنيا والآخرة الحسّيّة والمعنويّة، العاجلة والآجلة، عاجله وآجله ، الحرام والحلال ...**

من خلال هذه الأمثلة نلاحظ الاستعمال المكثّف لهذا الجنس البلاغي في الرّسالة وذلك راجع إلى أهمّيّته في عمليّة الإقناع والتّأثير " لما له من قوّة في استمالة المتلقّين عبر صوره الحسّية والمعنويّة التي تصوّر الواقع بمادّيّته أحيانا ، وتلامس المشاعر والعواطف أحيانا أخرى ، إضافة إلى وقعها الموسيقي وجرسها المتناغم الذي يشدّ الانتباه ، ويركّز تفكير المتلقّين على ما يقال "[3] .

إنّ استخدام الشّيخ أحمد التّيجاني لهذا المحسّن البديعي الذي كان جزءا من تركيب الكلام ونظمه "وسيلة من وسائل التّوصيل لأنّه يساهم في توضيح المعنى وتقويمه وخلق جوّ من التّأثير الإيجابي من خلال الإيقاع "[4] .

---

[1] سورة النحل ، الآية 97 .

[2] عبد الهادي بن ظافر الشهري ، استراتيجيات الخطاب ، ص 498 .

[3] هشام فروم ، تجليات الحجاج في الخطاب النبوي ، ص 193 .

[4] المرجع السابق ، ص 193 .

ومَا زاد في قيمة هذا الجنس البلاغي وجعل منه ظاهرة بلاغيّة في الرّسالة هو جريه على السّجيّة وحضوره بكل عفويّة دون تكلف أو تصنّع ما زاد في قوّة التّعبير وجماله قوّة زادت من القدرة الحجاجيّة للخطاب ورفعت نسبة الإقناع والتّأثير .

وخلاصة القول: إنّ الوسائل البلاغيّة الموظّفة في الرّسالة من استعارة وتمثيل وطباق تعدّ رافدا من الرّوافد العامّة للحجاج وفنّا من أفانين الإقناع ، وقد اعتمدها الشّيخ أحمد التّيجاني ليدعم حججه المنطقيّة وليخلق جوّا جماليّا تأثيريّا يغري المتلقي ويثيره ويحمله على الانتباه أوّلا فالإذعان والتّسليم ثانيا ، ثم العمل والتغيير ثالثا .

ففي الرّسالة ازدوجت أساليب الإقناع بأساليب الإمتاع ، لذلك فهي " أقدر على التّأثير في اعتقاد المخاطَب وتوجيه سلوكه لما يهبها هذا الإمتاع من قوّة في استحضار الأشياء ونفوذ في إشهادها للمخاطَب ، كأنّه يراها رأي العين "[1] .

استطاع الشيخ أن يجمع بين المقدرة البيانيّة وقوّة الإقناع في خطاب امتلك زمامه وتحكّم في وسائله ، خطاب اقترن فيه " قصد التّوجيه بقصد التّأثير والتّقويم الأخلاقي المقترن بالعمل "[2] .

إنّ الرّسالة نص يتداخل فيه الخطاب الحجاجي والخطاب الجمالي ؛ حيث "يتشكّل الخطاب الأوّل من بنيات حجاجيّة توخّت توصيل رسالة إلى المتلقي ولإقناعه بمحتواها ... ويشكّل الخطاب الآخر حقلا من الاستعارات والصّور البلاغيّة "[3] التي جعلت من النص أكثر إقناعا وتأثيرا ، فالإقناع يلزم مخاطبة العقل والقلب معا حتى يكون التّأثير أبلغ والعمل أسرع والتغيير أوضح .

لهذا فقد غلبت في رسالة الشّيخ أحمد التّيجاني الوظيفة التداوليّة العمليّة على الوظيفة الأدبيّة الجماليّة ، لأنّ الأدب الصّوفي أدب رسالي يهدف إلى التغيير ولا يهدف إلى الإمتاع فقط . وهو بهذا امتداد للخطاب القرآني والخطاب النّبوي الذي غيّر أمّة في زمن وجيز .

III. الوسائل المنطقية (بنية الحجاج):

[1] عبد الهادي بن ظافر الشهري ، استراتيجيات الخطاب ، ص 446 .

[2] آمنة بلعلى ، المنهج الأمثل للتواصل ، ص 232 .

[3] رشيد الراضي ، مفهوم الموضع وتطبيقاته في الحجاجيات اللسانية ، مجلة عالم الفكر ، ع2 ، ص 162 .

تضمّ كل الآليّات المنطقيّة والتّقنيّات العقليّة التي يستخدمها المتكلم في بناء حججه وبراهينه من أجل إقناع الآخر بصحّة أطروحاته وصدقها ، ودفعه إلى تبنّيها كأفكار ومعتقدات عقليّا ثم تجسيدها عمليّا .

وهذه الآليّات عديدة وقد تُوظّف كلها في خطاب واحد ، وقد يُكتفى ببعضها بحسب المتكلم وبحسب طبيعة خطابه . والرّسالة التي بين أيدينا يتوفّر فيها معظم هذه التّقنيّات لأنّ الشّيخ أحمد التّيجاني يسعى إلى إقناع الآخر بالأدلّة والحجج التي يقبلها العقل من أجل تغيير أفكار المتلقي وسلوكه عن رغبة ورضا ، لا عن قوّة وإرغام ، ولا عن تأثير عاطفي .

وفي هذا الجزء سنتبيّن كيف كان لحجج الشّيخ المنطقيّة وأدلته العقليّة قدرة إقناعيّة وتأثيريّة جعلت هذا الكمّ الهائل من المتلقّين يتبنّى أفكاره ويغيّر سلوكه ويدخل في طريقته .

ذكرنا آنفا في الفصل النظري التصنيف الذي سنعتمده في هذه المدوّنة ، وهو تصنيف (برلمان وتيتيكا) الذي استخرجه عبد الله صولة ، والذي كان يضم : حججا شبه منطقية حججا قائمة على بنية الواقع ، حججا مؤسسة لبنية الواقع .

1 . الحجج شبه المنطقية :

وتتمثل في حجة التقسيم أي تقسيم الكل إلى أجزائه المكونة له ، وتسمّى أيضا حجّة التّوزيع وهي من الحجج شبه المنطقيّة التي تعتمد العلاقات الرّياضيّة وتتمثّل في " تصوّر الكلّ على أنّه مجمل أجزائه " [1] . أي أنّ المتكلم يذكر حجّته كليّة ثم يعيدها بشكل آخر من خلال تعداد أجزائها المكوّنة لها ، وذلك لزيادة قوّتها الحجاجيّة وتقوية حضورها في ذهن المتلقي وبالتالي إقناعه ، لأنّ الهدف والغاية الأساسيّة من هذه الحجج " حسب (برلمان) البرهنة على وجود المجموع ومن ثَمّة تقوية الحضور augmenter la présence بمعنى إشعار الغير بوجود الشّيء موضوع التّقسيم من خلال التّصريح بوجود أجزائه "[2] .

[1] عبد الله صولة ، الحجاج أطره ومنطلقاته ، ص 331 .

[2] المرجع السابق ، ص 331 .

والمتأمّل في رسالة الشّيخ أحمد التّيجاني يجد أنّه استخدم هذه التّقنيّة بشكل لافت للنّظر ومن ذلك قوله : **إنه لو فزع إلى الله ...فيكون مثابا دنيا وأخرى ، أما ثواب الدنيا ...وأما ثواب الآخرة ...** .

فقد قدّم الشّيخ للمخاطَب حجّة كليّة في حال اجتنب مقابلة الشّرّ بالشّرّ وتوجّه إلى الله. وتتمثّل هذه الحجّة في الثّواب الذي يناله جزاء فعله دنيا وأخرى ، وهي بصفة عامّة جاءت لتؤكّد للمتلقّي حصول الثّواب جزاء القيام بفعل اجتناب الشّرّ. ثم قام الشّيخ بإحصاء أجزائها

المكوّنة لها إحصاء دقيقا، وهنا يظهر مدى نجاعتها لأنّ " هذا الصّنف مقنعا في ظاهره لصبغته الرّياضيّة الواضحة " [1] .

قدّم الشّيخ حججا ثانويّة (**أما ثواب الدنيا وأما ثواب الآخرة**) لتوضيح الحجّة الكليّة ولزيادة قوّتها الإقناعيّة . فالتّقسيم هنا يُغري المخاطَب ويدفعه للقيام بالفِعْل لأنّه بطبيعة الحال إمّا أن يطمع في ثواب الدّنيا ويريدها ، وإمّا أن يطمع في ثواب الآخرة ويسعى إليه وإمّا يريدهما معا . ولهذا فإنّه إذا أراد النّصر على الأعداء في الدّنيا وحسن العاقبة ابتعد عن المبادرة بالشّرّ ابتعاده عن الأسد ، وإذا أراد الفوز بما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر يفعل ذلك أيضا ، وإذا أراد النّصر في الدّنيا والفوز في الآخرة فيسرع إلى ذلك أيضا .

وبهذه الحجج يسدّ الشّيخ " على المتلقي منافذ كل حجاج مضادّ " [2] . بل يظهر هنا عمق توجيهه وقدرته على محاصرة المتلقي ليسلّم لما يقول دون اعتراض ، ويسرع إلى اجتناب الشّرّ وأهله دون تمهّل .

ومن ذلك أيضا قوله : **والشّكر يكون في مقابلتها بطاعة الله تعالى ... وأقل ذلك شكر اللسان** .

يوجّه الشّيخ أحمد التّيجاني المخاطَب إلى شكر الله تعالى وحجّته في ذلك أن الله هو المنعم ولذا وجب شكره ، والعقل يسلّم بذلك فكل من أحسن إليه حتى من بني البشر وجب شكره ، ثم يدعم حجّته الكبرى بحجج صغرى تشترك معها في نفس القيمة فيذكر أن طاعة الله طاعة كليّة هي شُكْر ، كذلك طاعته وإن كانت جزئيّة فهي شُكْر أيضا وشكر اللّسان شكر كذلك ، وإن كان هناك تفاوت بينهم ، فالمخاطَب سواء أوقع اختياره على " الأولى أو

[1] سامية الدريدي ، الحجاج في الشعر ، ص 207 .

[2] سامية الدريدي ، دراسات في الحجاج ، ص 74 .

الثانية يصل إلى الفكرة نفسها أو الموقف ذاته ، وذلك ... لأنّهما تقودان إلى النّتيجة ذاتها " [1] . وهي الشّكر أي شكر الله على نعمه إلا أنّ " الأجزاء لا تعبّر في كل الحالات وبدقّة عن الكل "[2] .

وتقسيم الكل إلى أجزاء يوظّف للإحاطة بالموضوع ولصرف نظر المستمع عن البحث والتقصّي وقد اعتمده الشّيخ عن قصد لإقناع المتلقي بالقيام بالفعل لأنّ شكر اللسان وإن كان من الشّكر فإنّ له نفس القيمة ، وهو بسيط يجذب المتلقي لفعله على عكس الطّاعة الكليّة التي قد تكون صعبة التحقق إلا على الأنبياء أو الأولياء والصالحين . لهذا فإن المتلقي يذعن للشّيخ ويبادر بشكر الله على نعمه بلسانه .

ثم يواصل في تقسيم الكلام فيقسّم شكر اللسان أيضا فيقول : **وليكن ذلك بالوجوه الجامعة للشّكر ، فأعلى ذلك في شكر اللسان تلاوة الفاتحة** . فالأقسام هنا أخّرها الشّيخ رغبة منه في البدء بذكر أعلاها لأنّ العقل يسعى للأفضل دائما ويحبّ الأكثر درجة فالشّيخ احتجّ بها لإقناع المتلقي ولتحفيزه على فعلها لعظمة أجرها .

ثم يذكر الأقسام الأخرى فيقول : وأما وجوه المحامد الجامعة فهي كثيرة ... فهي كلها تشترك في نتيجة واحدة وهي شكر اللسان ، فقراءة الفاتحة بنيّة الشّكر وقراءة أدعية الحمد بنيّة الشكر كلها تمثل شكر اللسان ، إلا أنها تختلف في الدرجة فأحدها أعلى من الآخر في الثّواب والأجر والفاتحة هي الأعلى لأنّها السّبع المثاني وفاتحة الكتاب .

وخلاصة القول: إن الشّيخ أحمد التّيجاني استخدم حجّة التّقسيم بشكل واضح لـ :

. تمثيل الشّيء أمام المخاطَب بكل أجزائه ليقوّي حضوره أمامه كما ذكر (برلمان) لتحقيق الإقناع والتّأثير بصورة أقوى وأسرع كما في مثال الثّواب .

. الإحاطة بالشّيء من جميع جوانبه كما في قوله : **نعمه الظاهرة والباطنة** ... حيث أحاط بنعم الله من كل جهة حتى يقنع المخاطَب بأن نعمة واحدة من هذه النعم تستحقّ الشّكر فما بالك بها كلها مجتمعة ، وليزيد قوّتها الحجاجيّة فتدفعه للعمل المباشر لأنّ بتعديد الشّيخ لأجزاء النّعم يقول له : إذا كانت نعمة واحدة توجب شكر

[1] برلمان وتيتكا ، مصنف في الحجاج ، ج1 ، ص 318 ، نقلا عن : سامية الدريدي ، الحجاج في الشعر ، ص 209 .

[2] المرجع نفسه ، ص 207 .

اللسان ، وهذه النعم كلها ألا توجب الشّكر بكل أنواعه ، شكر اللسان ، وشكر الجسد بالطّاعة ، وشكر العقل بالتّفكر، والتّأمّل وشكر الرّوح بالمشاهدة .

فهذه الحجّة . حجّة التّقسيم . تزيد من قدرة الشّيخ أحمد التّيجاني الحجاجيّة وتبعث الثّقة في نفس المخاطَب لأنّه لا يجد في كلامه خللا أو نقصا ، وبالتالي يذعن له ويبادر للقيام بالفعل .

. يعتمد التّقسيم الإحصاء والاستقصاء ، وكلها طرق توحي بالصّحة والصّدق وتحقيق نتائج إيجابيّة .

. اعتماد الشّيخ أحمد التّيجاني للتّقسيم يعكس رغبته الملحّة في إقناع الآخر وتغيير سلوكه .

2 . الحجج القائمة على بنية الواقع :

هي حجج اتّصالية قائمة على الرّبط والوصل بين الوقائع أو الحقائق أو الافتراضات ومن ضروب الاتّصال أو التّرابط بين هذه الآراء والأحكام : الاتّصال التّتابعي ، الاتّصال التّواجدي .

أ . الاتّصال التّتابعي (روابط التّتابع) : Liaison de succession

وهو "الذي يكون بين ظاهرة ما وبين نتائجها أو مسبّباتها "[1] .

أ . 1 . الحجّة السّببيّة : ولها ثلاثة ضروب :

. حجاج يرمي إلى الرّبط بين حدثين متتابعين بواسطة رابط سببي .

. حجاج يرمي إلى أن يستخلص من حدثٍ مَا وَقَعَ سَبَبٌ أحدثه وأدّى إليه .

. حجاج يرمي إلى التّكهّن بما سينجرّ عن حدثٍ مَا من نتائج .

لهذا فالرّابط السّببي يكون فيه المرور في الاتجاهين : من السّبب إلى النّتيجة ومن النّتيجة إلى السّبب .

عند النّظر إلى الرّسالة التي بين أيدينا للتّحليل نجد أنّ الشّيخ أحمد التّيجاني استخدم الحجج الأقدر على الفعل والتّأثير ومن ذلك الحجّة السّببيّة التي كان استخدامها بشكل كبير ، وذلك لأنّ العقل كثير الشّكوك والتّساؤل ، فلا

[1] عبد الله صولة ، الحجاج أطره ومنطلقاته ، ص 332 .

يذكر له شيء إلا سأل : لماذا؟ فجاءت الحجّة السّببيّة لتسدّ منافذ الشّك ولتفتح باب اليقين أمام المخاطَب الذي يدفعه للقبول والإذعان .

ومن أمثلة هذه الحجّة : **فإن لم يقدر فبالصّفح والعفو عنهم إطفاء لنيران الفتنة** .

إنّ تحليل القول يؤدّي إلى هذه البنية المنطقيّة :

تصفح عن الذي تحرك عليك بالشر لتطفئ نار الفتنة .

فالنّتيجة الحاصلة من الصّفح عن أهل الشّرّ هو القضاء على الفتنة وإنهاء شرورها .

فالشّيخ هنا يوضّح للمخاطَب النّتيجة التي سيحصل عليها إن هو قام بفعل (الصّفح) وهي تتمثل في القضاء على الفتنة وإخمادها في المهد وهي نتيجة يطمح إليها كل إنسان فمَنْ منّا لا يريد العيش في أمن وسلام ؟

وكذلك قوله : **فإن لم يقدر فبالصّبر لثبوت مجاري الأقدار** .

هنا يرمي الشّيخ بحجّته إلى استخلاص سبب هذه الشّرور حتى يحقّق نجاح خطابه، فكما يقال إذا عُرف السّبب بطل العَجب . فالشّيخ يوجّه مخاطَبه إلى الصّبر عن كل من آذاه وبادره بالشّرّ .

وهو لم يكتف بالتّوجيه بل قدّم حجّة لإقناع مخاطَبه . فكأنّ حال المخاطَب يقول : لماذا أصبر؟ لما لا أنتصر لنفسي وأبادره بالمثل ؟

فتأتي الحجّة لتثبت له بأنّ هذه هي المشيئة الإلهيّة والقدر الإلهي ، ولا يمكن لأي مؤمن أن يعارض قضاء الله وقدره . وهذه الحجج تمثل علاجا سيكولوجيّا للمخاطَب لأنّه يحرّره " من أمراضه العضويّة والنّفسيّة مزدوجة ويُخرجه من عزلته الاجتماعيّة ويداويه من القلق والكآبة والوحدة والاغتراب الذّاتي والمكاني " [1] . لأنّ المخاطَب لما يجتنب الشّرّ فإنّه لا يعادي الظالم بل يحسن إليه أو يعفو عنه أو يعرض عنه ، وهذا يمثل علاجا للمشاكل الاجتماعيّة التي تؤدي إلى التّباغض والتّنافر والعداوة .

[1] عبد القادر تومي ، التصوف والمجتمع ، ص 162 .

كذلك إنّ المخاطَب لما يدرك أنّ الشّرّ الموجّه إليه من فلان هو قضاء من الله، ويستيقن ذلك في نفسه فإنّه يصبر على الأذى ويخفّف عن نفسه عناء الإجابة عن تساؤلات النّفس الغافلة : لماذا فلان يؤذيني ؟ ماذا فعلت له ؟ ماذا يريد منّي ؟ ماذا أفعل إزاء ذلك ؟ فهذه الأسئلة تسبّب أمراضا نفسيّة وعضويّة كثيرة ، يمكن معالجتها كما ذكر الشّيخ أحمد التّيجاني بالصّبر عن الأذى لثبوت مجاري الأقدار .

وهكذا استخدم الشّيخ هذه الحجج السّببيّة من أجل الحضّ " على التّراحم والتّماسك والصّبر على المكروه في تعزيز ثقافة الإنجاز ، ومن ثَمّ السّير قُدُما على درب التّنمية "[1] . لأنّ صلاح الفرد وتماسك المجتمع بداية لنهضة الأمّة .

وقد كانت الحجج السّببيّة مترابطة مع بعضها لتعمل متعاضدة على إقناع المخاطَب وهذا يدل على السّعي الحثيث للشّيخ لنجاح رسالته .

ففي قوله : **الحذر الحذر لمن تحرّك عليه شرّ النّاس منكم أن يبادر إليه بالتّحرّك بالشّرّ لمقتضى حرارة طبعه وظلمة جهله وعزّة نفسه ... لإعراضه عن جناب الله .**

إنّ تحليل القول يؤدّي إلى هذه البنية المنطقيّة :

يبادر العبد بالشّرّ لأنّه ظلوم جهول معتزّ بنفسه ← هذا سبب

المبادر للشّرّ وإن كان مظلوما تفيض عليه بحور الشّرّ

يستحقّ الهلاك ← نتيجة

وتلك عقوبته لإعراضه عن جناب الله ← سبب

فهذه حجّة سببيّة مزدوجة مزج فيها الشّيخ بين السّبب والنّتيجة ، فهو يحذّر من المبادرة للشّرّ ويقدّم حجّته بأنّ النّفس الأمّارة بالسّوء والظّلومة والجهولة هي السّبب في إظهار الشّرّ ، أيضا الإعراض عن الله والابتعاد عنه هو السّبب الثاني لهذا الفعل ونتيجته هي الوقوع في شرور لا قِبَلَ له بردّها ، والهلاك في الدّنيا والآخرة .

[1] المرجع السابق ، ص 165 .

فالمؤمن العاقل هو الذي يَحْذَر هذه النّتيجة ويتجنّب هذه الأسباب المؤدّية لهذه النّتائج وبالتالي يَحْذَر من فعل الشّرّ ويجتنبه كما أمره الشّيخ .

أ . 2 . الحجة الغائيّة :

تعدّ من أهمّ وسائل الحجاج ، ولها تأثير مباشر في توجيه السّلوك لأنّ مدارها على الغاية وهذا يعني أنّ هذه الحجّة لم تعد تعبيرا عن قولنا (بسبب كذا) وإنّما (من أجل كذا) أي أنّها تقوم على " تثمين حدث ما بذكر نتائجه" [1] التي نتوخّى الوصول إليها وغاياته التي نصبو إليها من أجل إقناع الآخر وتوجيه سلوكه ، وعليه فالحجّة الغائيّة ليست مجرّد " تثمين بل وتوجيه العمل أيضا"[2] .

من خلال دراستنا للرّسالة يظهر لنا سبب توظيف الشّيخ أحمد التّيجاني لهذه الحجّة وهو قوّتها الحجاجيّة التي تدفع المتلقي للإقناع وتغيير السّلوك .

ومن أمثلة ذلك : **فيكون مُثابا دنيا وأخرى** .

في هذا الجزء من الرّسالة يحذّر الشّيخ أحمد التّيجاني مخاطَبيه من مقابلة الشّرّ بالشّرّ، ويوجّههم إلى الفزع إلى الله ، ثم يقدّم حجّته التي تثبت أفضليّة ما دعاهم إليه ، لأنّها غاية ما يطمح إليها المؤمن وهو ثواب الدّنيا والآخرة ، فالشّيخ يقول : لا تبادر للشّرّ وإن قوبلتَ به من أجل الحصول على ثواب الدّنيا والآخرة .

ولعل هذه الحجّة الغائيّة التي استعملها الشّيخ أكثر إقناعا وانتهاضا للعمل ، لأنّ المتلقي يتوقّف عن القيام بالشّرّ طمعا في الثّواب وهنا يكون تغيّر السّلوك عن رضا ورغبة لا عن إجبار ورهبة .

وكذلك في قوله: **فإنّ الكيّس العاقل... فلا شك أن هذا يدفع عنه الشرور بلا تعب منه.** فالشّيخ هنا يوجّه المخاطَب إلى الاعتصام بالله في حال انصبّ عليه الشّرّ من أجل الخلاص منها بلا تعب منه .

---

[1] عبد الله صولة ، الحجاج أطره ومنطلقاته ، ص 333 .

[2] المرجع نفسه ، ص 333 .

وهذه الحجّة : الخلاص من الشّرور ودفعها عنه دون تعب منه . حجّة قويّة تغري المخاطَب إلى سرعة الاستجابة والقيام بالعمل للحصول على هذه المنحة الإلهيّة والنّعمة الرّبّانيّة .

وكذلك : **وَلْيَنْو عند تلاوتها ... فمن فعل ذلك كتبه الله شاكرا** .

الشّيخ يوجّه المخاطَب إلى ذكر الفاتحة بنيّة الحَمْد من مرّة إلى مئة مرّة حسب قدرة المخاطَب ويدعم قوله بحجّته : من أجل أن تكون من الشّاكرين ، وتحظى بمنزلة عظيمة عند الله وتظفر بالمحبوبيّة .

أ . 3 . حجة التّجاوز :

وهي حجّة أقوى من الحجّة الغائيّة لأنّها تتجاوز الغاية إلى ما لا حدّ له ، وقد استخدمها الشّيخ في قوله : **فإنّ من تعلّق بالله لا يقوى له شيء** .

ذكر الشّيخ الحجّة الغائيّة لكل من اعتصم بالله ، وهي عجز الخلق عن الوصول إليه أو التعرّض له بالأذى ، ثم يضيف حجّة التّجاوز لزيادة التّأثير في المخاطَب واستنهاضه للفعل فورا وهي : **لا يقوى له شيء** . أي لا يقدر عليه أحد في الدّنيا ، ولا يؤذيه شيء من فتنها وبلاياها لأنّه معتصم بالله .

ثم يقول : **من أدام السّير على هذا المنهاج سعد في الدّنيا والآخرة** .

فهذه الحجّة ساقها الشّيخ لرغبته الملحّة في إقناع المتلقي بطلب المعالي وبلوغ الأماني ، والحصول على السّعادة في الدّنيا والآخرة ، ويتجاوز النّظرة البسيطة المتمثلة في رفع الأذى عنه في الدّنيا ويسارع للسّير على هذا الطّريق ويداوم عليه لأنّ دوام السّير هو الذي يساعد على بلوغ النّفس إلى ما تصبو إليه .

ب . الاتّصال التّواجدي (روابط التّعايش) :

ب . 1 . حجّة الشّخص وأعماله :

إن الشّخص هو مجمل المعلوم من أعماله أي هو العلاقة بين ما ينبغي أن نعتبره جوهر الشّخص وبين أعماله التي هي تجليات ذلك الجوهر . وفي هذه الحالة يلعب القصد أو النّيّة أو الطّويّة Lintention دورا مهمّا . ونعني بالقصد ما توفّر لدينا من أفكار وآراء سابقة حول الشّخص صاحب العمل . وهكذا فإن اللجوء إلى القصد أو النّيّة يمثل مناط الحجاج لأنّه يربط العمل بصاحبه ويعيننا على فهم عمله ... وهو ما أسماه (برلمان) " التّداخل بين العمل والشّخص "[1] .

تنبني هذه الحجّة على مدى التّفاعل بين الشّخص وأفعاله وخاصّة " على مبدأ ثبات الشّخصيّة بحيث إن قامت بفعل معيّن أو اتّخذت موقفا محدّدا فإنها عُرفت بخصال معلومة منذ زمن بعيد وستظل كذلك ما بقيت على قيد الحياة "[2] .

وتظهر هذه الحجّة ساطعة في قول الشّيخ : **وهذا الباب الذي ذكرناه ، كل الخلق محتاجون إليه في هذا الوقت فمن أدام السّير على هذا المنهاج ، سعد في الدنيا والآخرة .**

فكل ما ذكره الشّيخ قبل هذا الجزء عن تحذير المخاطَب من مقابلة الشّرّ بالشّرّ وأمره بالصّفح أو الإحسان أو الإعراض والالتجاء إلى الله والهروب عن الشّرّ والصّبر عن أهله ...ألخ ، يمثل بابا واحدا من أبواب كثيرة للمجتمع الذي يسير عليه الشّيخ أحمد التّيجاني ، وهو المنهج الصّوفي الذي " يجمع المادّة والرّوح ، فالإنسان يمارس حياته المادّية في ظل الأخلاقيّة الدّينيّة "[3] .

وهذا المنهج الذي يدعو المخاطَب إليه هو منهجه الذي سار عليه وثبت إلى أن لقي مولاه – عز وجل– . وهنا تكمن قوّة الحجّة التي يقدّمها الشّيخ لمخاطَبيه من أجل إقناعهم والتّأثير فيهم ، فأفعاله تطابق أقواله وهنا يندمج

---

[1] عبد الله صوله ، الحجاج وأطره ومنطلقاته ، ص 334 .

[2] سامية الدريدي ، الحجاج في الشعر ، ص 229 .

[3] عبد القادر تومي ، التصوف والمجتمع ، ص 153 .

الشّيخ وقوله وفعله ليكون حجّة للآخرين لاتّباعه فلسان حاله يقول : هذا خطابي وقولي ، وهذا هو الطّريق الذي أدعوك إليه ، وهو نفسه الطّريق الذي أسير عليه فانظر أفعالي تُنْبِؤُك صِدْق أقوالي .

ولما " يكون عملنا تصديقا لكلامنا ، بهذا فقط يتأكّد التّعاون فإذا أحسّ الآخر بمبدأ التّعاون تواصل معنا ، لأنّه لا يَعْقِل منّا كلامنا فحسب ، بل يُرَاقِبُ سلوكاتنا ، فإذا ما شعر بأنّ حقوقه مقدّمة على حقوقنا وفق مبدأ الإخلاص تجرّد من أسباب الصّراع والنّزاع وأسفر ذلك عن تحاور صادق ويكون الشّعار التّنافس في التّخلق " [1] . حجّة تمازج فيها الفكر والمنهج والسّلوك فلم يكن ما يدعو إليه ويحتجّ له " قاصرا على مجال الفكر والنّظرية ، بل ظهر ذلك في سلوكيّاته اليوميّة "[2] . والكتب التي أوردت سيرته تؤكّد ذلك .

وتمثل حجّة الشّخص من أقوى الحجج في الإقناع وممارسة التّأثير على المتلقي ، وذكر الشّيخ للمنهج في خطابه والذي يمثل نفس المنهج الذي يسير عليه لأنّه يرى أن هذا المنهج الصّوفي هو المسلك الوحيد للنّجاة " والخروج من أزمات الحياة المعاصرة لأنّ مشكلاتنا مشكلات أخلاقيّة وأزمات روحيّة " [3] . وإقناع المتلقي بتغيير سلوكه من أجل تخليق الحياة الفرديّة والجماعيّة .

ب . 2 . حجّة السّلطة : (الحجّة بالمصداقيّة)

حجج عدّة تغذّيها هيبة المتكلّم ونفوذه وسطوته ... يأتي على لسان شخص ما باعتباره شاهد إثبات على ما يقول إنّما يكون وقفا على القيمة التي لهذا الشّخص في عيون النّاس . وإذا باء الحجاج بالفشل في هذه الحالة فإن مردّ ذلك إلى المثال le Modèle ليس له من النّفوذ والهيبة ما يجعل كلامه مقنعا .

وقد تكون السّلطة أشخاصا (أنبياء ، علماء ...) وقد تكون دينا (عقيدة ، كتاب مقدس) على أن تكون سلطة هؤلاء جميعا معترفا بها من قبل جمهور السّامعين في المجال الذي ذكرت فيه [4].

---

[1] آمنه بلعلى ، المنهج الأمثل للتواصل ، ص 234 .

[2] المرجع نفسه ، ص 160 .

[3] المرجع نفسه ، ص 162 .

[4] عبد الله صولة ، الحجاج أطره ومنطلقاته ، ص 335 .

وهي حجّة تمثل قدرة المحاجج على الالتزام بصدق ما يقصده ، وبالنّتائج المراد استمالة المستمع إليها . وتظهر هذه الحجّة في الرّسالة من خلال تعبير الشّيخ أحمد التّيجاني بطريقة مباشرة يذكر فيها نفسه وحاله في الالتزام بالنّتائج التي يقصدها ، حيث يقول : **فالذي أوصيكم به وإياي : المحافظة ، المحافظة** ... .

فقد ذكر نفسه (إيّاي) أي أنّه هو أيضا ملتزم بما يدعو إليه التزاما سلوكيّا ظاهرا وليس التزاما قوليّا فقط . وقد ورد هذا التّصريح في أوّل الرّسالة وهو ما يدل على أنّه ملتزم بكل ما ورد فيها من محافظة على أقوال الرسول ﷺ واجتناب الشّرّ والتّضرّع إلى الله ، والتّعلّق به ، وشكره على نعمه واستغلالها في طاعته واجتناب معصيته ، والابتعاد عن المعاملات الماليّة المحرّمة وخاصّة في الأسواق .

إنّ التزامه بما يقول وصدقه في ذلك حجّة قويّة تدفع بالمخاطَب للإذعان والتّسليم لأنّ الحجّة الصّادقة تعبّر عن شخصيّة صاحبها " ذلك أنّ السّامع إذا علم أن الخطاب صادر عن قلب منافق وضمير مخادع لا يُلقي له بالا ، بل يكون ذلك أدعى للنّفور ممّا يريد المتكلم إقناع السّامعين به ، وللانصراف عنه إلى ما يراه أفضل ، وبذلك فإنّ الصّدق في القول ومطابقة الظّاهر للباطن أساس مهمّ من أسس الإقناع "[1] .

كذلك تظهر هذه الحجّة متفرّقة في الرّسالة في قوله: فإنّ هذه الوجوه التي ذكرناها ، لِمَا ذكرنا ، نرى ، الذي ذكرناه ، فيما ذكرنا كفاية ، قضيّتنا ، فصلنا ، ما ذكرناه ...

ف (نون) الجماعة في هذه الكلمات تعبّر عن المشاركة بين الشّيخ أحمد التّيجاني ومخاطَبيه وهذا يعني أنّ هناك " علاقة أفقيّة لا تسلّط فيها ، تسمح للمتلقي بحرّيّة القبول أو الرّفض بينهما وقرار الاستجابة أو التمنّع "[2] .

وهذا يمثّل قمّة التّحاور والتّواصل ، كما أنّه " من الأسس المسَلَّم بها في عمليّة الحجاج والإقناع وفي عمليّة التّخاطب والحوار العادي أنّه إذا كان المتكلم على علاقة بمن يحاورهم فذلك أدعى إلى الإقناع والتّأثير فيهم"[3].

---

[1] آمنه بلعلى ، المنهج الأمثل للتواصل ، ص 225 .

[2] سامية الدريدي ، دراسات في الحجاج ، ص 132 .

[3] آمنه بلعلى ، المنهج الأمثل للتواصل ، ص 225 .

هذا يعني أنّ الشّيخ يسعى إلى إقناع مخاطَبيه إقناعا ذاتيّا يرتكز على الحجّة والبرهان في إطار الحوار الهادئ العميق كما أنّه يتعاون معهم " في إنشاء معرفة مشتركة في التّواصل ، ويلتزم بأساليب معيّنة لتحقيق الإقناع فيصبح التّحاور فِعْلا استشاريّا لا استبداديّا"[1].

3 . الحجج المؤسّسة لبنية الواقع :

وتشمل القياس بأنواعه وتأسيس الواقع بواسطة الحالات الخاصّة .

أ . القيــاس :

وظّف الشّيخ أحمد التّيجاني كل أنواع القياس وسنحاول في هذا الجزء توضيح ذلك .

أ . 1 . القياس المنطقي المتكامل الأركان :

القياس المنطقي يمثل بنية أساسيّة في كل خطاب حجاجي ، ولهذا لا يخلو منه أي نص إقناعي وذلك لِمَا له من تأثير واضح في يقظة النّفوس وتحقيق الإفهام ، نظرا للتّرابط الدّلالي والتّعالق المنطقي الموجود بين مقدّماته للوصول إلى نتائج .

ومن أمثلة ذلك في الرّسالة قول الشّيخ أحمد التّيجاني : **وأوصيكم في معاملة الأسواق على محافظة قواعد الشّرع وأصوله ، على حسب ما يعطيه الوقت ، وتجنّبوا جميع وجوه الغشّ والتّدليس والكذب في تقويم الأثمان ... فإنّ المنهمك في ذلك يهلك كل الهلاك .**

يمكن تصوير القياس المنطقي في هذا القول على النّحو التّالي :

المقدّمة الكبرى : عدم اتّباع القواعد الشّرعيّة في الأسواق فيه هلاك .

المقدّمة الصّغرى:الغشّ والتّدليس والكذب في تقويم الأثمان،معاملات نَهَى عنها الشّرع.

النّتيجة : اتّباع الغشّ والتّدليس والكذب في تقويم الأثمان في المعاملات الماليّة فيه هلاك .

---

[1] المرجع السابق ، ص 234 .

أ . 2 . القياس المضمر:

وهو نوع من القياس المنطقي يكون فيه أحد الأركان محذوفا .

ومن أمثلة ذلك قول الشّيخ أحمد التّيجاني : **والحذر الحذر لمَنْ تحرّك عليه شرّ النّاس منكم أن يبادر إليه بالتّحرّك ... فإنّ المبادر للشّرّ وإنْ كان مظلوما فاضت عليه بحور الشّرّ من الخلق يستحقّ الهلاك به في الدّنيا والآخرة.**

يمكن عرض القياس المضمر في هذه القطعة كالآتي :

المقدّمة الكبرى (مضمرة) : الإسلام ينْهَى عن إذاية النّاس .

المقدّمة الصّغرى (مضمرة) : المسلم لا يؤذي النّاس .

النّتيجة (مذكورة): المسلم الذي يؤذي النّاس بشرّه يستحقّ الهلاك في الدّنيا والآخرة .

أ . 3 . القياس المتدرج :

وفيه يُبْنَى القول اللاحق على جزء من القول السّابق حتى ينتهي القياس المتدرّج إلى نتيجة .

ومن أمثلة ذلك قول الشّيخ أحمد التّيجاني : **وأحذّركم لكل مَنْ خوَّله الله نعمة ، أنْ يمدّ يده بها فيما لا يرضي الله مثل شراء الخمر والوقوع في الزّنا ... فإنّ الفاعل لهذه الأمور بما أنعم الله عليه ، مستحقّ لسلب النّعمة من الله .**

ويمكن توضيح القياس المتدرّج في هذا القول كما يلي :

. كل نِعْمَة توجب الشّكر .

. شكر النِّعْمَة يكون باستخدامها في مرضاة الله واجتناب معصيته .

. شراء الخمر والوقوع في الزّنا معصية .

. المعصية تستحقّ العقوبة .

. العقوبة تتمثل في سلب النّعمة .

ب . تأسيس الواقع بواسطة الحالات الخاصة :

هي الحجج التي يستدلّ بها المتكلّم ويسوقها لبناء واقع عام من خلال حالة خاصّة أي يستدل بنبي أو شخصيّة أو عالم أو ما إلى ذلك . كما قد تكون هذه الحالة الخاصّة دينًا (آيات أحاديث شريفة) .

ب . 1 . النّمـوذج :

وتقصد به المثال الفذّ الذي يحتذى ، والقدوة الصّالحة التي يستخدمها المتكلّم لتثبيت ما يريد تثبيته من قيم وأخلاق وفضائل .

وهي حجّة تمتلك طاقة قويّة وقدرة على الإقناع لأنّها حجّة " لا تُبْنى على الواقع كأنواع كثيرة من الحجج ، بل تَبْنِيه . أي هي لا تتأسّس على الواقع بل تُؤسّس واقعا جديدا مخصوصا "[1] .

واقع جديد يقوم على " كائن نموذج يصلح على صعيد السّلوك لا لتأسيس قاعدة عامّة أو دعمها فحسب وإنّما يصلح كذلك للحضّ على عمل ما اقتداء به، ومحاكاة له، ونسجا على منواله ، وإن بطريقة غير موفّقة "[2] .

والحديث عن الحجاج بالأنموذج يقتضي منّا التّفريق بين صنفين : " صنف حقيقي يقع استدعاؤه لغرض الحجاج أي الإقناع والاستدلال . وصنف غير حقيقي ، كثيرا ما يَبْنِيه المتكلّم ويصنعه في نصّه ، أي يقدّه قدّا باللغة وفيها "[3] .

أي أنّ هناك صنفا حقيقيّا يصلح للقيادة ولتغيير الواقع بينما هناك أنموذج غير حقيقي يصنعه المتكلّم من خلال " صناعة بعض ملامحه وصفاته ليكون على قدر كاف من الهيبة على حد عبارة برلمان " [4] . وذلك بالمبالغة في الوصف والغلوّ في إضفاء النّعوت الجيّدة ، وتغييب كل ما هو سيء حتى يكون أهْلا للقيادة والتّوجيه .

---

[1] سامية الدريدي ، دراسات في الحجاج ، ص 83 .

[2] عبد الله الصولة ، الحجاج أطره ومنطلقاته ، ص 338 .

[3] ينظر : سامية الدريدي ، دراسات في الحجاج ، ص 62 .

[4] برلمان وتيتكا ، مصنف في الحجاج ، ج2 ، ص 489 ، نقلا عن : سامية الدريدي ، الحجاج في الشعر ، ص 245 .

ولكن يا ترى أيّ الأنموذجين وظّف الشّيخ أحمد التّيجاني في رسالته ؟ وأيّ أنموذج احتجّ به لإقناع مخاطَبيه ؟

إنّ المتأمّل لرسالة الشّيخ أحمد التّيجاني يظهر له جليّا أنّه وظّف أنموذجا حقيقيّا غير مصطنع ، قادرا على القيادة والتّوجيه وتغيير الواقع فِعْلا ، لا أنموذجا مزيّفا اصطُنِع لغرض معيّن لا يصلح للقيادة ولا يقدر على الصّمود ، أنموذجا مَبْنيّا بناء هشّا سرعان ما يتلاشى .

إنّ الأنموذج الذي وظّفه الشّيخ أحمد التّيجاني لم يصرّح به مباشرة وإنّما كشفته دعائم يَنهض عليها خطابه به في أوّل الرّسالة عن قصد ، لأنّ كل خطابه مبني على هذا النّموذج المؤهّل للقيادة . ويندرج تحته أنموذجان آخران يُمثّلان قدوة أيضا ولكنّهما أقل رتبة من الأنموذج الأول.

فأوّل أنموذج يتّضح لنا من خلال الرّسالة هو شخص رسول الله ﷺ ويظهر ذلك جليّا في بداية الرّسالة في قوله : **المحافظة ، المحافظة على قوله ﷺ : ثلاث منجيات** ... .

فهذه الأحاديث لم ترد هنا كشاهد أو للشّرح والتّعقيب ، وإنّما هي تكشف عن رسول الله ﷺ لأنّ قوله حافظوا على قول رسول الله ﷺ يدلّ على أنّ الشّيخ يحتجّ لكل آرائه وأفكاره الواردة في الخطاب برسول الله ﷺ أي أنّه يقول هذا شخص رسول الله ﷺ وهذا قوله وفعله فاتّبعوه وكونوا سائرين على نهجه في الإحسان لمن ظلمه ، والصّبر على الأذى والمكاره ، والشّكر لقوله : " **ألا أكون عبدا شكورا** " . واجتناب المحرّمات الماليّة وغيرها وتحرّي الحلال في كل أموره . فهذا هو القدوة والقادر على القيادة والتّوجيه وتغيير الواقع .

ولعل هذه الحجّة من أقوى الحجج التي وظّفت في الرّسالة لإقناع المخاطَب بكل ما جاء فيها ودَفْعِه دفعا فوريّا لتغيير سلوكهِ وفْقَها لأنّ كل ما جاء فيها هو من أخلاقيّات المصطفى ﷺ التي استطاع بها تغيير أمّة من جاهليّة وضلال إلى نور العلم والإيمان ، وبناء حضارة العدل والإحسان .

فالشّيخ يقول لمخاطَبه : هذا هو قائدك وقدوتك ومَثَلك الأعلى الذي صبر على أذى مشركي قريش وعفا عنهم يوم الفتح الأكبر بقوله : " اذهبوا أنتم الطلقاء" . وهو الذي تتورّم قدماه من الصّلاة شكرا لمولاه وهو رسوله وحبيبه .

فاجعله حاضرا في قلبك ، ماثلا أمام عينيك في كل تصرّف تقوم به في حياتك اليومية. فإنْ أوذيت فاصبرْ واعف واحسنْ كما فعل رسولك ، واشكرْ دائما والتزمْ ذلك مِثله، واجتنبْ المحرّمات والمعاصي كما كان هو . فاتّباع قدوتك في كل شيء هو الوحيد الجدير بتغيير حياتك وواقعك من واقع الانحطاط والتخلّف إلى واقع القيادة والرّيادة .

أمّا الأنموذج الثّاني الذي ورد في الرّسالة فهو شخص الشّيخ أحمد التّيجاني في حدّ ذاته ، فهو مثال يُحتذى لأنّه وريث رسول الله ﷺ لقوله : " العلماء ورثة الأنبياء"[1] . فهو يسير على خطاه ويتّبع هديه، ومن هنا كان أهلا للقيادة والتّوجيه.

ففي قوله : **أوصيكم وإياي** . ليس الغرض منه أَمْر نفسه وتوجيهها ولكن ذلك يمثّل "دعوة ضمنيّة لأنْ يكون كل فرد على منواله على سبيل الاقتداء "[2] . أي بالرّغم من أنّه هو شيخ الطّريقة التّيجانيّة ، ومربٍّ روحي لأتباعه إلا أنّه يتّبع رسول الله ﷺ ويقتدي به لأنّه لا غِنَى لأيّ مؤمن عنه مهما بلغ من الإيمان والولاية .

هذه الحجّة تثبت بأنّ متصوّر الشّيخ لا يمثّل ذلك الشّيخ الذي يُقصد للبركة والدّعاء فقط وإنّما أصبح " من الضّروري الوعي به أكثر من قبل باعتباره النّموذج والمِثال الذي يصلح الاقتداء به والسّير على خطاه "[3] .

وهذه الحجّة تعضد الحجّة الأولى وتقوّيها للتّأثير في المتلقي الذي يصبح له قدوة ظاهرة واضحة حيّة ، وهي صورة الشّيخ الذي يعيش معه ويعرف أخلاقه وأفعاله وأقواله التي توجّهه دوما لتغيير السّلوك ، وتدفعه نحو الأمام في الطّريق إلى الله . وقدوة غيبيّة غير ظاهرة للعيان حاضرة في قلبه دوما ، وهي صورة رسول الله ﷺ التي تجذبه إليها محبّة وإتباعا لقوله تعالى ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ ﴾[4] .

ثم الأنموذج الثالث وهو **الكيّس العاقل** الذي اتّبع الرّسول ﷺ والشّيخ أحمد التّيجاني فأصبح هو نفسه أنموذجا لغيره من المتلقّين المتواصلين معه ، وأنموذجا للمسلم الحقيقي الذي يصلح لدعوة الكافر للإسلام من خلال حاله لا لسانه

---

[1] المرجع السابق ، ص 309 .

[2] عز الدين الناجح ، صورة الشيخ ، ص 250 .

[3] المرجع نفسه ، ص 251 .

[4] سورة آل عمران ، الآية 31 .

، كما كان الصّحابة –رضوان الله عليهم– الذين دخلوا قلوب النّاس وأسروها قبل أن يدخلوا البلدان ويفتحوها ، وأقنعوهم بالدّخول في الإسلام من خلال أخلاقهم ومعاملاتهم لا من خلال أقوالهم .

هذا النّموذج الذي يحتجّ به الشّيخ صالح لقيادة غيره من النّاس ولا يمكن للمخاطَب أن يكونه إلا من خلال القيام بكل ما جاء في رسالة الشّيخ أحمد التّيجاني وتجسيدها فعليّا في حياته اليوميّة حتى يكون قائدا للإنسانيّة .

ب . 2 . الشّاهد : L'illustration

إنّ الشّاهد يشبه البنية التي تدعّم القضيّة وتقوّيها ، وهو يشمل القرآن الكريم والأحاديث النّبويّة الشريفة والأقوال المأثورة ، وأحاديث العلماء والحكماء والأمثال والحكم وما إلى ذلك من الأقوال التي تصلح للاستشهاد على فكرة أو رأي ما .

فالشّاهد " من شأنه أن يقوّي درجة التّصديق بقاعدة ما معلومة وذلك بتقديم حالات خاصة توضّح القول ذا الطّابع العام ، وتقوّي حضور هذا القول في الذّهن وعلى هذا فإن الاستشهاد يؤتى به للتّوضيح rendve clair "[1]. والشّاهد غالبا ما يذكر لاحقا "قصد تقوية حضور الحجّة وقصد جعل القاعدة المجرّدة حسّيّة وملموسة "[2] .

إن المتأمّل في الرّسالة يلاحظ استخدام الشّيخ أحمد التّيجاني لهذه الحجّة بكثرة ، حيث تتداخل في ثنايا خطابه الحجاجي النّصوص القرآنيّة والحديثيّة لأنّ " حضورها مبرّر بقوّتها الإقناعيّة والتّأثيرية "[3]. وهذه القوّة الإقناعيّة تستمدّها من قوّة أصحابها الذين لهم "سلطة على النّفوس وسطوة على العقول والقلوب "[4] . فكيف لا وكلام الله – سبحانه وتعالى– هو القول الحق الذي يُقنع كلّ معاند فما بالك بكل محاور ، كذلك كلام رسوله ﷺ المؤيّد بقوله تعالى:﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴾[5] .

---

[1] عبد الله صولة ، الحجاج أطره ومنطلقاته ، ص 337 .

[2] المرجع نفسه ، ص 337 .

[3] محمد بازي ، تقابلات النص وبلاغة الخطاب ، ص 58 .

[4] سامية الدريدي ، دراسات في الحجاج ، ص 159 .

[5] سورة النجم ، الآية 3 ، 4.

إنّ حجّة الشّاهد ساقها الشّيخ أحمد التّيجاني في آخر كلامه في كل فكرة ، وذلك ليؤكّد للمخاطَب صدق ما يذهب إليه ويحقّق غايته من الإقناع والتّأثير .

ومن ذلك قوله : **فيكابد غصص تلك الشّرور بما هو فيه من اللطف والصّبر . قال سبحانه وتعالى :** ﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ ٱلْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ بِمَا صَبَرُوا۟ ﴾[1] .

فالشّيخ بعد تحذير المخاطَب من المبادرة بالشّرّ وتوجيهه إلى الصّبر عن أذى النّاس والتوجّه إلى الله بالتّضرّع والشّكاية لرفْع الأذى عنه لأنه وحده القادر على ذلك ، يقدّم حجّته المتمثلة في الآيات القرآنيّة التي تؤكّد فوز الصّابرين ونيلهم مرادهم وأكثر .

وهذه الحجّة منحت الشّيخ أحمد التّيجاني " قوّة سلطويّة بالخطاب " [2] ، لأنّه استشهد بالخطاب القرآني ذي البعد السّلطوي وهذا ما يجعل خطابه يتبوّأ " مكانا عليّا ، ويستمدّ ذلك من سلطة الخطاب المنقول على لسانه " [3] . وبالتالي تصبح السّلطة ؛ سلطة خطابه الذي يمتلك قوّة حجاجيّة مضافة تؤدّي إلى الإقناع حتما ومن ثَمّ التّغيير في المعتقد وفي السّلوك . أي يتغيّر اعتقاد المتلقي من ضرورة الدّفاع عن نفسه ، والانتصار لها بمقابلة الشّرّ بمثله ، إلى الاعتقاد بأهمّيّة الصّبر وفائدته وأجره العظيم عند الله دنيا وأخرى ، ومن ثَمّ يتغيّر سلوكه تبعا لاعتقاده وهذا عين ما يسعى إليه الشّيخ أحمد التّيجاني .

وكذلك استشهاده بقوله تعالى :﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ﴾[4] .

قدّم الشّيخ هذه الحجّة بعد توجيه المتلقي إلى الاعتصام بالله والالتجاء إليه والتعلّق به لأنّه هو الوحيد الذي ييسّر كل عسر، ويفرّج كل كرب . وهذه الحجّة دعمت أقوال الشّيخ وأفكاره لأنّها " تعلو الكلام العادي درجة ، ممّا يجعلها ترقى في السّلّم الحجاجي إلى ما هو أرفع "[1] . وبالتالي تحقّق إقناعا أقوى وتأثيرا أكبر في المتلقي ، بل وتغييرا أسرع .

---

[1] سورة الأعراف ، الآية 137 .

[2] عبد الهادي بن ظافر الشهري ، استراتيجيات الخطاب ، ص 537 .

[3] المرجع نفسه ، ص 537 .

[4] سورة الطلاق ، الآية 2 ، 3 .

وكذلك استشهاده بقوله تعالى :﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُواْ مِمَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ حَلَٰلٗا طَيِّبٗا وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٌ ﴾[2] .

وبقوله تعالى:﴿فَمَنِ ٱضۡطُرَّ غَيۡرَ بَاغٖ وَلَا عَادٖ فَلَآ إِثۡمَ عَلَيۡهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴾[3] .

أورد الشّيخ أحمد التّيجاني الآيتين الكريمتين كحجّتين دامغتين لإقناع المتلقي بضرورة تحرّي الحلال في المعاملات الماليّة وتجنّب الحرام بكل أشكاله (المأكل ، الملبس ، المسكن ...) . ولم يذكر الحجّتين متعاقبتين بل وضع كلا منهما مكانها المناسب ، ولعل هذا يدل على براعة الشّيخ وأهليّته في توظيف هذه الحجج حسب ما يتطلّبه السّياق. كما أنّ توظيفه للأدلّة القرآنيّة جاء من أجل التّأثير في المتلقي للمبادرة بالفعل في التوّ والحين لأنّه يدرك " أنّه لا يتمتّع بسلطة ذاتيّة "[4] لدفع النّاس إلى المحافظة على الأحكام الشّرعيّة في المعاملات ولكنّه يتمتّع بسلطة دينيّة روحيّة تؤهّله لمعرفة الحق من الضّلال والخير من الشّرّ، واختيار الدّليل الذي يؤيّد صواب وصدق ما يذهب إليه أو خطأه.

كذلك في قوله : **يشهد له قوله ﷺ :"دع ما يريبك إلى ما لا يريبك"** .

هنا قدّم الشّيخ أحمد التّيجاني حجّة الشّاهد بعد نقضه واعتراضه على فكرة لحسن ابن رحّال التي تقول بأنّ كل عقدة لا يوجد فيها إلا من يعامل بالحرام فهي حلال .

وهذه الحجّة تدعم اعتراضه وتقوّيه وتقنع المتلقي بصحّة ما ذهب إليه لأنّه استعمل دليلا من القرآن الكريم ودليلا من الحديث الشريف يسانده ويفرض سلطة خطابه ، فهو قد احتجّ بدليل ذي سلطة أوسع من سلطة ابن رحّال ومن أيّ سلطة أخرى في كل زمان ومكان .

---

[1] المرجع السابق ، ص 537 .

[2] سورة البقرة ، الآية 168 .

[3] سورة البقرة ، الآية 173 .

[4] عبد الهادي بن ظافر الشهري ، استراتيجيات الخطاب ، ص 538 .

خـاتـمـة

خـاتمـة

حاول هذا البحث دراسة الحجاج في رسائل الشيخ أحمد التّيجاني من أجل الكشف عن القدرة الإقناعيّة للشّيخ والتي أهّلته للتّأثير في الآخرين ، ولإبراز نجاعة حجاجه وفعّاليّة خطابه ومكمن السّر في ذلك .

وقد وصل البحث إلى أهم النّتائج الآتية :

– أن الحجاج لا يعني التّخاصم فقط بقدر ما هو يعنى التواصل بجميع أشكاله وذلك أنّ المحتج يسعى لإقناع الآخر برأيه أو بفكرته أو بقضية ما ، وهذا هو عين التواصل الذي يفترض وجود شخص ما له نيّة التأثير في الآخر .

– هذا المسعى التأثيري للحجاج هو الذي جعله يدخل في جميع المجالات ويأخذ تعاريف شتّى حسبها ، لكنّها لا تنفصل عن بعضها البعض بل تتكامل ، فالحجاج من منظور منطقي يسعى لإقناع العقل بالفكرة ، و من منظور لساني يسعى للإقناع باللغة ، ومن منظور بلاغي يسعى للإقناع بالتأثير على النّفس والعواطف ، وكلها تتضافر لتحقيق الإقناع ونجاح الحجاج نجاحا باهرا .

– أن الحجاج مختلف عن البرهان من حيث ابتعاده عن المنطق الصّوري الصّناعي لأنّه يعالج خطابات إنسانيّة بعكس البرهان الذي يتناول علوما دقيقة ومضبوطة . كما أنّ سمته التّواصل الاجتماعي مع الآخر وغايته الإقناع والتّأثير وهذا ما يجعله يتخلى عن الصّرامة المنطقيّة إلى استفزاز الخيال والعاطفة بمختلف أدوات التبليغ والإثارة .

– ارتبط الحجاج بالإقناع ارتباطا وثيقا لأنّه يسعى إليه دوما ، فالإقناع غاية الحجاج ومنتهاه ، والحجاج مطية الإقناع للوصول إلى التغيير المنشود ، لأنّه الجسر الذي يربط الكلمة بالفعل والقول بالعمل ، إذ حين يضطلع الكلام بوظيفة الحجاج يصبح محرّكا للفعل ، صانعا للرّأي والفكرة والموقف .

– تكمن أهمّية الحجاج فيما يولده من اقتناع لدى المرسل إليه ، وهذا الاقتناع لا يتأتّى إلا باستعمال اللغة ما يؤكد أن نظريّة الحجاج في اللغة تنطلق من فكرة مفادها أنّنا نتكلم عامّة بقصد التّأثير .

– تعدّدت وسائل الحجاج التي توظف بغية تحقيق الإقناع ما بين وسائل نفسيّة اجتماعيّة ووسائل لغوية ، ووسائل بلاغية ، ووسائل منطقيّة ؛ أمّا الوسائل النفسية الاجتماعية فهي التي تتعلق بالمتكلم ، والتي تساهم مساهمة فعّالة في أداء دوره أداءً ناجحا كمحاجج مقنع لغيره ، قادر على تهيئة مستمعه وتوجيهه الوجهة التي يريد .

– وأما الوسائل اللغويّة والبلاغيّة والمنطقيّة ، فتتمثل في دور لغة الحجاج المتعمدة أثناء التخاطب لأنّ اللغة في الخطاب الحجاجي تقوم بدور جوهري وفاعل في تحقيق التأثير والاستمالة من خلال المفردات والتراكيب التي يختارها المتكلم لوصف حدث ما تعكس موقفه تجاه ذلك الحدث ، وبالتالي تؤثر في المتلقي بالسّلب أو الإيجاب أي بالقبول لذلك الموقف أو رفضه .

– ومن بين الوسائل اللغويّة أفعال الكلام التي تعدّ من أهم وسائل الإقناع لأنّها تتعلق بالجانب الفعلي والعملي ، فقول كلام ما يعني إنجاز فعل بالمقابل . كما ترتبط بالقصد الذي يحدّد هدف المرسِل من خلال سلسلة المتواليات التي يتلفّظ بها . ثمّ التّكرار الذي يتنوّع بحسب الشّكل والمضمون ، أمّا الأوّل فينقسم إلى : تكرار المكرّر ذاته وتكرار بتغيير التركيب وتكرار في هيئة عنصرين من مادّة واحدة . وأمّا الثاني فينقسم إلى : تكرار مفردتين متواليتين أو أكثر في جملة واحدة أو منطوق واحد ، تكرار مفردتين في جملتين أو منطوقين متواليين ، تكرار المضمون بين جملتين متواليتين وتكرار مفردتين في ثنائية .

– ثم الازدواج الذي ينقسم كذلك إلى عدّة أنواع : التوازن بين الأجزاء بالاتفاق التام في وزن الوحدات وعددها وهيئة ترتيبها . التوازن بين الأجزاء بالاتفاق في وزن الوحدات اتفاقا ناقصا والاتفاق في الترتيب والفاصلة . التوازن في وزن الوحدات اتفاقا ناقصا والاتفاق في الفاصلة دون الترتيب . التوازن بالاتفاق في الفاصلة دون سائر الملامح الأخرى . التوازن بالاتفاق الناقص في وزن الوحدات ، والاتفاق في الترتيب دون الفاصلة .

– وتندرج تحت الأساليب البلاغيّة التمثيل والاستعارة والطباق وهي كلها تضفي على القول مسحة جماليّة من جهة ، ومن جهة أخرى تخرجه عن حدّ الإمتاع إلى حدّ الاستمالة والتّأثير، حيث تؤثر على النفس بتحريك العواطف وجذب الانتباه بما تمتلكه من تحويل المعنى المعنوي إلى مادّي ، والصّورة المجرّدة إلى محسوسة .

– أمّا الوسائل المنطقيّة فهي الآليّات والتّقنيات العقليّة التي تؤسّس بنية الحجاج وتناميه في الخطاب أي جملة الأساليب التي تعتمد قوانين المنطق والتي تؤدّي إلى إقناع المتلقي بما طرح عليه من أفكار وما عرض عليه من آراء . وهي كثيرة ومتنوّعة أبرزها : حجج شبه منطقية ، حجج قائمة على بنية الواقع ، حجج مؤسّسة لبنية الواقع.

– إنّ رسائل الشيخ أحمد التّيجاني بجميع أنواعها تعكس اهتمامه بكل نواحي الحياة (سياسة مجتمع ، اقتصاد ، تربية ، تعليم ...)وهذا يدل على رؤيته الوحدوية والشّاملة للواقع والحياة. فهو لم يعتن بتهذيب النّفس والارتقاء بها في المقامات فحسب بل كان يسعى دوما إلى توجيه سلوك المتلقي في الحياة العمليّة من أجل تخليق الحياة الفرديّة والجماعيّة ؛ لأنّ مشكلات المسلمين الحياتيّة في الواقع هي مشكلات أخلاقيّة وأزمات روحيّة ، ويكمن الحل فقط في تجسيد الأخلاق في السلوكيّات اليوميّة للأفراد.

– إنّ الرّسالة التي بعث بها الشّيخ أحمد التّيجاني إلى تلامذته ، تتجاوز الزّمان والمكان لأنّه أراد من خلالهم أن يوصل رسالته إلى كل المتلقين ويؤثر فيهم ويغيّر سلوكهم بما يضمن لهم السّعادة في الدّنيا والآخرة ، وربّما هذا ما يفسّر استمراريّة طريقته وازدياد عدد المنتمين لها والمقتنعين بآرائه وأفكاره ، فخطاباته متجدّدة وتتناسب مع كل عصر وتسايره فهو القائل : " بسير زمانك سـر " .

– وما يزيدها تأثيرا وجذبا للآخر السّبيل الذي سلكه الشّيخ في خطابه والذي تميّز بالوضوح في الأفكار والبعد عن الغموض والتكلف ، وهذا ما يحقق هدفه في الإبلاغ والإبانة وبالتالي تحقيق الإقناع . كذلك السّهولة في التّعبير لأنّ فهم المعاني هو السّبيل إلى التّأثير والاستجابة . أضف إلى ذلك المزاوجة بين الأسلوب الخبري والإنشائي حتى لا يكون الكلام على وتيرة واحدة ، ما قد يؤدّي إلى الضّجر والملل .

– تتعاون في رسالة الشيخ أحمد التيجاني مجموعة من الوسائل اللغويّة والبلاغيّة والآليّات المنطقيّة التي تشتغل بشكل تساندي وتدفع كلها نحو مقصد مركزي ، وهو تغيير المتلقي نحو الكمال الذي ارتضته له الشّريعة .

– فقد وظّف الشّيخ أحمد التّيجاني مختلف أنواع الأفعال الكلامية وجاء ترتيبها بهذا النمط توجيهيات ، التزاميات ، إخباريات ، تعبيريات ، إعلانات ، حتى تهيئ المتلقي لقبول كل ما جاء به الشّيخ بل وتدفعه إلى إنجاز هذه الأفعال فورا ، لأنّ الشّيخ سار بخطابه بشكل تدريجي من أفعال التوجيه التي تُوَجِّه سلوك المخاطَب وتقنعه بتجسيد الأخلاق في الحياة العمليّة إلى أفعال الالتزام والوعد ؛ الوعد بالثواب الجزيل من عند الله تعالى لمن أنجز الفعل وتخلّق بأخلاق المصطفى ﷺ ، والوعيد بالهلاك والعقاب لمن أبى إلا أن يتبع هواه ويغلّب شهوته عن اتّباعه .

– ثم أفعال الإخبار والتأكيد لتؤكد حقيقة ما ذهب إليه وتغري المتلقي بالاستجابة لصدق النّماذج الواقعيّة التي قدّمها ، والتي سارت على هذا الدّرب وسلكت هذا السّلوك فنالت الفوز العظيم والربح الجسيم دنيا وأخرى .

ثم أفعال التصريح التي عبّر فيها الشّيخ عن تمنّيه لكل مخاطَب بالمبادرة على الفور دون تكاسل أو تماطل حتى يذوق طعم السعادة الكبرى التي يعيشها عباد الله المؤمنين . ثم في الأخير أفعال الإعلان التي وظّفها الشّيخ لتعلن عن حقيقة المتلقي في النّهاية إنْ هو أنجز هذه الأفعال ، وهي حقيقة المؤمن الذي يطابق باطنه ظاهره ، فيرى مراقبة الله له في كل حركة وسكون فيرضيه في السّر والعلن ، في نفسه وأمام النّاس ويجسّد تعاليم دينه في حياته ، ويجعل قرآنه منهجه ودستوره .

- استعان الشّيخ أحمد التيجاني لتحقيق الإقناع بثراء الأفعال وتنوّعها ، حيث أسهم الفعل بنسب عالية في البناء اللغوي للرّسالة ، وهذا الحضور المكثّف للأفعال أكسب الرّسالة حركيّة وحيويّة تعمل على شحن المتلقي ودفعه للعمل والتحرّك لأنّ المؤمن لا يعرف السّكون فحياته عبادة في كل جوانبها . وممّا زاد من قوّة هذه الحركيّة تنوّع الأفعال وانتقالها من المضارع إلى الماضي إلى الأمر ، ما يوحي للمتلقي بضرورة الحركة قدُما لأجل مستقبل زاهر وحضارة إسلاميّة ينشدها دوما ، دون التّفريط والتّنكّر للماضي لأنّ الحضارة لا تكون إلا بالجمع بين الأصالة والمعاصرة .

- استخدم الشّيخ أحمد التيجاني التّكرار اللفظي والمعنوي لتأكيد أفكاره وترسيخها في ذهن المتلقي حتى يسهل عليه تطبيقها ، وذلك لعلمه ما للتّكرار من أثر بليغ تنقاد له النّفوس انقيادا. إلى جانب توظيفه للازدواج الذي خلق جوّا موسيقيّا ترتاح له الآذان وتستصيغه النّفوس والقلوب ليتأثّر به المتلقي ويقتنع بما فيه ، هذا من جهة ومن جهة أخرى ليسهل عليه توصيله وإبلاغه إلى غيره لأنّ الجمل الموزونة يسهل حفظها وتذكرها ، وهذا ما يضمن انتشار رسالته بين المتلقّين .

- استعمل الشّيخ أحمد التّيجاني الاستعارة والتّمثيل لما تمتلكه هذه الوسائل من قوّة إقناعيّة لدلالتها على المعنى بصورة أوضح ، وذلك لاعتمادها على الواقع الحسّي الملموس بدلا عن الصّور الذّهنيّة التي تلجأ إلى الخيال . حيث صوّر للمخاطَب واقعا جديدا يندمج فيه العقل مع القلب ، الجسد مع الروح ، الفكر مع العمل يمكن أن يعيشه إن غيّر سلوكه. إلى جانب استخدامه للطّباق الذي له وقع في الأسماع يشدّ الانتباه وفائدة في النّفوس تجذب التّركيز وتحقّق الإذعان والتّسليم ومن ثمّة العمل والتّغيير .

- زاوج الشّيخ أحمد التّيجاني بين أساليب الإقناع وأساليب الإمتاع في الرّسالة حتى تكون أقدر على التّأثير في المخاطَب وتوجيه سلوكه ، فقد اجتمع فيها قصد التّوجيه بقصد التّأثير والتّقويم الأخلاقي المقترن بالعمل .

- إنّ توجيه الرّسالة إلى التّلاميذه يعني تنوّع المتلقي من حيث العقول والمدارك وهذا ما جعل الشّيخ أحمد التّيجاني لا يكتفي بالاعتماد على الوسائل اللغويّة والبلاغيّة ذات التّأثير العالي ، بل استخدم الأقيسة المنطقيّة بمختلف أنواعها ؛ لأنّها وسيلة ناجحة لتحقيق الإقناع كونها توحي بنوع من الاطمئنان في النّتائج لسلوكها طريقة منطقيّة في التّقديم والاستنتاج .

– استخدم الشّيخ أحمد التّيجاني حجّة التّقسيم وذلك لتمثيل الشّيء أمام المخاطَب بكل أجزائه ليُقَوِّي حضوره أمامه ، ولتحقيق الإقناع والتأثير فيه بصورة أقوى وأسرع . وليبعث الثقة في نفسه حين لا يجد في كلامه خللا أو نقصا لأنّ التقسيم يعتمد الإحصاء والاستقصاء وكلها طرق توحي بالصّحة والصّدق وتحقيق نتائج إيجابيّة ، وبالتالي يذعن له ويبادر للقيام بالفعل .

استخدم الشّيخ الحجّة السببيّة التي تربط السّبب بالنّتيجة حتى لا يترك للعقل مجالا للشّك أو الحيرة فيقتنع ويسلّم . إلى جانب الحجّة الغائيّة التي تعدّ من أهم وسائل الحجاج لما لها من تأثير مباشر في توجيه السلوك لأن مدارها على الغاية وهي مطلب كل إنسان فكلما كانت الغاية نبيلة كانت الاستجابة سريعة والعمل فوريّا .

– وظّف الشّيخ حججا أخرى دامغة وتتمثل في حجّة الشّخص وأعماله ، والحجّة بالمصداقيّة ، أمّا الأولى فتعني تطابق الأفعال مع الأقوال ، أي التزام المتكلم بما يقوله وهذا صعب بالنسبة لكثير من المحاججين الذين يقولون ما لا يفعلون . إلا أنّ الشّيخ أحمد التّيجاني جسّد كل ما يقوله في حياته اليوميّة وسيرته تشهد له على ذلك .

– أمّا الثانية فتعني صدق حجّته وهي حجّة قويّة لأنّها تدفع بالمخاطَب للإذعان والتسليم، فالحجّة الصّادقة تعبّر عن شخصيّة صاحبها لأنّ السّامع إذا علم أن الخطاب صادر عن قلب صادق وضمير غير مخادع اهتمّ به ، وهذا ما يجعله أدعى للقبول مما يريد المتكلم إقناع السّامعين به .

– وظّف الشيخ أحمد التّيجاني حجّة الأنموذج وهي من أقوى الحجج التي تدفع المتلقي دفعا فوريّا لتغيير سلوكه لأنّ هذا الأنموذج يتمثل في شخص رسول الله ﷺ فهو القدوة لكل المسلمين ، وهو أيضا القادر على القيادة والتوجيه وتغيير الواقع . فاتباع القدوة في كل شيء هو الوحيد الجدير بتغيير حياة المسلم وواقعه من انحطاط وتخلف إلى واقع القيادة والرّيادة .

– إضافة إلى أنموذج آخر هو شخص الشّيخ أحمد التّيجاني وقد احتجّ به عن قصد لأنّ الشيخ لا يُقصد للبركة والدّعاء فقط ، وإنّما هو يمثل نموذجا حيّا ومثالا واضحا يقتدي به المتلقي ويسير على خطاه .

– وهذه الحجّة تعضد الحجّة الأولى وتقوّيها للتّأثير في المتلقي الذي يصبح له قدوة ظاهرة واضحة حيّة ، وهي صورة الشّيخ الذي يعيش معه ويعرف أخلاقه وأفعاله وأقواله التي توجّهه دوما لتغيير السّلوك وتدفعه نحو الأمام في الطريق إلى الله . وقدوة غيبيّة غير ظاهرة للعيان حاضرة في قلبه دوما وهي صورة رسول الله ﷺ التي تجذبه محبّة واتّباعا .

- استخدم الشيخ أحمد التّيجاني حجّة الشّاهد وذلك لقوّتها الإقناعيّة والتأثيريّة التي تستمدّها من قوّة أصحابها الذين لهم سلطة على النّفوس وسطوة على العقول والقلوب ، كيف لا والقرآن الكريم كلام الله -سبحانه وتعالى- و الحديث الشّريف أقوال رسول الله ﷺ .

والحقيقة التي لابدّ من الإقرار بها أنّ الشّيخ أحمد التّيجاني استطاع أن يغيّر أفكار الكثيرين ونظرتهم إلى الواقع والحياة ، وأن يدمجهم في طريقه الصّوفي . والأهم من ذلك أن رسالته تقدّم توجّها حقيقيّا للتّعامل مع النّاس والحياة تعاملا مزدوجا يجمع بين الباطن والظاهر ، الرّوح والجسد . وهو تصوّر معرفي بعيد النّظر في العبادات والمعاملات ونظرة عميقة يخرج منها المتلقي بتصوّر واضح ، ويعود ذلك إلى أنّ الشّيخ أحمد التّيجاني يمتلك قوّة معرفيّة ومنهجيّة يشدّ بها المتلقي ، فهو يفيده ويمتّعه ويغيّر فكره وسلوكه وطريقة تعامله مع الحياة .

- وقد تبيّن لنا أنّ رسالته كانت ذات سّبك منهجي ، وغِنى معرفي وتأنق أسلوبي ولغوي ذات قوّة استدلاليّة وحجاجيّة متينة ، حيث بنى الشّيخ أحمد التّيجاني أفكاره وتصوّراته وحججه بناء منطقيّا دقيقا من أجل تحقيق مسعاه وهدفه الأسمى الذي عاش من أجله ، وهو توجيه النّاس إلى طريق الله والوصول إلى مرضاته وتغيير سلوكهم من سلوك بعيد كل البعد عن تعاليم الإسلام إلى سلوك يجسّد حقيقة الإسلام .

وفي الأخير يمكن القول أنّ الحجاج عند الشّيخ أحمد التّيجاني ممارسة تبيّن وجهة نظره بخصوص الواقع والمستقبل في ظل القرآن الكريم والحديث النبوي الشّريف.

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريـم رواية ورش عن الإمام نافع

أولا : الكتب العربية :

1. ابن الأثير ضياء الدين، المثل السائر، قدمه وعلق عليه : الحوفي وبدوي طبانة، دار النهضة، مصر، ط2 د. ت ، ج 3 .

2. أحمد مختار عمر، علم الدلالة، عالم الكتب، القاهرة، ط 5، 1998 .

3. أحمد الهاشمي، جواهر الأدب في أدبيات وإنشاء لغة العرب، مؤسسة المعارف، بيروت، لبنان، د.ط د.ت .

4. أماني سليمان داوود، الأسلوبية والصوفية، دراسة في شعر الحسين بن منصور الحلاج، دار مجدلاوي عمان، الأردن، ط 1، 2002 .

5. أوستين، نظرية أفعال الكلام، تر:عبد القادر قنيني، إفريقيا للشرق، المغرب، د.ط، 1990 .

6. أوليفي روبول، مدخل إلى الخطابة، المطابع الجامعية الفرنسية، ط منقحة، 1994 .

7. أونج والتر ، الشفاهية والكتابية، تر : حسن البنا عز الدين، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب الكويت، 1994 .

8. آيت أوشان علي، السياق والنص الشعري "من البنية إلى القراءة"، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء المغرب ، ط 1 ، 2000 .

9. البوطي محمد سعيد رمضان، التعرف على الذات هو الطريق المعبّد إلى الإسلام، دار الفكر، دمشق د.ط، د. ت .

10. البيضاوي أبو سعيد عبد الهق، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1 1999.

11. الجاحظ أبو عثمان عمرو بن بحر، البيان والتبيين، تح : عبد السلام هارون، مكتبة الجاحظ، مصر ط4، 1975.

12. جبور عبد النور، المعجم الأدبي، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط 1، 1979. الجرجاني الشريف بن علي، التعريفات، تح :إبراهيم الأبياري، دار الريان للتراث، بيروت، لبنان، د .ط، د.ت .

13. الجرجاني عبد القاهر، أسرار البلاغة في علم البيان، تح : عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية بيروت، ط 1، 2001 .

14. الجرجاني علي بن عبد العزيز، الوساطة بين المتنبي وخصومه، تح وشرح : محمد أبوالفضل إبراهيم علي محمد البجاوي، ط04، 1966 .

15. جميل عبد المجيد، البلاغة والاتصال، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، د.ط 2000 .

16. جورج يول، التداولية، تر: قصي العتابي، دارالأمان، الرباط، المغرب، ط1، 2010.

17. حرازم بن العربي برادة الفاسي الحاج علي، جواهر المعاني وبلوغ الأماني في فيض سيدي أبي العباس التجاني، تح : محمد الراضي كنون، دار الرشاد، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2011.

18. حسني عبد الجليل يوسف، الأدب الجاهلي، قضايا وفنون ونصوص، مؤسسة المختار، القاهرة، مصر ط1، 2001 .

19. خفاجي محمد عبد المنعم، عبد العزيز شرف الدين، نحو بلاغة جديدة، مكتبة غريب، القاهرة، د.ط د. ت.

20. خليفة بوجادي، في اللسانيات التداولية مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم، بيت الحكمة الجزائر، ط 1، 2009 .

21. ذهبية حمو الحاج، لسانيات التلفظ وتداولية الخطاب، دار الأمان، الجزائر ، دت ، دط .

22. ابن رشيق الحسن، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، تح : محمد محي الدين عبد الحميد، دار الجيل، بيروت، ط 5، 1981، ج1 .

– سامية الدريدي الحسني :

23. الحجاج في الشعر القديم من الجاهلية إلى القرن الثالث الهجري، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط 1، 2007 .

24. دراسات في الحجاج، قراءة لنصوص مختارة من الأدب العربي القديم، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط 1، 2009 .

25. السبعاوي طه عبد الله محمد، أساليب الإقناع في المنظور الإسلامي، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط 1، 2005 .

– السيوطي جلال الدين:

26. الإتقان في علوم القرآن، عالم الكتب، بيروت، دط، دت،ج 2 .

27. المزهر في علوم اللغة وأنواعها، تح : محمد أحمد جاد المولى، دار الفكر، بيروت ، ج 1 .

28. الشنقيطي عبيدة بن سيدي محمد الصغير بن أنبوجة، ميزاب الرحمة الربانية في التربية بالطريقة التجانية دار التجاني للطباعة، تغزوت، الوادي، الجزائر، ط1، 2009 .

29. الشهري عبد الهادي بن ظافر، استراتيجيات الخطاب، مقاربة لغوية تداولية، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، ط 1، 2004 .

30. صابر الحباشة، التداولية والحجاج، صفحات للدراسات والنشر، دمشق، سوريا، ط 1، 2008.

31. صولة عبد الله، الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، دار الفارابي، بيروت، لبنان ط 1، 2001 .

32. الطاهر محمد توات، أدب الرسائل في المغرب العربي في القرنين السابع والثامن، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط 1، 2010 .

– طه عبد الرحمن :

33. اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء المغرب، 1997 .

34. في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط 1 2000.

35. فقه الفلسفة، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط 1، 1995، ج1 .

36. ابن عاشور محمد الطاهر، التحرير والتنوير الدار التونسية، الدار الجماهيرية للنشر، تونس.

37. عبد الباقي مفتاح، أضواء على الشيخ أحمد التجاني وأتباعه، الوليد للنشر، كوينين، الوادي، الجزائر دط دت.

38. عبد العزيز عتيق، الأدب العربي في الأندلس، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، د.ط ، د.ت .

39. العزاوي أبو بكر، الخطاب والحجاج، الأحمدية للنشر، المغرب، ط1، 2007 .

40. العسكري أبو هلال، كتاب الصناعتين، تح: علي محمد البجاوي ومحمد أبي الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1952 .

41. عشير عبد السلام، عندما نتواصل نغير، مقاربة تداولية معرفية لآليات التواصل والحجاج، إفريقيا للشرق، الدار البيضاء، المغرب، 2006 .

42. الغزالي أبو حامد، إحياء علوم الدين، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان .

43. فان دايك، النص والسياق، استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي، تر : عبد القادر قنيني إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب، د.ط، 2000 .

44. الفيروز أبادي مجد الدين محمد بن يعقوب، القاموس المحيط، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر 1979، ج3 .

45. فيليب بروتون، جيل جوتييه، تاريخ نظريات الحجاج، تر: محمد صالح ناحي الغامدي، مركز النشر العلمي، جامعة الملك عبد العزيز، السعودية، ط 1، 2011 .

46. ابن قتيبة عبد الله، تأويل مشكل القرآن، شرحه ونشره: أحمد صقر، دار التراث، القاهرة، ط 2 1973 .

47. مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، مصر، ط4، 2004 .

48. مجموعة من المؤلفين، التحاجج، طبيعته ومجالاته ووظائفه، تنسيق : حمو النقاري، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، سلسلة: ندوات ومناظرات، رقم 134، المغرب، ط1، 2006 .

49. مجموعة من المؤلفين، الحجاج مفهومه ومجالاته، دراسات نظرية وتطبيقية محكمة في الخطابة الجديدة إشراف: حافظ إسماعيل علوي، دار الروافد الثقافية، لبنان، منشورات ابن النّديم، الجزائر، ط 1، 2013 ج 1، ج 2

50. مجموعة من المؤلفين، أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، إشراف : حمادي صمود، كلية الآداب منوبة، تونس، د.ط، د. ت .

51. مجموعة من المؤلفين، لسانيات النص وتحليل الخطاب، كنوز المعرفة، عمان، الأردن، ط1 2013 م2.

52. محمد أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، دار المعرفة الجامعية، مصر، د.ط، 2000.

53. محمد بازي، تقابلات النص وبلاغة الخطاب، نحو تأويلي تقابلي، الدار العربية للعلوم، لبنان، ط 1 2010 .

54. محمد طروس، النظرية الحجاجية من خلال الدراسات البلاغية والمنطقية واللسانية، دار الثقافة، المغرب ط 1، 2005

55. محمد يونس عبد العال، في النشر العربي قضايا وفنون ونصوص، الشركة المصرية العالمية للنشر لونجمان مصر، ط 1، 1996 .

56. منظور جمال الدين، لسان العرب، دار صادر، بيروت، لبنان، ط2، 1997، م2 .

57. الميداني عبد الرحمن حسن حنبكة، ضوابط المعرفة وأصول الاستدلال والمناظرة، دار القلم، دمشق سوريا، ط 6، 2000 .

58. نعمان بوقرة، مدخل إلى التحليل اللساني للخطاب الشعري، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط 1 2008 .

59. النووي محي الدين وآخرون ، شرح الأربعون النووية في الآحاديث الصحيحة النبوية، اعتنى به : محمود بن الجميل، دار الإمام مالك، الجزائر، ط2، 2010 .

60. النووي يحي بن شرف، رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين، اعتنى به: محمد علي قطب، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، طبعة جديدة، 2005 .

61. هنريش بليث، البلاغة والأسلوبية، نحو نموذج سيميائي لتحليل النص، تر: محمد العمري، الدار البيضاء، المغرب، ط 1، 1989 .

ثانيا : الرسائل الجامعية

1.حسين بوبلوطة، الحجاج في الإمتاع والمؤانسة لأبي حيان التوحيدي، رسالة ماجستير، إشراف: إسماعيل زردومي، جامعة الحاج لخضر، باتنة، 2009 / 2010 .

2.حمدي منصور جودي، خصائص الخطاب الحجاجي وبنياته الإقناعية في أعمال البشير الإبراهيمي دراسة لنماذج نصية مختارة، رسالة ماجستير، إشراف محمد خان، جامعة محمد خيضر، بسكرة، 2007 /2008 .

3.عبد العزيز مصباحي، خطاب الزوايا في الجزائر، الزاوية التيجانية أنموذجا، دراسة تداولية، رسالة ماجستير، إشراف : علي خفيف، جامعة باجي مختار، عنابة، الجزائر، 2011 / 2012 .

4.محمد مشعاله، الاغتراب عند الإمام علي من خلال نهج البلاغة، رسالة دكتوراه، إشراف: عبد القادر دامخي، جامعة الحاج لخضر، باتنة، الجزائر، 2009 / 2010 .

5.نجاة غقالي، أدبية الخطاب النثري في كتابات ابن خلدون، رسالة ماجستير، إشراف: علي خذري جامعة الحاج لخضر، باتنة، الجزائر، 2004 / 2005 .

6.نعيمة يعمرانن، الحجاج في كتاب المثل السائر لابن الأثير، رسالة ماجستير، إشراف: عمر بلخير جامعة مولود معمري، تيزي وزو، 2011 / 2012 .

7.نوال لخلف، الانسجام في القرآن الكريم، سورة النور أنموذجا، رسالة دكتوراه، إشراف: محمد العيد رتيمة، جامعة الجزائر، 2007/2006 .

8.هاجر مدقن، الخطاب الحجاجي أنواعه وخصائصه، دراسة تطبيقية في كتاب المساكين للرافعي، رسالة ماجستير، إشراف : جمال كديك، جامعة ورقلة، 2003/2002

9.هشام فروم، تجليات الحجاج في الخطاب النبوي، دراسة في وسائل الإقناع – الأربعون النووية أنموذجا – رسالة ماجستير، إشراف : لخضر بلخير، جامعة الحاج لخضر، باتنة، 2009/2008 .

ثالثا : المخطوطات

1.سيدي علي بن بلقاسم، رسالة الشيخ سيدي أحمد التيجاني لأولاد سليمان ضمن كتاب سيدي علي بن بلقاسم، مخطوط، الزاوية التيجانية بتماسين، ورقلة، الجزائر .

رابعا : الدوريات والمجلات

1. مجلة التراث العربي، ع 89، محرم 1424، 23 مارس 2003 .

2. مجلة ثقافات، تونس، 2011 .

3. مجلة حوليات التراث، جامعة مستغانم، الجزائر، الأعداد:(1، 2004) ،(2، 2004)،(4،2005).

4. مجلة الخطاب، منشورات مخبر تحليل الخطاب، جامعة مولود معمري، تيزي وزو، الجزائر، ع 3 2008 .

5. مجلة الخطاب الصوفي، جامعة الجزائر، العددان (2 ، 2008) ، (3 ، 2010) .

6. مجلة عالم الفكر، ع 2، م 40، أكتوبر، ديسمبر 2011 .

7. مجلة علامات، ج 22، م 6، ديسمبر 1996 .

8. مجلة المناظرة، ع 4، ماي 1991 .

خامسا : المحاضرات

1. بالهادف بن سالم، ترجمة الإمام الشيخ سيدي الحاج علي التماسيني، محاضرة ألقاها في الندوة الجهوية للزوايا والطرق الصوفية، ورقلة، 2004 .

سادسا : الكتب الأجنبية :

1. Le grand robert ,dictionnaire de la langue français , 1er redaction paris , 1989.

2. Cambrige advenced learmers , dictionary , Cambrge university press , 2nd pub , 2004 .

الفهـــرس

الفهـــرس

إهداء.....04

شكر وعرفان.....05

مقدمة.....07

الفصل الأول : الحجاج وعلاقته بالإقناع

أولا: الحجاج 15

1 – مفهوم الحجاج 15
أ – لغـة 15
ب– اصطلاحـا 18
2– الحجاج والبرهـان 25
3 – ضوابط النص الحجاجي وخصائصه 29
ثانيا :الحجاج والإقناع 31
1 –تعريف الإقناع 31
2 – علاقة الحجاج بالإقناع 34
ثالثا : وسائل الإقناع (تقنيات الحجاج وروافده) 37
I. الوسائل النفسية والاجتماعية 38
II. وسائل الإثارة والتأثير 39
1 الوسائل اللغوية 40
أ –الأفعال الكلامية 41
ب –التكـرار 45
ج– الازدواج 48
2 الوسائل البلاغيّة 50
أ – الاستعـارة 51
ب – التمثيـل 53
ج – الطبـاق 55
III. الوسـائل المنطقيّة 56
1 – الحجج شبه المنطقيّة 56
أ – الحجج شبه المنطقيّة التي تعتمد العلاقات الرّياضيّة 57

ب – الحجج شبه المنطقية التي تعتمد البنى المنطقية.....58
2 – الحجج القائمة على بنية الواقع.....58
أ – روابط التّتابع.....59
ب – روابط التّعايش.....60
3 – الحجج المؤسسة لبنية الواقع.....61
أ – القياس.....61
ب – تأسيس الواقع بواسطة الحالات الخاصّة.....64

الفصل الثاني : الحجاج والإقناع في رسائل الشيخ أحمد التّيجاني

أولا :التّعريف بالشيخ أحمد التيجاني.....68
ثانيا :التّعريف بالرّسائل.....70
1 – تعريف الرسالة.....70
أ – لغة.....70
ب – اصطلاحا.....71
2 – أنواع الرسائل 71
أ – الرسائل الديوانية.....71
ب – الرسائل الإخوانيّة.....72
3 – أنواع الرسائل عند الشيخ أحمد التيجاني.....72
أ – رسائل ذات بعد تربوي.....73
ب – رسائل ذات بعد علمي تعليمي.....73
ج – رسائل ذات بعد اجتماعي.....75
د – رسائل ذات بعد سياسي.....76

هـ – رسائل ذات بعد اقتصادي.....78

ثالثا – الحجاج ووسائل الإقناع عند الشيخ أحمد التّيجاني.....81

نص الرسالة.....82

I.الوسائل النفسية والاجتماعية 88

1 – المرسِـل.....89

أ – رافد إسلامي ديني.....89

ب – رافـد صوفي.....90

ج – رافد فكري ثقافي.....90

2 – المرسل إليه.....91

II.وسائل الإثارة والتأثير 91

1 – الوسائل اللغوية 91

أ – أفعال الكلام.....92

ب – التكرار.....110

ج – الازدواج 121

2 – الوسائل البلاغيّة 124

أ – الاستعـارة 124

ب – التمثيـل 129

ج – الطبـاق.....131

III.الوسـائل المنطقيّة.....133

1 – الحجج شبه المنطقيّة.....133

2 – الحجج القائمة على بنية الواقع.....136

أ – الاتصال التّتابعي.....136

ب – الاتصال التّواجدي.....141

3 – الحجج المؤسسة لبنية الواقع.....144

أ – القياس.....144

ب – تأسيس الواقع بواسطة الحالات الخاصّة.....146

خاتمة.....154

قائمة المصادر والمراجع.....
162

الفهرس.....169